

A. 1418

عدد ٣٦٩ أغسطس ١٩٨٩ م

العربي



مصايف العراق

الطبيعة والتاريخ !

جانب
١٥٠ عر





أبنائي - للفنان الألماني جوتته

العدد ٣٦٩ السنة الثانية والثلاثون أغسطس ١٩٨٩

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي وكل قارئاً للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

AL-ARABI

Issue No. 369 August 1989 - P.O. Box : 748

Postal Code No. - 13008 Kuwait.

A Cultural Monthly - Arabic

Magazine in Colour Published by :

Ministry Of Information

State Of Kuwait.

العربي
ص ٧٤٨ - الصنيفة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون ٢٤٧٧١١ - ٢٤٧٧١٢ - ٢٤٧٧١٣
برقيا "العربي" الكويت
تلفون فاكس ٢٤٧٣٧٥ - فاكس ٤٤٠٤١٢
البرقيات باسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاعلانات

ترسل الطلبات الى: قسم الاشتراكات - الاعلام الخارجي

وزارة الاعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة

مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً ليلي:

الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولاراً باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولاراً

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	موريتانيا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ درهم
الأردن ٢٥٠ فلساً	السعودية ٦ ريالاً	المغرب ٥ درهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالاً	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالاً	أوروبا حيد ستينيوس
مصر ٣٥ قرشاً	سلطنة عمان ٤٠٠ بيعة	فرنسا ٢٥ فرنكاً
السودان ٢٥ قرشاً	لبنان ٥٠٠ ليرة	أمريكا ٣ دولاراً

محتويات العدد



قضايا عامة :

- هل تخفي الغابة الاستوائية
- - رجب سعد السيد ٩١
- التعرف على حالات القلق
- - د. عبدالستار ابراهيم ١١٦
- الجديد في العلم والطب
- - اعداد : يوسف زعلوي ١٢٧
- سلامة البشرية في سلامة البيئة ١٣٠
- الاندماج النووي البارد وقائع
- اكتشاف القرن
- - د. سعود عياش ١٥٤

استطلاعات مصورة :

- اليونان : وجه آخر بلا أقمعة !
- - محمود عبدالوهاب ٦٨
- مصايف العراق : الطيعة والتاريخ !
- - سليمان الشيخ ١٣٢

أدب وفنون :

- تقاسيم (قصيدة)
- - جمال عبدالجبار علوش ٢٩

● للبريد
وجه آخر
بلا أقمعة
٦٨



حديث الشهر : أوراق صيف

- - د. محمد الرمحي ٨
- من دفتر الذكريات : أنا والوزير
- - د. عبدالسلام المجبلي ٢٠
- أرقام : صناعة الحرب
- - محمود المراغي ٤٥
- النمو الاقتصادي : لماذا يتعثر في
- الوطن العربي ؟
- - د. نعيم الشربيني ٣٠

عروبّة وإسلام :

- حوار حول التاريخ القطري
- - د. شاكور مصطفى ٢٣

طب وعلم :

- العادات العربية الأصيلة : هل لها
- علاقة بأمراض المفاصل ؟
- - د. زياد محمد الزعبي ٤٢
- حكايات طبية
- - د. غسان حتاحت ٤٦
- أخلاق العلماء : من نيوتن الى هوكنج .
- - د. عبدالعظيم أنيس ٥٧



وجهها لوجهه :
د. عبدالرحمن حميد
ونديم شمسين ص ٩٧

المجلة

غير ملقمة

بإعادة أي مادة

تلقاها للنشر

والوزارة

غير مسؤولة

عنايتهم

فيهما من آراءه.



● مصابيح العراق الطمعة والتاريخ

- شياثل المغني وآداب الغناء في التراث العربي
- د. محمد الأسعد قريمة ٣٦
- الخيال العلمي في الادب الشعبي
- فاروق غورشي ٥٢
- أفكار لا تموت : معارضة الثقافة
- سلامة موسى ٦٠
- حوار كوب من الماء (قصة قصيرة)
- عبد جبير ٨٨
- قراءة نقدية في كتاب : «عشيق الليدي تشارلي»
- د. أمين الميوطي ١٠٤
- في حضرة مولانا النهر (قصيدة)
- محمود عبدالصمد زكريا . . . ١١٠
- الشتاء والحب (قصة مترجمة)
- ملك حاج عبيد ١١٢
- جمال العربية :
- صفحة لغة : مترادفات أسلوبية
- د. حسن عباس ١٧٦
- صفحة شعر : بعض محاسن
- والبيمة ١٧٨
- نظرات نقدية في صناعة المعجم العربي
- د. حامد صادق قنبي ١٨١

منتدى العربي :

- قضية : بين الفكر والثقافة
- د. مصطفى الشار ١٢١

- تعقيب : طه حسين في ميزان النقد العلمي
- د. محمد النحوي ١٢٤

تاريخ وتراث وأشخاص :

- مواقف إنسانية : ليلة لا تنسى !
- د. عبدالوهاب حومد ٤٨
■ فارس بلنسية : مدافع، أبو الحملات ،
قائد الأعداء
- د. شاكرا الفحام ٦٢
■ وجهها لوجه : د. عبدالرحمن حميدة
ونديم شمس ٩٧

مكتبة العربي :

- كتاب الشهر : نقاش حول القوة
العامة النسائية في الوطن العربي
- عرض : د. ابراهيم أبو ربيع .. ١٨٥
■ من المكتبة العربية : ما مشكلة طفلي ؟
- عرض : د. عادل عبدالكريم
باسين ١٩٠
■ مكتبة العربي : (مختارات) ١٩٤

أبواب ثابتة :

- عزيزي القاري ٧
■ واحة العربي ٦٦
■ الكلمات المتقاطعة ١٨٤
■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦
■ حل مسابقة العدد (٣٦٦) ١٩٨
■ معركة بلا سلاح (الشطرنج) ٢٠٠
■ حوار القراء ٢٠٢




البيت العربي

مجلة الأسرة
والمجتمع

- موسيقا الرحم والحياة
اللغوية للطفل
- د. سامي محمود
علي ١٦٢
■ أجيال لا تعرف صحة
الأبوين
- نادية يوسف .. ١٦٦
■ هو ... هي ١٧٠
■ طبيب الأسرة : الطبيب :
مريضا
- د. حسن فريد
أبوغزالة ... ١٧٠
■ مساحة ود : اختيار
صلاح حزين .. ١٧٥

السياحة على السورق

 ونحن نعد موضوعات هذا العدد ، ونضعها بعضها مع بعض ، ونوازنها في ميزان الاختيار والتنقيح ، حرصنا أن يكون عدداً مقروءاً في معظم لمعلم القراء ، فقراءة الصيف تحتاج إلى ميزان دقيق ، إذ هي تختلف عن قراءة الفصول الأخرى من العام . القاريء في تصورنا يريد أن يقرأ موضوعات تشبهه ولا ترهقه .. وهكذا كان .

فالاستطلاعان اللذان تنشرهما في هذا العدد فهما عامل مشترك واحد ، هو إجازة الصيف ، وإذا كان الاستطلاع الأول عن اليونان ، وهي بلاد قريبة منا ، يؤمها السياح العرب ، ويعرفها كثيرون منذ فترة ليست بالقصيرة ، فإننا نقدمها هنا أكثر إشراقاً . أما الاستطلاع الثاني فهو يعرض كنوز العراق السياحية ، فالأقطار العربية غنية بالأماكن السياحية الجميلة التي تضاهي مثيلاتها في الخارج ، وقد أن الأوان أن نعرف تلك الأماكن ، ونحت أنفسنا على تطويرها ، كي تكون مقصداً للسائحين .

والسياحة لها علاقة بالنمو الاقتصادي ، لذلك فإن مقال د . نعيم الشريبي عن قضية تطوير الاقتصاد الوطني ، وتلبية احتياجات السكان المتنامية ، ليس اقتصاداً فقط ، ولكنه يعرض نظرة مستقبلية للاقتصاد العربي ، متحررة من القيود النظرية . وهو إضافة للقاريء المثالي .

وإذا كانت الإضافة في الاقتصاد هنا عربية ، فإن بعض عاداتنا تقينا شر بعض الأمراض ، كما يشرح الدكتور زياد الزحبي في مقاله « تأكل الفاصل والمعادن العربية الأصيلة » ، حيث يتناول أسباب الالتهاب العظمي الغضروفي ، وعلاقة ذلك بالجلوس على الأرض ، وممارسة الرياضة . ويشاركنا في العدد أيضاً د . عبد الوهاب حومد . فيكتب عن ذكرى ليلة لا تنسى ، مضى عليها أكثر من خمسين عاماً ، حين كان طالباً في باريس . كما يشاركنا د . شاكرو مصطفى ، فيحاورنا حول التاريخ الفطري في وطننا العربي ، ويكشف لنا عن مسئوليتنا فيما يجري اليوم على الساحة العربية من تمزقات أو تجمعات .

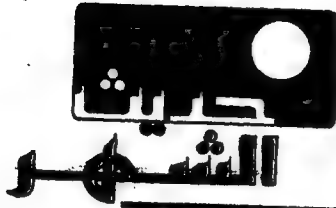
وعن التراث الشعبي وعنصر الخيال العلمي فيه يكتب لنا فاروق خورشيد ، مبنياً كيف حاول الإنسان بقوة التخيل الوصول إلى ما يعجزه حتى حققه في دنيانا المعاصرة .

وعلى الرغم من أن الصيف يبعد القلق فإننا اخترنا أن ننشر مقالاً عن التعرف على حالات القلق ، تحسباً لما يجيء في الخريف والشتاء . أما الموضوع الذي أحدث ضجة في الأشهر القليلة الأخيرة ، في مجال العلم الحديث ، فهو الاندماج النووي البارد الذي لو نجحت تجاربه بشكل مهالي فسوف يمدد ثورة في الطاقة ، ولقد طلبنا من كاتب متخصص ، هو الدكتور سعود عياش ، أن يكتب لنا فيه ، فكان المقال الذي ننشره في هذا العدد . أما في عرض الكتب فقد اخترنا موضوعين : أحدهما عن القوى العاملة النسائية ، من خلال وجهة نظر جديدة حول أوضاع المرأة العاملة في الوطن العربي ، وثانيهما عن مشكلة (طفلي) ومحاولة للإجابة عن السؤال الذي يتردد كثيراً ، عن الفرق بين التخلف والمعجز عن التعلم . كل هذا إضافة إلى ما تحفل به « العربي » عادة من موضوعات ، وأبواب مثل : « وجهاً لوجه » و « البيت العربي » و « القصة القصيرة » ، والموضوعات العلمية والثقافية العامة .

نرى هل حققنا هدف القراءة للصيف ؟

نرجو ذلك ، ونرجو لك - عزيزي القاريء - إجازة صيف ممتعة .

المحرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

أوراق صيف

الصيف هو ذروة حركة الشمس ، تتصاعد الشمس في حركتها حتى تصبح أقرب ما يمكن منا ، فيصينا وهجها وقيظها ولفحها ، والصيف كذروة حركة هو كالحرب ذروة الدراما الانسانية ، وكالحب ذروة مشاعر الانسان ، وكما أن للحب قوانين خاصة به غير قانون الحياة اليومي ، وللحرب قوانين غير قوانين الأيام العادية ، فإن للصيف قوانينه وعاداته وإيقاعه ، وهي قوانين وعادات تولد من تأثيرنا بذرى إيقاعه ، وبمذاباته وهجيره .

وفي الصيف يحلو لي أن أنتقل من كتاب إلى كتاب ، ومن موضوع إلى آخر ، تغييراً في عادة القراءة المنهجية المتصلة في بقية الفصول ، ومع الانتقال تتقاذف الأفكار وتتنوع وتتعدد ، فأسجلها في مفكرة صغيرة تلازمي دوماً . وفي صيفنا هذا أعدت قراءة ما اختطته يدي في هذه المفكرة ، فوجدت أنها مشروعات لم تتم ، ورؤوس أقلام لم تستوف ،



والتقاطات حادة حدة اللهب ، بعضها يحتاج إلى إعادة نظر ، وبعضها الآخر قديم جديد . وهكذا تنوعت الأوراق ، كل ورقة هي لحظة إنسانية خالصة ، ارتبطت باللحظة التي كُتبت فيها ، بتوهج الروح ، وبقطة العقل ساعتها . ولأننا حين نكتب نعترف على أنفسنا ، فقد قررت أن أشرك القراء في هذه الاعترافات ، أنشرها ، وماكنت أظن لحظة كتابتها أنها للنشر ، ولكن الصيف يجعلنا نفعل كثيراً مما لم نكن نظن أنفسنا بقادرين على فعله .

ورقة أولى

حكمت المحكمة

مطلوب

من المحكمة

محمّدة

دفع

تعويض

عما تسببه

من أضرار !

القضية بسيطة - أو هكذا تبدو أول وهلة - فقد نشرت إحدى الصحف الغربية أن إحدى المحاكم الأمريكية قد حكمت بمبلغ من المال لأبأس به على إحدى شركات التبغ الأمريكية لأحد المدخنين تعويضاً له عن الضرر الذي أصابه من جراء التدخين . وكان الخبر جديداً ، فأول مرة يصدر مثل هذا الحكم ، بعد أن تجاهلت المحاكم فترة طويلة مثل هذه القضايا ، أو حكمت بعدم المسؤولية على شركات تبغ رفع بعض المتضررين عليها دعاوى مشابهة ، وإن سارت الأمور في هذا الاتجاه فلن نستغرب أن يرفع بعضهم قضية على (حميدة) البقرة ، يطالبونها فيها بدفع تعويض عن الأضرار التي سببتها زبدتها عندما يموت أحدهم بمضاعفات زيادة الكلسترول !!

السؤال الذي أثار غيظي هو أن القانون يحكم دائماً - أو كان يحكم على الأقل - بالتعويض عندما ينشأ ضرر ما ، ناتج عن سوء قصد غير معلن ، كأن ينسقط أحدهم من على درجات السلم ، لخلل في صناعة ذلك السلم ، وعندما يصاب بالكسور والرضوض فإن القانون يفترض حمايته ، وبالتالي تعويضه ، ولكن أن يعرض شخص ما ، عن ضرر أصابه ، بفعل اقترفه بإرادته ، وهو يعرف مسبقاً أن ذلك الضرر واقع عليه إن فعل ، فهنا الجديد في الأمر . حيث إن التحذير من تدخين السجائر أصبح معروفاً للعامة والخاصة ، فمعظم الأطباء ، وكل الحكومات ، وجميع الآباء والأمهات ، وكل المدارس ، ومعظم شبكات التلفاز - إن أردنا أن نذكر بعضها فقط - تحذر ليل نهار من أخطار التدخين ، المباشرة وغير المباشرة .

هل تحكم المحكمة بالتعويض لشخص يتسبب بنفسه من النافذة ؟

فأضرار التدخين معروفة ، فهل تعرض المحكمة شخصاً يقذف نفسه من نافذة في الدور الرابع ، وهو يصيح : هذا أسرع في النزول من المصعد ! بالطبع لن تنظر أي محكمة في الدنيا بتعويض هذا الشخص ، فليس هناك تعاطف مع أفكاره في سرعة النزول !
وقد يسأل بعض : ما العلاقة بين المدخن وقاذف نفسه من الدور الرابع ؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال أريد أن أسأل بدوري : هل نحن مسئولون عن حياتنا وتصرفاتنا أم لا ؟

إذا كان الجواب بنعم - وهو جواب معظم العقلاء - فإن المدخن وقاذف نفسه من الدور الرابع متساويان ، فهما يعرفان خطر فعلتهما ! المشكلة أن هناك اعتقاداً يتزايد بأننا غير مسئولين عن تصرفاتنا ، أو - على الأقل - هذا ما أولته تلك المحكمة التي حكمت للمدخن على شركة التبغ . هذا الاعتقاد المتزايد بأننا غير مسئولين عن تصرفاتنا تعززه مظاهر الحياة الحديثة أو العصر الذي نعيشه ، ففي هذا العصر يخضع الإنسان لأشكال شتى من الضغوط ، ضغوط النشأة ، وضغوط البيئة المحيطة ، وضغوط النظام الاقتصادي ، وضغوط النظام القيمي ، والنظام السياسي ، إلى درجة أن بعض المفكرين أعادوا النظر في المقولة التي سلعنا بها جميعاً من قبل : إن الإنسان مسئول عن حياته ، وبالتالي عن تصرفاته جميعها .

إذا أخذنا مثلاً واحداً فقط ، ولنقل الضغوط الاقتصادية ، فقد شهدت بريطانيا ضجة كبرى في سنة ١٩٨٦ ، حول ديون الأفراد ، فقد بلغت في ذلك العام اثنين وعشرين بليون جنيه ، وهي ديون أكثرها غير قابل للسداد ! كيف حدث ذلك ؟ حدث ببساطة نتيجة التسهيلات التي تقدمها المصارف وشركات البيع ومؤسساته ومحلته ، عن طريق استخدام بطاقة التسهيلات الائتمانية البلاستيكية . فقد وجد كثيرون أنفسهم يصرفون ، أو قل يتبضعون ، أكثر من قدراتهم المالية ، وتراكمت عليهم ديون مع فوائد التي تزداد يوماً بعد يوم . المشكلة كانت معقدة وخطيرة وضارة بالاقتصاد القومي البريطاني ، إلى درجة أن بعض المختصين طالبوا المؤسسات المالية بأن تقدم تبرعات لإنشاء مراكز خدمة عامة ، تسمى (مراكز النصائح المالية) ، يلجأ إليها الناس لتبصيرهم بالمشكلات التي يمكن أن يقعوا فيها إن هم تصرفوا مالياً بغير حذر كبير . القضية أن مشكلة هذا الحجم لا يحلها القانون ، فلو قرر كل دائن - من المؤسسات -

له دين على أفراد قلوبا أو كثروا أن يرفع دهمى ضدهم لدخل نصف الشعب البريطاني السجن .

وبالنسبة فإن الشعب البريطاني ليس هو الشعب الوحيد الواقع في هذه المشكلة ، فهنا في عالمنا الثالث قد وصلت الجرثومة نفسها ، جرثومة الشراء (بالاقساط) ، وهي تنتشر بشكل وبائي ، وهي لا تقف عند تزوج اليوم وادفع غداً ، أو ادخل ابنتك المدرسة اليوم وادفع غداً ، أو ابن بيتك وادفع غداً ، أي أنها ليست مقصورة على تمويل الحاجات الأساسية للإنسان إنما هي ممتدة إلى الكماليات : اشتر سيارة اليوم وادفع غداً ، بل وسافر اليوم وادفع غداً . إذن هذه الضغوط التي تراكمت في البيئة الاقتصادية تدفع الناس دفعاً إلى الاقتراض ، دون وعي حقيقي بما يمكن أن يسببه هذا الاقتراض من مشكلات لاحقة .

الأهم من ذلك أن هذا الاقتراض - أو العيش بالاقساط - تحول من الفرد إلى الدولة ، وما مشكلة الديون الخارجية التي تنوء تحت كاهلها اليوم مئات الدول النامية - ومن بينها معظم أقطارنا العربية - إلا نتيجة هذه التسهيلات الائتمانية الدولية .

بيت القصيد أنه إذا كانت المسؤولية الشخصية متفتية في حالة أضرار التدخين على المدخن على الرغم من علمه بها ، فترى أي مسؤولية على الدول الفقيرة إن هي اقترضت لتقيم أود مواطنيها الجوعى ؟!

جرثومة

"العيش

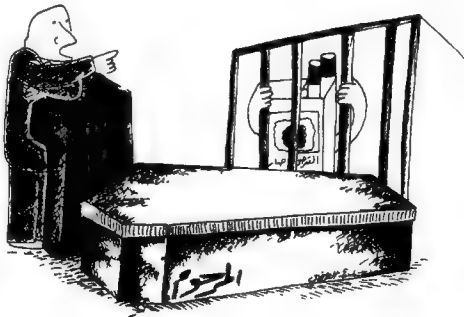
بالاقساط"

متذمّن

من الدول

إلى الأفراد ..

والعكس

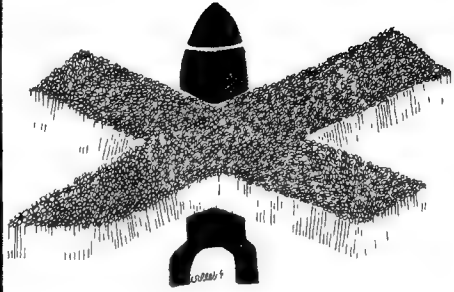


ورقة مشائية:

أمتنا الأرض

شهدت بواكير هذا الصيف حدثاً مهماً على الصعيد السياسي الأوروبي ، وهو قدوم (الخضر) ، والخضر هو الاختصار الذي أصبح معروفاً بأنه يرمز إلى أولئك الرجال والنساء في أوروبا الذين لم يعودوا مقتنعين بسياسات دولهم وأحزابهم تجاه البيئة ومشكلاتها المتفاقمة التي تهدد الحياة الإنسانية برمتها بالخطر ، فقاموا ينادون بالإصلاحات البيئية ، وكان طريقهم السياسة ، فأسسوا الأحزاب ، وخاضوا الانتخابات ، وما أن ظهر عقد الثمانينات حتى أوجدوا لهم موطئ قدم في العمل السياسي الأوروبي . كان دخولهم الأول على صعيد السياسة العليا في ألمانيا الغربية ، عندما صار في ٢٣ مارس ١٩٨٣ ، سبعة وعشرون شخصاً في شوارع بون - عاصمة ألمانيا الاتحادية - باتجاه البرلمان ، وكان السبعة والعشرون هم الأعضاء الجدد الممثلون لحزب الخضر في البرلمان الألماني . فكانوا أول حزب جديد في ألمانيا الغربية - منذ ثلاثين سنة وقتها - يدخل البرلمان . منذ ذلك الحين تصاعدت نشاطات حزب الخضر في معظم دول أوروبا الغربية ، فأصبحوا أعضاء في المجالس المحلية ، وفي المجالس البلدية ، بل وفي للبرلمانات الوطنية . وفي منتصف حزيران «يونيو» الماضي أصبح بعض (الخضر) أعضاء في البرلمان الأوروبي . وقد أثارت نتائج تلك الانتخابات الأخيرة - انتخابات البرلمان الأوروبي - حفيظة الأحزاب التقليدية في بلدان مثل فرنسا وإيطاليا وبريطانيا ، فأخذوا يعيدون حساباتهم من جديد ، والخضر في تقدير الكثيرين هم ظاهرة المستقبل ، ليس في أوروبا وحدها - وهذا هو الأهم - بل في العالم ، فقد كانت مشكلات عالمنا الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية ، في المائتي سنة الماضية ، على الأقل ، مشكلات محلية ، أو على أكثر تقدير مشكلات إقليمية ، بما في ذلك الحروب والكوارث ، أما المشكلات البيئية فهي مشكلات عالمية حقاً وحقيقة ، فقد أثبتت حوادث مثل «شارنوبل» في الاتحاد السوفيتي ، و «جرين أيلند» في الولايات المتحدة ، أن ما يحدث من كوارث بيئية على بعد ألوف الأميال هناك يتأثر بها البحر والأرض والزروع والإنسان في أقصى المعمورة ، فلا بد إذن من الدفاع عن البيئة بشكل واسع وعلى نطاق عالم .

استها
جريمة
نرتكبها
في حق
أمتنا
الأرض؟



لكن مشكلات البيئة مثلها مثل مشكلة الديون حتى الآن ، لم نحسن معرفة نتائجها علينا . وفي الوطن العربي نشرت عشرات المقالات ، كتبها نخبة من المتخصصين عن تلوث الهواء والماء والبيئة بشكل عام ، وخطورة هذا التلوث على حياتنا ، وكذلك نحن في «العربي» هنا نشرنا مقالات متخصصة حول الموضوع نفسه ، ولم نكن الوحيدين في هذا النشر ، فقد ساهمت معظم وسائل الإعلام العربية في بيان خطورة تدهور الوضع البيئي ، إلا أننا حتى الآن - جميعاً - لم ننهض بشكل جاد وحقيقي عن طريق مؤسسات أهلية فاعلة ، للتحذير من مخاطر تدمير البيئة ، واتخاذ الخطوات اللازمة لوقف تدهور بيئتنا ، أي تحويل (الكلام) إلى (فعل) ، و (اللغة) إلى (سلوك) !

مجلة التايم الأسبوعية المعروفة ، أخذت منذ سنوات ، وفي أول كل عام ، تنشر على غلافها صورة لشخصية عامة ، (سواء كانت رجلاً أو امرأة) ، اعترافاً بأهمية تلك الشخصية في التأثير على مجرى السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع العالمي ، وفي هذا العام نشرت التايم صورة الكرة الأرضية على غلاف الأسبوع الأول من يناير الماضي ، مربوطة بمجموعة من الحبال ، تكاد تنهاوى من الإعياء ، وكتبت تحتها (كوكب العام) ، بدلاً من (رجل العام) ، ونشرت في معظم صفحاتها الداخلية مقالات تظهر خطورة تدهور البيئة على حياة الإنسان ، تعبيراً عن المدى الخطر الذي وصل إليه تدهور البيئة .



لقد أصبح مفهوم تأثير البيت الزراعي الزجاجي (الدفينة - الصوية) مفهوماً متداولاً في الغرب Green House effect ، ومعناه العام أن الأرض بمحيطها البيئي وغلافها الجوي أخذت تتأثر بهذا العبث غير المنضبط في البيئة الذي يكاد يفتك بالإطار الحيوي لحياة الإنسان ويدمره . لقد أخرجت حركة الخضضر مفاهيم الحفاظ على البيئة من غبار المصانع ورائحة مشتقات النفط وغيوم مراكز التجارب النووية ، وسرعان ما اكتشفت هذه الحركة أن القضية ليست وطنية أو إقليمية على أبعد تقدير ، بل إنها عالمية ، فخرجت أمهات مدن الشمال الأوربي محتجة على تصدير شحنات حليب الأطفال الملوثة لدول العالم الثالث ، وسرعان ما تنامت الحركة ، كي تصبح عالمية ، لقد أصبح معروفاً الآن وبشكل علمي أن جزراً في العالم مهددة بالغرق ، وأن هناك تشويشاً على المواصلات ، كل ذلك ناتج أساساً من العبث بالبيئة . لقد قرر (الخضضر) أن يأخذوا الأمور بيدهم فأسسوا المصارف التي يوافقون طوعاً من خلالها على أن تحول بعض أرباحهم منها لحماية البيئة !

ولكن هل وصلت الرسالة إلينا ؟ ألا زلنا نتساءل بشيء من السذاجة : لماذا لم نر أمطاراً ، وإن جاءت فكسيل عارم ؟ ولماذا هذه الحرارة المرتفعة غير المألوفة ؟ ولماذا كل هذه الأشكال من الأمراض الجلدية التي تنتشر لدى الأطفال والنساء والرجال والتي لم نكن نعرفها من قبل ؟ إنها ببساطة نتيجة لزيادة تسخين الغلاف الجوي ، بما نفعله في الأرض .

وفي لاهاي في إبريل الماضي عقدت اتفاقية دولية لتأسيس هيئة ضمن الأمم المتحدة لصون الغلاف الجوي ، وقع عليها أقل من ربع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة فقط ، ولكن مازالت الدول الموافقة على هذه الاتفاقية محدودة العدد ومازالت الاتفاقية في حاجة إلى من يهتم بها بعد ذلك ، ويعمل نشاط المؤسسات المزمع إقامتها من خلالها . إلا أن الرأي العام الغربي - يجب أن نعترف - قد بدأ يعمي المشكلة ، وما نتائج الانتخابات في البرلمان الأوربي الأخير ، واكتساب الخضضر لأصوات كثيرة ، إلا دليل على ذلك الوعي . ألا يجدر بنا نحن في الجامعة العربية ، وعلى المستوى الأهلي العربي ، وبالتعاون مع مؤسساتنا العلمية ، أن نتنبه إلى خطورة تدهور البيئة ، وخصوصاً بيتنا التي نعيش فيها ! والتي لم نستثمر كل إمكانياتها ، وانطلقنا لنصيبها بالتدهور



عندما
يقتنى
التاريخ
بين جدران
مبنى
يحيط به
الإهمال

والإهمال !؟ وهل يكفي التنبيه إن آن الألوان لإنشاء إدارة خاصة في كل حكومة من حكوماتنا لتعنى بالتلوث البيئي وإدارة أخرى في جامعة الدول العربية .

الانفعال للمعرفة

لا أعرف كيف تذكرت وأنا أطوف مع صديقي الفنان حلمي التوني على معروضات المتحف الإسلامي بالقاهرة قبل أسابيع قليلة كلمات أستاذنا الكبير ، زكي نجيب محمود ، فقد قرأت عنه مرة قوله : (يجب أن نحرص على شحن المعرفة بالانفعال لها) . لقد كان ذلك اليوم مشهوداً عندما اقترح الصديق أن نذهب إلى شيء آخر ، ونرى أشياء أخرى في القاهرة ، المكتظة بالناس وبالمظاهر الحديثة ، فقضينا سحابة نهار كامل في المتحف الإسلامي ، نطوف بمقتنياته . بعض المعلومات عنها يشرحها المأذون عن هذا القسم أو ذاك ، ومعظمها يزيدنا أو يصححها صديقي الفنان التوني . أخذنا نطوف بالأقسام المكتظة بالمعروضات ، وصور الحياة والناس في القاهرة المعز ، القاهرة المالك ، القاهرة شجرة الدر ، تتراحم ، لتخرج مبدج مجرد كونها معروضات صباه إلى حد تكاد تنبض فيه بالحياة .

لقد كان درساً عميقاً عن الحياة والثقافة والتجارة والصناعة ، وعن السلم والحرب ، وعن السنوات السمان والسنوات المجاف ودورات النهر العظيم الذي يطفح أوعاماً بالخير ويختبر حب الناس له أوعاماً أخرى بالانحسار .

هذا التاريخ المكتظ بالأحداث والرجال العظام ينحصر في مبنى ، هو إلى الإهمال أقرب منه إلى التحديث ، في الوقت الذي نجد فيه جماعات من الناس على هذه الأرض ، أو شعوباً ، لا تجد لها تاريخاً ، فتصيد لها أسطورة تحميها ، وتبعث فيها الروح ، كي تحرك الناس إلى العمل والجد ، ونحن نضع وراء ظهورنا كل هذا التاريخ الحقيقي الذي شهد على الزمان وشهد له ، وهو تاريخ ، كما يقول - مرة أخرى - زكي نجيب محمود : ولو قسمناه على أهل الأرض جميعاً لكفاهم دافعا شريفاً نحو هدف شريف . هذا التاريخ يحصر في مبنى يحتاج إلى تمجيد وتطويع للمعروضات ، ليستطيع الغريب قبل القريب أن يستمتع بالتطواف بها ،

رحل
عاشق
الحكمة..
والمعرفة..
والتواصل
الإنساني



● د سيد عويس

ونقرأ بهذه المهمة ؟ قال : الباحث منا كصاحب رصيد في «بنك» إن سحب منه دون أن يضيف إليه أفلس ، فكانت حكمة جديدة ، تضاف الى ما سمعته منه من حكم .

ولكن ما سوف يحسب لسيد عويس في النهاية في مجال علم الاجتماع ، هو تأصيله المعرفي في هذا النوع الجديد من العلوم علينا - نحن العرب - فقد عرف مصادره الغربية دون انهار ، وحاول تأصيله كعلم عربي ، فلم يخف عن سيد عويس أن علم الاجتماع قد نشأ في الغرب ، نتيجة ازمة فعلية ، سادت المجتمع الغربي ، وجاءت اباحث علم الاجتماع الغربي بمثابة حلول ، واستجابة لتحديات مطروحة بالفعل ، كان يعاني منها ذاك المجتمع بمختلف تلوناته الاجتماعية

والسياسية ، وأن علم الاجتماع الغربي دخل بعد ذلك في خليط معرفي بين ما هو (إيديولوجي) عقائدي وبين ما هو انعكاس لواقع موضوعي . من هنا كان سيد عويس يرى خطورة النقل دون تفكير من علم اجتماع غربي إلى علم اجتماع عربي ، ومن هنا تأتي أهمية تأصيله في الدراسات التي قام بها ، لقد كان يرى أن علم الاجتماع العربي يجب أن يكون أداة تنويرية وأداة عقلنة للدماغ العربي والواقع العربي .

وكان يعرف العقبات الكبيرة في إشكالية تكيف ومواءمة مفاهيم ومناهج ونظريات علم الاجتماع الغربي ، لتلائم خصوصية الواقع العربي النسبي ، وكان يرى أن أزمة العلوم الاجتماعية العربية ليست أزمة معرفية ، بمقدار ماهي أزمة حضارية . كانت المعادلة لديه واضحة لدارس العلوم الاجتماعية ، عليه أن يتحرر من الآخر (الغرب) ، ومن الذات التقليدية ، وأن يكون ابن عصره ومجتمعه في آن واحد .

تحتاج كتابات سيد عويس ومفاهيمه التي طرحها ، وأمضى حياته يدأب في متابعتها إلى دراسة تحليلية أوسع من هذه العجالة ، وتبقى محاولاته في النهاية من أبرز أعمال علماء الاجتماع العرب ، رحمه الله رحمة واسعة ، بقدر ما أضاع من عقول ، وأثار من بصائر . وعندما غادرنا في صمت أحاطت وسائل إعلامنا العربية موته بصمت مخجل . مرة ثانية فليرحمنا الله جميعاً .

ماذا يقرأ المسلمون الفرنسيون؟

الأزهري عون صديق عربي من تونس ، يعيش في فرنسا منذ زمن طويل ، مثله مثل عشرات الآلاف من أبناء الشمال الغربي الأفريقي - أو قل الملايين - يبحث عن لقمة عيش له ولأولاده . هذا الصديق لا يتعاطى التجارة أو الأعمال المعروفة الأخرى ، إنه كسبي على الطريقة القديمة ، تتصل به في المنزل ، وتترك له خبراً أين أنت ، ثم يأتيك بقوائم الكتب التي لديه تختار منها ما تشاء . وهي دائماً أرخص من سعر الكتب في المكتبات . عتداً أحر بباريس أقوم بمهافة الأزهري ، ونقضي بعض الوقت ، لا في اختيار الكتب إنما في الحديث الشامل أيضاً . سألته هذه المرة ماذا يقرأ قراؤك العرب في فرنسا ، أو قل لي : أي الكتب أكثر رواجاً



لديهم ؟ فقال دون تردد : إنها كتب التراث . كل أشكال التراث . ولا زالت كلماته منذ أن قالها تتردد في ذهني ، فهناك في فرنسا مئات الألوف من العرب المسلمين الذين يحاولون جاهدين متابعة ثقافتهم العربية الإسلامية ، ونتيجة لوضعهم الاقتصادي والمعيشي المتدنّي لم ينظموا أنفسهم حتى الآن في مجتمع غربي منظم ، كي يدافعوا عن حقوقهم الثقافية ، وما يصلهم من كتب ومطبوعات هي في أقل القليل ، لأنها كتجارة ليست رابحة ، بدليل صديقي الأزهري الذي لا يزال ، منذ أن عرفته ، يستخدم رجله في الانتقال ، ويوفر درسيات محدودة لعياله بعد كل هذه المشقة .

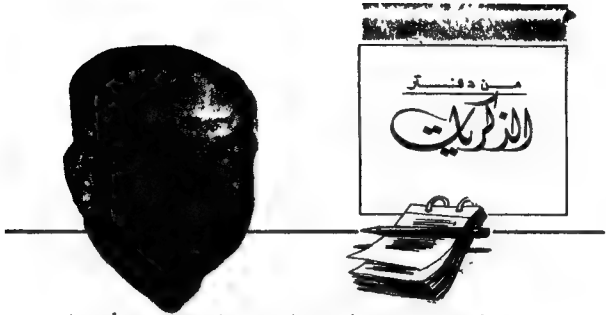
بيت القصيد هنا مئات الألوف ، هؤلاء الذين يحتاجون على الأقل الى رعاية ثقافية . هناك إذاعة محلية عربية في باريس ، تنقل لهم ثقافتهم ، وتسمعهم القرآن الكريم ، ولكن ذلك في باريس فقط ، وليس خارجها ، ومن العرب المسلمين خارج باريس من هم أضعاف من بداخلها . إن هذه التجمعات العربية والإسلامية في عواصم ومدن أوربية كبيرة هم أولى بالرعاية ، ورعايتهم تحتاج فقط الى جهود أولية للتنظيم ، ثم تترك أمورهم لهم يديرونها كما يريدون . والمتابع لما ينشر عن أحوال المسلمين العرب في أوروبا يعرف المشكلات الصعبة التي يواجهونها .

وعلى الرغم من ذلك فهم شديداً التمسك بدينهم ، ولا يبقى علينا من جهد إلا ربطهم بأوطانهم . في بريطانيا وحدها (١,٥) مليون ونصف مليون مسلم ، يذهب منهم ١,٢ مليون الى المساجد للصلاة ، بشكل منتظم . وهم بالنسبة اربعة اضعاف عدد السكان اليهود في بريطانيا . إن المسلمين في بريطانيا ، والعرب المسلمين في فرنسا ، قوة بشرية كبرى يمكن الاستفادة منها على كل الأصعدة ، نحتاج فقط الى تنظيم الاتصال بها ، ومساعدتها على تنظيم نفسها ، وقد تستطيع الجهود التطوعية العربية الأهلية ان تعطي الكثير في هذا المقام .



تلك أوراق صيف ، أردت أن أشارك القاريء فيها ، علها تثير في نفسه ما يستاهل التفكير . وكل صيف وأنتم طيبون .

محمد الرميحي



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

أنا والوزير

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

بهذه ، ولكنني حين أتذكر تفاصيله الآن ، بعد مرور أكثر من ثلاثين عاما ، أكاد أصاب برجفة من الملح ، وأعجب من جود أحاسيسي أمام ما كنت فيه على قارب قوسين أو أدنى من الهلاك . ومثل هذا المصعب يمتلكني عند تذكّر الحادثة التي سأرويها في السطور التالية .

كنت في ربيع عام ١٩٣٧ طالبا في صف متقدم في مدرسة التجهيز في حلب ، وهي الثانوية الرسمية الوحيدة في تلك المدينة آنذاك ، كما كنت فيها رئيسا للجنة الطلاب . وكانت بلادنا ، سورية ، في ذلك الحين تغلي بالنقمة على فرنسا ، الدولة المنتدبة على وطننا ، لإتفاقها مع تركيا على تسليم هذه الأخيرة لواء الاسكندرونة السوري العربي . نظمنا لذلك مظاهرات الاحتجاج الصاخبة التي كانت تنطلق من مدرستنا إلى قلب

في يوم من أيام غريف عام ١٩٥٧ انزلت السيارة التي كنت أقودها على الطريق في جبل لبنان ، بين صوفر وشتورا ، فتدهورت نحو هوة عميقة على أجن الطريق ، إلى أن أوقفتها عن انحدارها قبل الهوة بقليل صخرة ألصقت وافي الصدمة بعجلتيها الأماميتين . كان حادثا مروعا نجوت منه بأعجوبة ، إلا أن أعصابي تحملته في حينه بهذه ، بل إنني وجدت فيه مادة لكتابة فصل جعلته مدخلا لرواية كنت - قبل يومين من ذلك الحادث - وعدت بكتابتها صديقي المرحوم رياض طه لينشرها سلسلة في مجلة «الأحد» وهي الرواية التي ظهرت بعد ذلك باسم «باسمة بين الدموع» .

نعم ، تحملت أعصابي ذلك الحادث في حينه

الشهيرة ، وطلبت مقابلته .

تلقاني الدكتور عبد الرحمن الكيالي رحمه الله متجهما ، ويأخذي بالتفريع على إخلاف ما وعدت به ، بصفتي ممثلا للطلاب ومتكلما باسمهم من التوقف عن التظاهر منذ اليوم . وعندما ترك لي مجال الكلام لم أحاول التنصل مما قاله ، بل أعطيته الحق فيه ، ثم قلت : ولكنك يا سيدي اتخذت قرارا ظالما . قال : كيف ؟ قلت : أنزلت بالطلاب وهم غير مسؤولين العقاب الذي لا يستحقه غير المسؤول عن الإخلاف ، وهو أنا ، وهذا هو الظلم يا صاحب المعالي !

فسألني : ماذا تعني ؟ قلت : أعني أن تعاقبي أنا . . . أطرفني من المدرسة اسبوعين أو أكثر ، وتكرّم بالغاء قرارك بإيقاف الدروس . تطلع الرجل إليّ بإمعان ثم قال : حسناً ، أنت طلبت هذا بلسانك . سأمر بفتح الثانوية ، أما أنت فاعتبر نفسك مفصولاً من الدراسة فصلاً نهائياً ، ولن تقلبك أي مدرسة في هذه البلاد ستجد قرار الطرد عند مدير مدرستك .

خرجت من مكتب الوزير فارغ الرأس ، أحس بخواء في تفكيري ، لا أستطيع معه أن أركز به على موضوع ما . طُرِدْتُ ، ضاع كل عمري السالف وتلاشت آمالي وآمالي في المستقبل .

وحين انتهت بعد سير طويل في أزقة حلب القديمة إلى ثانوية التجهيز ودخلت مكتب مديرها ، تلقاني هذا بوجه عابس وقال لي بلهجة بين التأنيب والاشفاق : أمرنا معالي الوزير باستئناف التدريس في كل الصفوف . فيها يتعلق بك ، سمح لك أن تعود إلى صفك ، وهو ينصحك بأن تحسن قيادة زملائك في الظروف الحرجة !

وهكذا عدت إلى الدراسة ولم أحرم منها . كان الخطر الذي حسبت أنه نزل بي آنذاك كبيراً ، إلا أنني ما شعرت حياله بحزن ولا خوف . □

المدينة فتغلق أسواقها ويشل الإضراب الحركة والمرافق المختلفة فيها ، ونحن نهتف في تظاهراتنا بسقوط فرنسا المستعمرة ونطالب حكومتنا الوطنية بأن تنسحب من الحكم وتتضخم إلى جانب الشعب في محاربه تلك الدولة الفاشية .

وإذا كنت وصفت تلك الحكومة بالوطنية فلائها كانت كذلك حقاً . فقد تشكلت بعد نضال هنيئ قبلت فرنسا بعده التفاوض مع الكتلة الوطنية التي قادت كفاح الشعب السوري من أجل الاستقلال ، فتألفت وزارة من هذه الكتلة أشرفت على المفاوضات . وكان وزير المعارف فيها هو الدكتور عبد الرحمن الكيالي ، ابن حلب نفسها . ولما تواصلت مظاهرات الطلاب وأخذت شكلاً شاملاً ، جاء الوزير الكيالي من العاصمة إلى مدينته ليهديء الحال .

دهانا الوزير ، نحن أعضاء لجنة الطلاب ، إلى مقابلته وقال لنا ماأراد قوله في هذا المجال . وختم كلامه بأن الحكومة لا تملك الصبر على ما نسبته بتظاهراتنا من تشويش وفوضى وتعطيل في المرافق ، وإنه في حال استمرارنا فيها سيضطر إلى إغلاق كل مدرسة يشارك تلامذتها بها . تبركناه على أن نلزم زملائنا بالسكينة وأن نستأنف الدوام على الدروس بكل انتظام في الغد .

وجاء الغد بغير ما وعدنا به ، إذ لم تنفع محاولات التهدئة التي قمنا بها فيه عند رفاقنا .

وكان رد وزير المعارف على تصرفنا سريعاً ، إذ أصدر في الحال أمره بإيقاف الدروس في ثانويتنا التي هي رأس الحربة في كل التظاهرات اسبوعين كساملين قابلين للتمديد . . .

قد يستهين الكثيرون بخطورة هذه الضربة ، إلا أنني كنت أقدرها في ذلك الحين حق التقدير . كانت الامتحانات العامة على الأبواب ، وهذا الإيقاف للدراسة يعني ضياع سنة كاملة على التلاميذ بكل فئاتهم . فتوجهت إلى حيث اتخذ الوزير مقره في مدرسة الصنائع قرب قلعة حلب

العربي

- مقالتي "والسنوات العجاف" استطاع: صادق بلي
- من قم الأطلس إلى سواحل الأطلسي استطاع: سامي طاهر
- حق تقرير المصير: البعد الفلسطيني د. أسعد عبد الحميد
- نحو فكر عربي جديد د. محمود عبد الفضيل
- النزاع على الموارد المائية د. مصطفى مرسي
- من دفتر الذكريات فهد الدويري
- "المياه الزرقاء" علاج بدون جراحة د. سعيد السليمي
- حول مشكلة العمالية عبدالرازق البصير
- الصناعة الكونية اليوم وغداً د. بهيّاين تشيرشوف
- سرتحدي حكومة جنوباً فريقاً للمواثيق الدولية د. سمير السقاري

وجه الوجه: د. محمد عابد الجابري ود. فقهري جدمان

مختار الشهر: ثلاثية الراحل د. سعيد هويدي

واقرا ايضاً للكتاب:

- ★ د. محمد الرميحي ★ د. غسان حناحت ★ خير الدين حسين ★ غائب طعمة فرمان
- ★ د. وجيه مندو ★ صفوان الشليبي ★ خالد قسطيني ★ د. محمود الذواوي

حصول

التاريخ القطري

بقلم : الدكتور شاكور مصطفى

كنا مجموعة ممن يعملون في التاريخ ، جمعنا المصادفة على هامش مؤتمر ، ودار الحديث بين هزل وجد ، فأمر من هنا ونكتة من هناك ، وكانت أحاديثنا تتطايّر تطايّر بعض الأوز البري الذي يلتقط صيده من النهر في سرعة السهام ، ثم ينطلق هارباً في القضاء . لكن التشويه المهني سرعان ما جرفنا ، فإذا بنا منخرطون في جدلية جادة حول دولتنا العربية القطرية تاريخاً وتكويناً . فكل واحد من الحاضرين يدلي بدلوّه ، وقلت :

اليك أن نكون ضدها حتى الموت منذ قرن أو أكثر ، وأن نكون معها حتى الموت بعد الاستقلالات وحرية المصير !

بين الأنانيات والرغبات

وانقسم القوم بين من يعد الحدود الإقليمية صورة من الواقع الإقليمي ، وبين من يصدها الشؤم كله ، ويدعو إلى نسفها . وكل من الطرفين يأتي على رأيه بالشواهد . حتى « فيلم الحدود » لدريد لحام دخل في الجدل والاستشهاد ، وقال أحد الحاضرين : المنطقة العربية كانت دوماً دولا إقليمية ، ما عرفت الوحدة المركزية إلا في العهد الأموي المتعق القصور ، ثم انفرطت الدولة الكبرى دولا ودويلات وأهواء ملوك ومغاضرين .

الذي أعرفه أن جميع دولنا على الإطلاق إنما قامت بأمر استعماري ، بتسوية بين الطامعين الأجانب . فنحن نمثل توازن التجزئات الاستعمارية التي دمرتنا في القرن التاسع عشر . كانوا يقررون ولا يطلبون حتى بصماتنا ! ما من حدود في الأقطار العربية على الإطلاق ، سواء بين بعضها بعضاً أو بينها وبين الدول الأخرى المجاورة وضعها عربي أو اشترك في وضعها عربي . كل التواقيع على وثائق الحدود التي نتمترس وراءها ، وندافع بشراسة عنها ، وضعها المستعمرون ، خاصة الإنكليز والفرنسيون والitalians والأسبان ، خطان فقط نجيا ، في سنة ١٩٣٢م وضع الحرب خطاً بين اليمن والسعودية . وفي أعقاب مشكلة البورقي كانوا موجودين لوضع الخط الآخر . ومضحك حتى



وفي اعتقادي المتواضع أنه ليس هناك تاريخ متمسك أعمق التماسك ، موحد أقوى الوحدة ، وقد راعى مثله العليا ما استطاع كالتاريخ العربي . ما عليكم إلا أن تغيروا موقع آلة التصوير فقط ليتغير المنظر إلى عكسه !

إننا نكتفي بما يطفو على السطح من أقدار السياسة ، وننسى التيار العميق الذي يحرك النهر . الذين يسمون ذلك التاريخ على أساس سزاعاته السياسية فقط يحقون كله سزاعات وحصومة كما تعص الثعابين بعضها بعضا كله تمزقات لا تكاد تتصل قطعة من أخرى (بالمرو أم نتيجة ضعف الحكام أم بالتراضي بينهم) إلا انقطعت قطعة ثالثة في جاب آخر ، فهي تعزى وتتهب وتدمر . ولا يكاد حاكم يموت حتى تتناول الأنابيب ترانه بالمقاسمة أو بالاستيلاء لا تكاد تجد وحدة سياسية قامت إلا على أنقاض وحدة أخرى أو أكثر ، ولكن !

وأجانب زميل كان يستمع ، وقد جعلت السنون وجهه ، وإن أوقلت عينه :

تلك نظرة قاصرة ، تنظر إلى شخوص المسرح على الخشبة ، ولا تنبذ إلى تكوين المسرح كله بمن فيه وما فيه . التاريخ ليس هو الرشيد والمستعصم ونابليون وشارلكان . إنه تسج لا أشد منه تعقيداً ولا أكثر منه تشابكاً ، وما يظهر منه على السطح أقل كثيراً جداً مما يختفي . الحملات التي تسلك من المحيط المتجمد الشمالي تدس في الماء تسعة أعشارها ، وتبرز العشر فوق الماء الدول الإقليمية - ولو أهانتها الجغرافيا - كانت وما تزال إلى اليوم تمثل أناسيات الحكام وأهواءهم ، ولا تمثل رغبات الشعوب .

ويتهمون التاريخ العربي بالفتنة . ويقول قائلهم : إنه مجرد خصوصيات سياسية ، تنتهي بتلمظ السيوف بالدماء . ما جلست محلاً نفتح فيه هذا الحديث إلا سمعت ذلك . نحن لقنأهم التاريخ معارك وأنبياءاً . صورة تاريخنا في أنفسنا لا أشبع ولا أشد مأساوية وقاماً . السود يحسرقها ويعيش فيها ، وإن كان الذين يرددون ذلك لا يدرون عن التاريخ ، ولا عن تلك الصورة إلا أقل من اليسير ، وقد لا يدرون شيئاً ، ولكنها الصورة المريحة لمن لا يريد أن يلتفت إلى الورا



الوجه الآخر

ولكن أما ينظر هؤلاء أولاً إلى الوجه الآخر للتاريخ ، إلى وجهه الثقافي ، والاجتماعي والاقتصادي ؟ الثقافة العربية في نسجها المتين ما تزال تجمع ١٨٥ مليون عربي في مدى فكري واحد . لكن القرآن الكريم قاعدتها الضخمة ، أو لتكن اللغة . ولكن أما كانت وما تزال توحد الناس بين مشرق ومغرب ؟ لقد كانت تنسج كل يوم ما تنفضه السياسة كل يوم . كزوجة أوليس ، بطل الايافة ، التي كانت تنفص في الليل ما تنسجه في النهار في انتظار زوجها ! الكتاب الذي كان يسافر - وهو مخطوط فرد - من أقصى بخارى وسمرقند إلى موريتانيا والأندلس كان حبالاً غير منظورة ، متصلة بحبل القرآن ، تربط المشرق والمغرب . أما كتاب ابن عبد ربه « العقد الفريد » في المغرب فقد كان كتاباً شاملاً في الأدب ، فلما قرأه المشارقة قالوا : بضاعتنا ردت إلينا ؟ والعلماء أما كانوا يهاجرون شرقاً وغرباً بين أقصى الأندلس وأقصى الهند وبلاد الترك ،

ويجدون في كل مكان ترحيباً ومودرةزق ماشاءوا المقام ؟ فابن بطوطة وهو الرحالة المتنقل قد عمل قاضياً في دمشق وفي الهند وسرنديب والصين ، ولم يقل له أحد : إنك غريب ! والحلاق المعادي كان يهجر مصر إلى البصرة أو فاس ، فيجد في صف الحلاقين كل المعونة التي يريد . ويجد هنا وهناك من يعينه بالمال والعدة ، ليتابع العمل في مهته ، وقد يجدون له الزوجة أيضاً ، في تضامن تمجذ عنه النقابات العمالية الحالية . لا شأن له ولا لهم بعواصف السياسة التي تمر فوق رؤوسهم بمصائبها . والتاجر تاجر بضاعته في القوافل بجوار فريقين يتحاربان فلا يمسا أحد . دنيا السياسة لأهلها ، ودنيا الناس للناس الذين يوجد لهم موقف واحد من الثقافة والحياة !

غاية واحدة

ويعدثونك عن اللوم والغدر وخيانات الحكام بعضهم لبعض بين إقليم وإقليم ، بل يتحدثون عن جرائم ظلم ونهب وعدوان . أنا لا أنكر شيئاً من ذلك ، ولكن هل قرأ هؤلاء الذين يزدرون تاريخهم الخاص هذه المقاصد فيه ، تواريخ الأمم الأخرى ؟ لو فعلوا لوجدوا تاريخنا تاريخ القديسين أحياناً أمام الآخرين . ليس ثمة تاريخ لامة هل الأرض لم يتهك فيه « قدس » الإنسان بأقل مما انتهك في التاريخ العربي . ولم يصب من الأحقاد والتمزق والدماس والجرائم الدينية ما يزري ، لكل ما جرى عبر التاريخ العربي في أقطاره المختلفة . هل أنك أحدث التاريخ الفرنسي في جرائمه وجنونه وذنابه ؟ هل أنك أحدث الانكليزي أو الأسباني أو الروسي أو الايطالي ؟ قدرة الإنسان واحدة بكل مكان ، طيته التي صنع منها هي طين الأرض ، فأوحاها ما تزال عالقة به ، مؤثرة في أعماق وجدانه ! فلماذا نطالب أنفسنا ظلياً بأن نكون وحدنا المثاليين ؟ ولماذا هذه « المأسوسية » التي نجعل بها



أجسادنا صباح مساء ؟ التاريخ الإنساني كله غاية وإحداة ، فيها النسر والقمرى ، وفيها الحزيت والصبح والأفاهى ذات الفصح ! .

أقول هذا لأصل إلى أن الدول الاقليمية السابقة إنما قامت وكثرت وتقاتلت بسبب أنانيات الحكام ، دون أن ننسى بالطبع أبداً عامل التباعد الجغرافى الذى أحانهم على ما غرقوا فيه ومهد لهم .

على أن المشكلة ليست في التاريخ نفسه ، ولكن في معظم من كتبوا التاريخ . لقد سجلوا الصابر السياسى ، وهو الأقدار الطافية على السطح ، ولم يروا ولا استطاعوا تسجيل التيار العميق . ربما كان الذين سجلوا التراجم منهم فعلوا شيئاً ، سجلوا من خلالها التاريخ الفكرى للحرب كله ، كما لم يسجله أي تاريخ على الأرض دقة وشبكات متتالية من الأساتذة والطلاب وطلاب الطلاب ، وسجلوا خللله وفي ثناياه الكثير من التاريخ الاقتصادى الاجتماعى ، لكنهم مع الأسف لم يصلوا ذلك كله بالتاريخ السياسى ، كأنها عالمان مختلفان ، ذكروه عرضاً فهو على الرغم من شموله الأقطار العربية كلها من وراء كل الفسيفساء السياسية التى يصنعها الحكام ، كان فتاتاً من الفتات ، فنحن نتعامل مع ما كتبوا كالمعيان في مصنع الحزف ، نلوح بالعصا لنصرف الطريق ، فإذا بنا نكسر الأنية .

وسائل سائل من القوم :

هذا قد يكون صحيحاً كله ، ولكن آلت ترى أن رواية التاريخ السياسى كانت العمود الفقري الذى قامت عليه تواريخ الناس ، وتاريخنا نحن معها ؟ ثم آليس التاريخ القطري حقيقة واقعة ، وقد كتبنا تواريخنا قطراً قطراً من قبل ، بل وقطراً منفصلاً عن الآخر أيضاً ؟ وانبرى الزميل يجب . قال :

السؤال شقان ، وفي كل منها مغالطة فكر ! صحيح أن تواريخ الأمم الأخرى تقدم التاريخ السياسى ، ولكنها جهدت حتى قنيت المعيون ،

لتبرز بجانبه التاريخ الثقافى والاجتماعى والاقتصادى الذى يلمها ، ويجعل منها وحدة متماسكة ، يؤدى فيها التاريخ دوره الموحد . أما نحن فتكلم عن صلاح الدين ألف مرة ، أكثر مما نتكلم عن أزمته الاقتصادية . ونحصى معارك الردة وما تلاها ، ولا نكاد نذكر الانقلاب الاجتماعى الذى رافقها ، وكان في قاعدتها . ونحرمنا شخص المنصور أو الرشيد والبرامكة دون أن نتنبه أو ننبه إلى الخيوط النفسية أو المرصية أو الاقتصادية التى تحركها . . هذا شئ !

عيال على الغرب

أما الثانى حول قطرية التاريخ التراثى ، فنحن فيه عيال على الغرب . وكعاد بعض المحصور يصبح ، فطمأنه المتحدث بيده وتابع :

بل ! نحن فيه عيال على الغرب أكثر منا على أنفسنا . صحيح أن كتبنا التراثية تتحدث عن الأقطار والدول فيها ، ولكننا لم نأخذ هذه الطريقة عنها كما أخذناها عن الغرب ، ولم نلتزم بشروطها التى كان يلتزم بها الأولون ، وهي شروط الربط بين الأقاليم والأقطار بقدر ما أخذناها عن الغرب الذى كان همه أن يقيم من كل قطر فيها كياناً مستقلاً منفصلاً عن غيره .

والأولون منا معلومون ، فالبعد الجغرافى كان يرمقهم عتاً ، ويمتهم من رؤية ما وراءه في الأرض ، فهم يتلمسون ذلك تلمساً . ولكن ما علرنا نحن بعد هذه الشورة في الاتصالات اليوم ؟ ولقد كانت حدود الدول في القديم محدودة الأفاق بإطار الجغرافى ، وإطار قوة الحاكم ، ومدى طول سيفه ، فهي تسع تارة وتضمر أخرى ، وتشمل اليوم منطقة وتدع غداً أخرى ، لم تكن ذات إطار محدد . يصل الفاطميون شمالي الشام ، ثم يكفون فيتقوصون في مصر . ويمتد المرابطون ثم الموحدون إلى الأندلس ، ثم يكتفون بالمغرب الأقصى . ويمتد العباسيون ما بين تونس والهند

في الأحداث السياسية أو في تراجم الرجال . لم يكن تفتت السلطة يستتبع في وعيهم التاريخي تفتت الأقطار وانفصال بعضها عن بعض .

البنية التاريخية الواحدة كانت على الدوام سائلة على أقالهم وفي جباههم . وقال المتسائل :

كانك تقول : إن ظهور تواريخ باسم المغرب أو العراق أو اليمن هو قفزة إلى الوراء ، إن لم تشمل التاريخ العربي ، وأنا أراه ضرورة وقفزة إلى الأمام في كل الأحوال . إنه على الأقل يمهّد السبيل ، لجمع هذه التواريخ الإقليمية فيها بعد ، تماماً كما نشهد اليوم لقاء الدول الإقليمية وتعاونها أو تحادها .

لو كان الأمر بهذه السهولة الساذجة لخدمته . ولكننا لا ندري أننا بهذه العملية التجزئية القادمة إلينا مع العواصف الغربية (واسمحوا لي أن أكرر هذا) إنما ننهي بأيدينا ، وبشكل عميق ونهائي ، الإقليمية السياسية .

نعمطينا الأسس الراسخة ومبررات الوجود ، ندمر وحدتنا الثقافية الاجتماعية . إن هدم الحواجز بعد بنائها في نفوس الأبناء والناس أصبح كثيراً وأدهى بكثير مما تصور ، إنها ترك جروحاً وتشوهات في الروح القومية ، ما تصيبها هزة إلا وتعود فتتكسر . إن تسجيل وجهات النظر التي تؤيد الوضع القطري ، وتعمل على بلورته ، ولا تنظر إلى المدى الرحب الذي يتصل به رحيا ، لا يقزم الرؤية فحسب ، ولكن يقلتها .

إنها جراح في الروح ! إننا لا نتعامل مع حجر واسمنت نشيده ونحطه ونغير شكله ، ولكن نتعامل مع أبنية فكرية إنسانية ، متى استقرت فمأها من هادم ولا مغير . إننا نتحرر حرياً ولا ندري ! فلما كتابة التاريخ العربي من منطلق وحدوي أو فليق عمقاً لدى الطبري وابن الأثير حتى يأتي من يكتبه تاريخ أمة واحدة .

وتركستان ، ثم يصبحون إمارة صغيرة حول بغداد . وكلها دول . ويسجلها الأقدمون دولاً في إطار الإسلام الموحد والثقافة العربية الشاملة .

أما اليوم فنحن نؤرخ الدولة الإقليمية على أنها كيان قائم بذاته ، كما يؤرخ الفرنسي لفرنسا والأسباني لمملكته الخاصة . لا نسجل الوشائج العميقة التي تربط المغربي بالمشركي ، ولا نائبه بها ، مع أنها الأصل والأساس . بهذا المفهوم والمنهج نحن . بل ! عيال على الغرب ، نقلده ونحن مسرورون ، وينظر إلى حماسنا ويتسم . لقد انتصر على الوحدة العربية بأيدي أبنائها أنفسهم ، ويسم الحداثة والموضوعة ! نحن في ذلك نساهم دون أن ندري في تخزيق أنفسنا .

المنظور الوحدوي

لست أريد بهذا ألا يكتب كاتب أو مؤرخ عن قطره ، أبداً ما إلى هذا أقصد ، ولكنني بل أريد أن يبقى المنظور الوحدوي في خلفية جميع تواريخنا القطرية . هل رأيت مؤرخاً فرنسياً يسجل تاريخ البروفانس إلا وعينه ترمق فرنسا كلها ؟ وهل يكتب انكليزي تاريخ ويلز أو اسكوتلند دون أن يصله رحيا بالتاريخ الانكليزي ؟ ومن ذا الذي يكتب في إيطاليا تاريخ صقلية وحدها ، ويحل التاريخ الايطالي كله ؟ إن المنظور الوحدوي هو الذي نفتقده ، وافتقاده هو الذي يسهم في زيادة الحواجز الإقليمية بين أقطارنا ، ويفتح أعيننا دهشة كالمجهولين حين نشهد لقاء أحدها بالآخر لقاء أخوة صحيح !

إنني لأترحم على الطبري وابن الجوزي وابن الأثير والعيني ، حتى لا كاد أنتهج منهجهم الحولي ، كتبوا تاريخنا عمقاً سنة بعد سنة ، ولكن كتبوه شاملاً ، كانت نظراتهم تقوم على وحدة الوطن العربي الإسلامي . حتى المؤرخين الإقليميين ، وحتى مؤرخي المدن لم يكونوا يفتقدون هذا المنظور الشامل شرقاً وغرباً ، سواء

أربع مقولات

وقال قائل :

كأنك بيلد الخطبة المصياء دون كيشوت

العصر ، تدنين ...

أنا لا أدين أحداً أبداً ، وإنما أدين النظرة الضيقة ، أدين هذه الغواية التي ركضت بنا ، فنحن هائفون عليها . أدين ذلك التناقض الذي نعيشه ، نثبت الحدود الإقليمية بأيدينا وألسنتنا ، ونريد بعد هذا أن نقيم الوحدة من فوق ذلك . اقتسمنا كالورثة الفاسدين إرثنا ، وراح كل فريق منا ينفرد بقطعة منه ، والهوة بين الأقطار تعمق وتعمق . وإذا كان المستقبل لأهل الكتل الكبرى فإننا نصنع قبورنا بأيدينا ، فالتناس تخشى إلى التجمع والتكتل ونحن نسير بالعكس إلى التفرق والكتل الصغرى ، كالذي يروى الحديث النبوي من القوم الذين ركبوا سفينة ، فقال كل منهم هذا مكاني أصعب به ما أشاء فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

وسأل سائل مل الحديث والاستماع :

إلى أين تريد أن تصل بنا في هذا الحديث السياسي التاريخي في وقت معاً ؟ لقد ضاع علينا الطريق !

بول فاليري ، الشاعر الفرنسي المشهور ، له كلمة في التاريخ ، قال : إنه أخطر كيمياء ابتدعها العقل البشري ، إنه يقدم الأدلة والحجج لكل من يطلبها ، ويبيع وثائقه لكل مشتر . وإنما أردت إلى مقولات أربع :

الأولى : أن كل محزقاتنا التي نشهدها ونعاني في تاريخها . وكل جماعة تصوغها على هواها ، فالإقليمي تاريخه ، وللمساووني تاريخه ، ولليبرسي وللقبطي أيضاً . المستقبل تبنيه التواريخ الكبرى ! المنطلقة من الأرواح الكبرى

الشاملة ، لا المجتمعات الثانوية الفلسفية .

الثانية : أن التاريخ الحقيقي ليس تاريخ الحكام ، فإنهم أهون شيء فيه ، فخصوماتهم التي سالت بها السيوف ، وذهبت الشرايين ، وحفت سنايك الحبل ، كانت أشباحاً عابرة في التاريخ ، أما التاريخ الحقيقي فهو تاريخ مئات الألوف من رجال العلم الذين نسجوا وحدة هذه الأمة بين شرق وغرب ، وهو تاريخ الملايين بعد الملايين من الصنائع والتجار والزراة الذين آمنوا وظلوا يؤمنون بأسرين : الانتاج وأخوة العربي للعربي ، وهو تاريخ الفنانين ومشهدي الأبنية الخالدة وصاغة السيوف المجوهرة والأباريق والمحارب المزخرفة والمذئذنة التي تعلو لتذكر الناس أن الله أكبر ! . إن تاريخنا موحد بهم . ولو أنك لا تستطيع أن تبين سلامح واحد منهم ! هؤلاء هم هيكل البناء التاريخي وحجارته وأعمدته . أما الحكماء فليسوا أكثر من الزخارف السطحية على الجدران ، تبهر ولكنها لا تقيم هيكلها .

الثالثة : أن كتابة التاريخ القطري دون منظور عربي شامل ليس نقصاً فحسب ، ولكنه إساءة للتاريخ القومي وجرح لمنفوانه ! ، إنه توطيد وتدعيم للقطرية ، ولتجزئة ما وحده الله والدين والثقافة .

الرابعة : أن بناء الإقليمية والقطرية تاريخياً ، ثم الاتجاه إلى الوحدة ، أمران متناقضان ، فالبنية الفكرية تفرض في الأعماق لتصبح جزءاً من التكوين ، وهيئات أن يستعاد التكوين ! .

ونظر المتحدث أخيراً في أصحابه وقال : هل كشفتم يا ترى مسؤوليتكم في هذا الذي يجري اليوم على الساحة العربية من محزقات أو مجتمعات ؟ وهل كشفت موقفك ؟ □

تعريفات

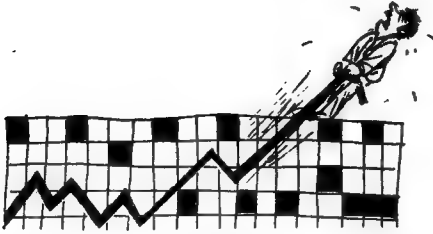
- المواجهة هي أقصر الطرق للوصول إلى الهدف .
- الطفولة هي أصدق فترة يمر بها الإنسان على امتداد رحلة حياته .



تَرْقِينَ آلَعَنَا فِي الْمَسَاءِ
تَقُولِينَ :
جَلُّوا بِمَاءِ الضَّحَايَا
وَعُثُوا مَعَ الرِّيحِ عَنْ مَوَاطِنِ
صَارَ فِي الرَّاحِلِينَ
وَمَا رَأَى مِنْهُ عَلَى وَجْهِهِ الْإِنْتِظَارِ
بَقَايَا !
تَرْقِينَ آلَمَنَا
تَضْحِكِينَ
تَقُولِينَ : كُلُّ التَّقَارِيرِ مُؤَبَّوَةٌ
وَالْبَسُوسُ
لَهَا عَوْدَةٌ لِلدَّهَارِ
وَلَعِبَةٌ مَوْتٍ جَدِيدِ التَّضَامِيلِ
يَمْتَدُّ مِنْ (طَنْجَةِ) الرُّوحِ
حَقٍّ (ظَفَارِ)
تَقُولِينَ عَنْ كَاهِنِ الْحَيِّ أَشْيَاءَ :
يَأْتِي صَبَاحُ
وَلَكِنْ بَلَا دَهْشَةٍ أَوْ ضِيَاءِ
وَيَأْتِي زَمَانٌ تَتَنَزَّلُ لَهُ أَضْلَعُ
الْيَدِ
تَبْكِي الرُّؤْيَى
حِينَ يَخْتَضُّ وَادِي الْغَضَا
بِالدَّمَا !

غَبِثْتُ حُسْنِكَ ، لَا غَبِثْتُ أَحْزَابِي
أَمْضَيْتُ خَلْقَكَ مَذْ عُلَّقَتِي عُمُرًا
مَا كَانَ أَسْمَدِي فِيهِ وَأَشْقَانِي
وَصُنْتُ وَجْهَكَ يَمَّا قَدْ يُحِيطُ بِهِ
بِمَا تَقْدُسُ مِنْ آيَاتِ حَرَمَانِي
غَذَيْتُهُ فِي لَفْظِ الْأَوْقَاتِ مَا وَسِعَتْ
أَنْسَاغُهُ الْبَيْضَ مِنْ شَرِيَانِي الْفَانِي
وَحِينَ غَبِثْتُ صَبَاحَ الْوَعْدِ أَشْأَلُهُ
وَرُودًا تَبَسُّمَ عَنْ أَنْيَابِ شَيْطَانِ !
فِي أَهْلِ الشَّرَفَةِ حَصْفُورُ
فِي الْأَسْفَلِ نَائِلَةُ خَبْرِي
يَبْتَهِجُ الْمَصْفُورُ بِفَجْرِ يَحْمِلُ طَائِقَتَهُ
مِنْ لَفْظِ الْمَوْتِ
وَتَصْطَفِقُ النَّائِلَةُ الْخَبْرِي
حِينَ يَنْزِلُ سَجِينٌ مِّنْ لَّنَحِ سَيَاطِ
الْحَقْدِ وَيَكْبِي
زَوْجَتَهُ
وَالطَّمْلُ السَّابِعُ
وَالْعَفْوُ الدَّوْلِيُّ
وَأَشْيَاءُ أُخْرَى .
فِي أَهْلِ الشَّرَفَةِ حَصْفُورُ
فِي الْأَسْفَلِ نَائِلَةُ
فِي الْقَلْبِ الْفَاجِعَةُ الْكَبِيرَى !

● شاعر من دير الزور - القطر السوري .



النمو الاقتصادي

لماذا يتعثر في الوطن العربي ؟

بقلم : الدكتور نعيم الشربيني *

إذا كانت قضية تطوير الاقتصاد الوطني ، وتلبية احتياجات السكان المتنامية ، هي أخطر التحديات التي تواجهها دول العالم الثالث ، وفي قلبها الوطن العربي ، فإن التجارب العالمية المختلفة ، تؤكد ضرورة توافر شروط أساسية ، لتصل عملية النمو الاقتصادي إلى مستواها المنشود ، فما هذه الشروط ؟ وهل أخذت بها التجارب العربية في النمو الاقتصادي ؟ ..

على أيديهم . العرب على مشارف القرن الواحد والعشرين مازالوا يعملون في الزراعة والرعي والتجارة ، والعالم من حولهم يعمل في صناعات المحركات النفاثة والطاقة النووية والاتصالات الالكترونية . ماذا حدث ؟ وكيف نستفيد مما حدث لنطور أنفسنا ومجتمعاتنا ؟

إن أهمية معرفة ماحدث ، وكيف نستفيد

كان العرب في صدر الإسلام يعملون في الزراعة والرعي والتجارة ، والعالم من حولهم لا يختلف كثيراً عنهم . وكانوا في القرون الوسطى يعملون في صناعات الحديد والزجاج والتشيد ، ويعملون مشاغل الحضارة والنور المحرق ، والعالم من حولهم مبهور ، ينهل من ذلك المصدر ، ويتعلم وينقل ويتكيف ويتطور



* اقتصادي أول بدائرة حزب الرقيا الاستوائية بالبنك الدولي بواشنطن .

منه ، ليس من أجل حياة أفضل للجيل الحاضر فقط ، لكن من أجل أجيال قادمة لما تولد بعد . هذه هي مسئولية المثقفين العرب إزاء أنفسهم وأمتهم .

وإن إشارة الأسئلة حول مشاكلنا الاقتصادية ، لابد أن تدفعنا للاستفادة من تجارب علمية عديدة ، تراكمت خلال القرنين الماضيين . ولاشك أن الاقتصاديين سيتوقفون كثيرا عند ظاهرة النمو الاقتصادي ، بحسبانها من أهم الظواهر ذات التأثير المتميز على الاقتصاد العالمي خلال تلك الفترة الطويلة ، فالنمو الاقتصادي محصلة عدة عوامل ، تتضافر فيها بينها ، لتوسع القاعدة الانتاجية في المجتمع توسيعا مستمرا على مر الزمن ، وهل الرغم من تباین هذه العوامل باختلاف البلاد ، بل حتى بالنسبة للبلد الواحد في فترات زمنية متفاوتة ، فإننا نجد قاسما مشتركا بينها .

ما النمو الاقتصادي ؟

هناك خاصيتان متلازمتان للنمو ، لا يجهز التفكير في واحدة منهما دون الأخرى . الخاصية الأولى الاستهلاك المتزايد للسلع والخدمات على مر الزمن . ويظهر هذا بوضوح في الاستهلاك العائلي ، خاصة للسلع المعمرة ، والخدمات المتميزة . فاستهلاك سلع مثل السيارات والثلاجات والفسلات الميكانيكية وكل المعدات للأحیال المنزلية والأغراض الترفيهية يتباين بين الأسر المختلفة وفقا لمستوى الدخل في كل منها .

أما الخدمات المتميزة ، مثل السياحة الداخلية والدولية ، أو التعليم الأجنبي ، أو العلاج التخصصي ، فيتباين استهلاكها كذلك بين الأسر المختلفة وفقا لمستوى الدخل في كل منها ، بل حتى بالنسبة للأسرة الواحدة على مر الزمن . الخاصية الأولى في عملية النمو الاقتصادي إذن هي الزيادة المطردة للاستهلاك ، سواء في السلع المعمرة وغير المعمرة أو الخدمات وبخاصة

التميزة منها .

أما الخاصية الثانية فتمثل في زيادة إنتاج المجتمع سنة بعد أخرى ، وهذا بعد آخر ، وذلك عن طريق خلق وحدات إنتاجية جديدة ، أو التوسع في حجم الوحدات الانتاجية القائمة . ويتحقق ذلك التوسع الانتاجي عن طريق زيادة استثمارات المجتمع التي يتم تمويلها من مذكرات الأسر على مر الزمن . وبطبيعة الحال يؤدي هذا التوسع الانتاجي إلى زيادة العمالة وارتفاع دخول العاملين ، وهو ما يسمح بزيادة الاستهلاك وزيادة الاستثمار ، وهو ما يؤدي مرة أخرى إلى زيادة الإنتاج . وبعبارة أخرى فإن النمو الاقتصادي يحتوي على آلية ذاتية ، تسمح بالاستمرار فيه على مر الزمن .

من هنا تتضح غرابة الوضع الاقتصادي في الأقطار العربية النفطية التي حصلت على ريع غير متوقع بارتفاع أسعار النفط أثناء السبعينيات ، مما سمح للمجتمع ككل بالتوسع السريع في الاستهلاك دون أن يقابله توسع يذكر في الإنتاج ، لأن إشباع الحاجات الاستهلاكية قد تم عن طريق الاستيراد ، وهل الرغم من توسع القاعدة الانتاجية في الأقطار النفطية خلال الخمسة عشر عاما الماضية فإن معظم الحاجات الاستهلاكية في تلك الأقطار مازال يتم إشباعه عن طريق الاستيراد .

علاقات وديناميكية دائرية

وبالنظر إلى عدة مجتمعات مارست النمو الاقتصادي قبل غيرها ، مثل المجتمعات الصناعية القديمة والحديثة ، استطاع الاقتصاديون الوصول إلى نتائج مهمة ، يمكن أن تنطبق على المجتمعات النامية ، مثل مجتمعاتنا العرب ، من أهم هذه النتائج وجود علاقة طردية بين حجم الإنتاج في المجتمع من ناحية ، وحجم السكان ومستوى دخل الفرد في المتوسط

ما يقرب من (١٠٦٠٠) عشرة آلاف وستائة مليار دولار، منها حوالي (٣٠٠٠) ألفي مليار دولار، نصيب البلاد النامية، أي ١٩٪ من المجموع. والجدير بالذكر أن حجم الناتج في العام نفسه في الأقطار العربية مجتمعة كان في حدود ٣٣٠ مليار دولار، وهو ما يعادل ٣٪ من حجم الإنتاج العالمي.

وإذا كان من الصعب تقسيم عملية النمو الاقتصادي في وطننا العربي قبل الخمسينيات لعدم توافر البيانات الإحصائية من ناحية، ولأن فكرة القومية العربية المنادية بوطن واحد لم تكن قد توطدت في عقول الناس من ناحية أخرى، لكن من الثابت أنه لو نظرنا إلى الأقطار العربية النفطية كجمموعة، والأقطار العربية غير النفطية كجمموعة أخرى، فإننا نلاحظ أنه في عام ١٩٦٠ كان مجموع الناتج القومي الإجمالي في الأقطار غير النفطية ككل يزيد عن مثيله في الأقطار النفطية مجتمعة. على أن تباین معدلات النمو في المجموعتين أثناء الستينيات قد أدى إلى انعكاس هذه الصورة.

ففي خلال فترة ١٩٦٠ - ١٩٧٠ زاد مجموع الناتج القومي الإجمالي في الأقطار غير النفطية بمعدل ٣,٣٪ سنوياً، بينما زاد مجموع الناتج القومي الإجمالي في الأقطار النفطية بمعدل ٦,٨٪ سنوياً. وكانت النتيجة أن الناتج القومي في الأقطار النفطية قد زاد عن نظيره في البلاد غير النفطية عام ١٩٧٠ بما يعادل الخمس، أما في السبعينيات (١٩٧٠ - ١٩٧٩) فقد ارتفع معدل نمو الناتج القومي في المجموعتين، لكنه كان في حدود ١٦٪ سنوياً في الأقطار النفطية، بينما وصل إلى حوالي ٦,٥٪ سنوياً في الأقطار غير النفطية، وهو ما أدى إلى ارتفاع الناتج القومي في الأقطار النفطية إلى ما يقرب من ثلاثة أمثال نظيره في الأقطار غير النفطية عام ١٩٨٠ م.

وبعبارة أخرى، فإنه ابتداء من عام

من ناحية أخرى. العلاقة بين الإنتاج والسكان علاقة «ديناميكية»، دائرية، فتتمو حجم الإنتاج يتطلب نمو حجم المعالة، وهذا يؤدي بالضرورة إلى نمو حجم السكان الذي يؤدي بدوره إلى نمو الاستهلاك، وهو ما يؤدي إلى اتساع الأسواق أمام الوحدات الانتاجية، مما يحفزها لزيادة حجم الانتاج، وهكذا. والمحلل الحقيقي لنجاح عملية النمو الاقتصادي هو الزيادة المطردة لمستوى دخل الفرد في المتوسط، وهو ما يتوقف على العلاقة بين معدل نمو الانتاج ومعدل نمو السكان، فإذا زاد الانتاج بمعدل أعلى من زيادة السكان ارتفع دخل الفرد في المتوسط، وإذا حدث العكس تدهور مستوى دخل الفرد في المتوسط.

وإصطلاح الإنتاج ينطبق على النشاط الاقتصادي في الوحدات الانتاجية الصغيرة التي يعمل فيها فرد واحد أو أسرة واحدة بمعدات بدائية وطاقات حيوانية لتغطية بعض حاجاتهم الاستهلاكية، مثلاً ينطبق على المصانع العظيمة التي يعمل فيها عدة آلاف من العمال بمعدات الكترونية وطاقات كهربائية هائلة. ولا يقتصر الإنتاج على سلع مثل الغذاء والملابس ومواد البناء، وإنما يشمل الخدمات، كالتعليم والصحة والاتصالات. وبالنظر إلى المجتمع ككل، فإنه إذا ما أضفنا جميع السلع والخدمات التي تنتجها الوحدات الانتاجية باختلاف أشكالها وأحجامها على مدى فترة معينة (اصطلاح على أن تكون عاماً كاملاً) فإننا نصل إلى ما يطلق عليه الاقتصاديون «الناتج القومي الإجمالي». هذا التعميم من مستوى الوحدة الانتاجية إلى مستوى المجتمع ينطبق على المجتمعات الإنسانية، بغض النظر عن مستوى التقدم الاقتصادي فيها، أو التنظيم السياسي الذي يحكمها. وبمجموع الناتج القومي الإجمالي في هذه البلاد جميعاً هو الإنتاج العالمي.

ولقد بلغ حجم الانتاج العالمي عام ١٩٨٥

لفترات طويلة من التغيرات الكلية من الناتج القومي إلى المدخلات اللازمة من عمل ورأس مال . وربما كان الاستثناء الوحيد - حسب علم الكاتب - هو الدراسات الكمية التي تمت في الخمسينيات من نحو الزراعة المصرية ، والتي قادت بها مدرسة من الاقتصاديين القياسيين ، بقيادة أستاذنا الدكتور محمد محمود الإمام ، ومنها يتضح أهمية عنصر العمل في نحو الإنتاج الزراعي .

ويمكن تلخيص نتائج دراسات النمو الاقتصادي التي ظهرت عالميا خلال الثلاثين عاما الماضية في عدة أمور ذات أهمية خاصة في مجال رسم السياسات الاقتصادية :

أولا : أن التقدم الفني والمعرفي من أهم عناصر النمو الاقتصادي في العالم بأسره .

ولا بد من الإشارة إلى أنه حتى تساهم هذه المعرفة في التطور الاقتصادي كان لا بد من امتصاص هذه المعرفة ، وتطبيقها في ثلاثة مجالات : في مجال رأس المال ، حيث تظهر الأفكار الجديدة في صورة مخترعات ، ترجم عاجلا أو آجلا إلى معدات رأسمالية جديدة ، قادرة على إنتاج سلع جديدة تماما ، أو إنتاج سلع قديمة بكفاءة أعلى وتكاليف أقل . وفي مجال العمل ، حيث تتطلب الطاقات الإنتاجية المتطورة تحسنا في المهارات الموجودة عن طريق التدريب أو مهارات جديدة يفرزها النظام القائم . وفي مجال التنظيم والإدارة ، حيث يربط رجال الأعمال ما يظهر في الأسواق من معدات جديدة بما هو مطلوب في أسواق العمل من مهارات متطورة . ومساهمة المعرفة في النمو الاقتصادي تتوقف على هذه التطبيقات جميعا ، وفي آن واحد .

ثانيا : أن تراكم رأس المال الذي كان مصاحبا لعملية النمو الاقتصادي حدث بطبيعته في صورتين متلازمتين : زيادة حجم المدخرات (رأسال نقدي) ،

١٩٦٠ ، قد ضاعفت الاقطار العربية غير النفطية الناتج القومي بحلول عام ١٩٧٥ ، أي خلال ١٥ سنة ، بينما استطاعت الاقطار النفطية مضاعفة ناتجها القومي بحلول عام ١٩٧٠ ، أي خلال ١٠ سنوات فقط ، ثم ضاعفته بعد ذلك بمرتين بحلول عام ١٩٧٥ ، أي خلال خمس سنوات فقط ، وذلك نتيجة لأعلى معدلات نمو في السبعينيات حظيت بها أي مجموعة من الدول .

العمل البشري يتقدم على رأس المال

حتى نفهم طبيعة عوامل النمو الاقتصادي في الاقطار العربية عموما، وربما كان من الأفضل إلقاء نظرة على الساحة العالمية ، فلقد تبين من الدراسات العديدة عن الاقتصاديات الصناعية في غرب أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا أن نحو الناتج القومي كان نتيجة تضافر ثلاثة عوامل أساسية : أولها زيادة حجم قوة العمل وتحسن نوعيتها ، وثانيها استمرار تراكم رأس المال ، وثالثها تحسن حالة المعرفة على وجه العموم ، والمعرفة الفنية على وجه الخصوص ، وانتشار تطبيقاتها ، سواء في المهارات المتطورة أو في المعدات التقنية الجديدة ، وهو ما يطلق عليه مجازا اصطلاح «التقدم التقني» .

بل لقد أمكن قياس المساهمات النسبية لكل من هذه العوامل ، واتضح منها أن عنصر العمل (كثما ومهارات) كان يعد مسئولا عن أكبر مساهمة نسبية في نحو الناتج القومي . تزيد عن النصف في كل البلاد التي تمت دراستها ، وتصل إلى الثلثين في عدد لا بأس به من تلك الدراسات . بينما ساهم عنصر رأس المال (بما يحتويه من تقدم تقني) في نحو الناتج القومي بنسبة تتراوح بين الثلث وأقل من النصف بقليل . والجدير بالذكر أن هذا النوع من الدراسات الكمية عن نحو الاقتصاد العربي لما يتم بعد ، نتيجة لعدم توافر البيانات الاحصائية اللازمة

الشغل الشاغل للحكومات والشركات الكبرى ، فزاد الاتفاق على التعليم العام والفني . ولا تكاد أي شركة تخلو من نظم تدريب العاملين فيها على استخدام التقنية الجديدة . صحيح أن حكومات كثيرة قد رفعت شعار الاهتمام بالتعليم ، لكن العبرة في كيفية استخدام نظم التعليم كقوة حجة التنمية الاقتصادية ، فمجرد زيادة الإنفاق القومي على التعليم بأوجهه المختلفة لا يضمن بالضرورة خدمة أهداف التنمية ، أو الإسراع بمعدلات النمو الاقتصادي . وفي وطننا العربي ، على الرغم من ارتفاع الإنفاق الحكومي على التعليم ، وعلى الرغم من تخرج أعداد متزايدة من الطلبة ، فإن نظم التعليم عندنا تمر بأزمة ، لعدم قدرتها على الوفاء باحتياجات التنمية الاقتصادية من القوة العاملة والمهارات من ناحية ، وتزايد البطالة المقتمة والسفارة بين صفوف المعلمين من ناحية أخرى .

خامساً : أنه حتى لو توافرت كل العناصر السابقة ، فقد أوضحت الدراسات العديدة أن التنمية الاقتصادية لا تتم ما لم تتوفر الأعداد الكافية والنوعية المتميزة من المنظمين ورجال الأعمال القادرين على تحمل المخاطر اللازمة لإقامة المشروعات الانتاجية وإدارتها لإشباع حاجات المستهلكين . والمخاطرة هي المحك الأساسي لقدرة رجال الأعمال ، فمن طريقها يتم تصنيفهم وفرزهم إلى قادرين وغير قادرين . غير القادرين يتم استبعادهم بطريقة أو بأخرى عن مجالات الانتاج ، أما القادرون فيتم تصنيف قدراتهم وفرزهم وفقاً لمقاييس أخرى ، من أهمها المعرفة الفنية والمالية والإنسانية . المعرفة الفنية لا تنحصر في تقنية الإنتاج وحسب ، وإنما تمتد إلى تطورات الأسواق والأذواق . أما المعرفة المالية فتشمل التخطيط المالي والإدارة المالية التي تربط النواحي الفنية بتكاليف المشروعات وإيراداتها ، لضمان تحقيق الأرباح في الأمد

واستخدام المدخرات المتزايدة في تمويل الإنشاءات والمعدات الرأسمالية والبنية التحتية اللازمة لعملية الانتاج (رأس المال عيني) . بعبارة أخرى ، فإن ازدياد المدخرات كان شرطاً ضرورياً ، لكنه لم يكن كافياً لتراكم رأس المال على الصعيد الدولي . أما الشرط الكافي فكان في استثمار تلك المدخرات في إنشاء المصانع والموانئ والطرق ، وتركيب المعدات والآلات ، وهدم الطرق والجسور وشبكات الكهرباء ، وإقامة المساكن والمدارس والمستشفيات . ولقد حدث هذا في الأقطار العربية منذ الخمسينيات ، لكن معدلات التغير كانت ملحوظة في الأقطار النفطية على الأخص منذ السبعينيات ، حينما قفز حجم المدخرات قفزات كبيرة مع ارتفاع أسعار النفط ، وهو ما أتاح الموارد اللازمة مباشرة لتمويل الاستثمارات الضخمة في البنية التحتية لتلك المجتمعات .

عناصر أساسية تقتضيها

ثالثاً : أن كثيراً من الوحدات الانتاجية الكبيرة والحكومات المستترة في مختلف البلاد أصبحت تخصص موارد لا يستهان بها لتطوير الأبحاث والمعرفة الفنية ، من أجل إفراز مخترعات جديدة ، تساهم في تعميق عملية التنمية الاقتصادية ، وفي زيادة أرباح المساهمين ، سواء عن طريق المنتجات الحديثة أو تحسين أداء الوحدات الانتاجية القائمة وكفاءتها .

هذا الاتجاه ، وإن كان قد بدأ في الشركات الأمريكية ، ودعمته اتفاقات الحكومة الفيدرالية الأمريكية خلال الأربعين سنة الماضية ، إلا أنه قد انتشر بسرعة ، سواء في الشركات العلمية الكبرى ، أو في بعض الحكومات الجادة في دعم الصناعة في بلادها . والجدير بالذكر هنا أن هذا الاتجاه لما يبدأ بعد في الوطن العربي بصورة جادة ، أو على النطاق الذي يستحقه .

رابعاً : أن تطوير مهارات العاملين أصبح

شرح (لماذا تنمو بعض المجتمعات ، ولماذا يتعثر بعضها الآخر ؟) ، ولما كان التعثر هو حظ أقطارنا حتى الآن ، فلا يسعنا إلا أن نحاول أن نفهم بوضوح طبيعة كل عنصر من العناصر الانتاجية التي تؤثر على نمو الاقتصاد العربي . لا بد لنا أولا أن نفهم «ديناميكية» عنصر العمل كماً ونوعاً ، تلك التي تدخل في النمو الاقتصادي بما تعارف الاقتصاديون على تسميته رأس المال البشري .

كما لا بد لنا ثانياً أن نفهم قضية تكوين رأس المال بشقيه المادي والمعنوي ، حتى ندرك لماذا أعطت بعض النظريات الاقتصادية (النيوكلاسيكية) ، عندما افترضت أن التنمية وتراكم رأس المال مرادفان مرتبطان . كما لا بد لنا أخيراً أن ننظر إلى التقدم المعرفي والتقني ومدى مساهمته في النمو الاقتصادي ، من منظور عالمي ، حتى نتقنع بأن التعثر ليس بالضرورة مكتوباً علينا إلى الأبد . لا بد لنا أن نحلل ، أو ندقق في هذه القضايا المصيرية ، حتى نتعرف أين نحن ، وأين العالم من حولنا ، حتى نستطيع اللحاق بالركب العالمي . □

الطويل ، أما المعرفة الإنسانية فتقوم على تنظيم العاملين ، وترتيب الحوافز لهم ، بما يحقق كفاءة إنتاجية عالية للمشروعات . هذه الأنواع المختلفة من المعرفة تحدد في النهاية حجم المشروعات التي يضطلع بها رجال الأعمال ، وفقاً لتباين قدراتهم . والجدير بالذكر هنا أنه في وطننا العربي ، نتيجة تدخل الدولة في المجال الإنتاجي ، فإن عامل المخاطرة في كثير من الأحيان أصبح شبه معدوم ، وبالتالي فإن مديري المشروعات الانتاجية ليسوا دائماً من غير المهتمين للإدارة ، كما أن اختيار مديري المشروعات لا يتم ، في معظم الأحيان ، وفقاً لقدراتهم المعرفية ، وإنما لاتصالهم بالسلطة ، أو لعلاقاتهم العائلية . من هنا نستطيع فهم فشل معظم مشروعات القطاع العام في كثير من الأقطار ، كما نستطيع فهم صعوبات مشروعات القطاع الخاص ، وعدم قدرتها على إشباع حاجات السوق المحلي ، أو على الدخول في السوق العالمي بصفة ونجاح . وهكذا ، نصل في نهاية المطاف إلى التعرف على بعض العوامل الموضوعية التي تستطيع



• م. أليو

- لا يبق لأحد تربية أولاده دون إحاطتهم بالكتب لا سيما إذا كان يستطيع شراءها . (هنري بيشر)
- أهرق شيئاً واحداً هو أن الوحيدين بينكم الذين سيكونون سعداء بالفعل هم أولئك الذين سعوا وعرفوا كيف يخلصون . (البرت شويايتزر)
- الفن الحقيقي ليس هو أن تقول الشيء الصحيح في الموضوع الصحيح فقط ، بل أن تمتنع عن قول الشيء الخطأ في اللحظة الحرجة . (هوردي نفل)
- إنني أوجس خيفة من ثلاث جرائد ، أكثر مما أوجس ذلك من مائة ألف مقاتل . (تايلبون)
- الجبال كفاكهة الصيف ، يسهل الحصول عليها ، ويصعب الاحتفاظ بها . (فرنسيس بيكون)

مثلاً للموسيقا قواعدها
و « سلالها » ، فإن للمغني
والموسيقي شمائل وصفات ،
ولمحنة الغناء آداب وقواعد ،
كتب عنها العرب من قبل
وضمنوها كتبهم وتراثهم .
فهل يلتزم الطرب والغناء
السائدان في أيامنا هذه بالقواعد
التي جاءت في كتب أسلافنا ؟

قال أحمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف
المعروف بتلميذ الكندي : « لم تزل هذه
الصناعة - صناعة الموسيقى - إذا طلبت حق
الطلب ، وتبع كل محمول - مجهول - فيها حتى
يحاط بمعرفة ، تتقدم سائر التعاليم عند الفلاسفة
بالشرف ، فإنهم كانوا يرون أن علم العدد وعلم
الهندسة وعلم النجوم دون علم اللحن في
الشرف » .

وللغناء في الإنسان أثر عجيب ، من تصفية
الذهن ، وتهدئة الأعصاب ، ودفع السأم ،

شمائل المغني وآداب الغناء في التراث العربي

بقلم : محمد الأسعد قريضة



• أستاذ التربية الموسيقية بالمعهد الصادقي في القطر العربي التونسي .

القرن السادس للهجرة) ، وأحمد بن الطيب العلمي المغربي ، صاحب كتاب « الأتيس المطرب » .

وتنقسم هذه الشروط والشمال إلى ثلاثة أقسام : أولها الشمال الخلقية ، وثانيها المهارات الفنية ، وثالثها الصفات الذاتية . سنتناولها فيما يلي واحداً واحداً بشيء من الإيجاز .

الشمال الخلقية :

لعل أول ما يجب أن يتصف به المغني حسن الصوت وجماله ، وهو من مستلزمات الغناء العربي ، ويدونه يستحيل على المغني أداء الألحان بطريقة يطرب لها السامع . وقد ميز العرب الأصوات الجميلة تمييزاً دقيقاً ، وعدوها نعمة سامية ، يختص بها بعض الناس دون بعضهم الآخر . غير أن الصوت - شأنه في ذلك شأن كل ما يتصل بجسم الإنسان - يسير إلى الضعف وذهاب الروق والحسن ، ما لم يتمهده صاحبه بالعناية اللازمة ، والرعاية المتواصلة ، ومن ذلك مثلاً النوم الكافي ، والرياضة المعتدلة ، والهواء النقي ، وكثرة الغناء ، والتمارين على الغناء ، والأكل الصحي ، واجتناب السهر الطويل ، واجتناب ترك الغناء ، وعدم الغناء بطريقة تملو طبقة الصوت الطبيعية ، والابتعاد عن الخمر والتدخين ولما المثلج .

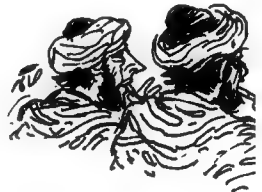
وقد أخبرنا التاريخ أن زرياب كان يختير أصوات التلاميذ المراد تعليمهم ، متعباً في ذلك طريقة علمية مضبوطة دقيقة ، وكان لا يقبل إلا أصحاب الصوت الندي الصافي .

والصفة الخلقية الثانية الواجب توافرها عند المغني ، سلامة النطق من كل عيب ظاهر ، إلى جانب القدرة على إظهار الحروف عامة ، وحروف الصغیر خاصة ، وهي : « السين ، والصاد ، والزاي ، فلهذا إذا ظهرت وعرجت صافية زادت في بهاء الصوت وحسنه جداً ، ووقعت موقعاً مستعجباً مستلذاً » .

ويعد السرور ، بل وله قدرة على دفع بعض الأمراض النفسية والعصبية . ولعل ذلك من الأسباب التي جعلت الغناء يرافق الإنسان ، ويحظى عنده بالعناية والاهتمام منذ تعطن لتأثيره السحري هذا عليه ، في أزمنة موعلة في القدم . وما كان للغناء أن يتغل إلى أعماق النفس ، وأن يحرك وشائجها مهما بلغت الألحان من السحر والجمال ، ما لم تنهيا له الأداة الصالحة ، وهي المغني المجيد .

فالمغني ركن أساسي ومهم في العمل الموسيقي ، ويتحمل قسطاً كبيراً من المسؤولية في نجاح العمل أو فشله ، خاصة في التقاليد الموسيقية المقامية التي تعتمد في جانب كبير منها على الصوت البشري ، وإمكاناته في الأداء والتعبير . وكمن من لحن ثري جيد مَرَبَّنًا مَرَّ الكرام ، دون أن يترك فيها أثرًا يذكر ، وكمن من لحن ترنمنا به ووردناه ، على بساطة فيه ، والفضل في ذلك يرجع إلى المغني الذي أعطاه من روحه ومن ذوقه ما جعل النفوس تتعلق به وتطرب له .

وقد وضع بعض أسلافنا من العرب ، ممن اهتموا بالكتابة عن الفن الموسيقي ، جملة من الشروط والشمال الواجب توافرها عند المغني ، حتى يقترب من الكمال في هذه الصناعة التي تدهو - حسب رأي ابن خلدون - « إلى مخالطة الملوك والأعظم في خلواتهم ، ومجالس أنسهم ، ولها بذلك شرف ليس لغيرها » . ونسوق من بين هؤلاء الحسن بن أحمد علي الكاتب ، (عاش في



المهارة الفنية :

تحتاج كل صناعة إلى جملة من المهارات والتقنيات التي ينتج إتقانها والإحاطة بها ، مما يضمن النجاح والتفوق . على أن التفوق يحتاج فيها يحتاج إلى روح الخلق والابتكار ، وموهبة الخيال الواسع واللوق الرفيع ، وهي أشياء لا تتأتى لكل الناس ، ولهم فيها درجات مختلفة

والغناء من الصنائع التي تحتاج إلى كثير من المهارات والخبرات التي تكتسب بمرور السنين الطوال ، ويكثر من الجهد والعناء والصبر ، إلى جانب وجود الدافع الذاتي القوي ، والاستعداد الفطري لممارسة هذه الصناعة . ولعل أول ما يحتاجه المغني معرفة أسرار الموسيقى وقائدها ، من حيث أنها علم ينقسم إلى علمين ، أولها : علم التأليف الذي يبحث في كل ما يتصل بالأنغام ، من حيث حدوثها ونسبها وإتلافها وتناقلها ، وتركيباتها وأنماطها التي تعرف اليوم باسم (الطبرق والمقامات) . ولا شك في أن اكتساب مهارة العزف على إحدى الآلات اللحنية ، وبخاصة آلة العود ، يساعد كثيراً ، بل ويعد ضرورياً للإحاطة بعلم التأليف . وقُل ما نجد في تاريخ الغناء العربي القديم والمتوسط مغنياً لا يجيد العزف على آلة العود ، وإن وجد فلا يسمى مغنياً ، بل كان يطلق عليه اسم « الشادي » .

والعلم الثاني علم الإيقاع الذي يعرفه ابن سينا بأنه « تقدير ما لزمان النقرات » . ويعرفه الفارابي بأنه « الثقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير » ، فيحتاج الإحساس به إلى طبع سليم مستقيم . غير أن معرفة طبيعة الإيقاعات والنسب الواقعة بين نقراتها ومواقع القوة والضعف فيها تساعد المغني على حسن التصرف في الحليات والزخارف اللحنية ، وحسن تصرف الهواء المدفوع إلى خارج الفم والأنف أثناء الغناء ، مما يضمن الأداء السليم من كل تقطع يخرج به عن القصد والاعتدال .

ويمكن بنا ونحن نتحدث عن المهارات الفنية للمغني ، أن نورد نصاً روي عن ابن سريج مغني مكة (٦٣٤ - ٧٢٦ م) الذي قال عنه معبد ، مغني المدينة التوفي (٧٤٣ م) على تناسف كان بينهما : « لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا » . تقول الرواية : « قال مالك بن أبي السمح : سألت ابن سريج عن قول الناس : فلان يصيب وفلان يخطئ » ، وفلان يحسن وفلان يسيء ، فقال : المصيب المحسن من المغنين هو الذي يُشيع الألفاظ ويملا الأنفاس ، ويعدل الأوزان ، ويفهم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، وقيم الإحزاب ، ويستوفي النغم الطوال ، ويحسن مقاطيع النغم القصار ، ويصحب أجناس الإيقاع ، ويختلص مواقع النبرات ، ويستوفي ما يشاكلها في الضرب من النقرات » (كتاب الأغاني ، ١ : ٣١٥) .

ويتهى بنا المطاف في القسم الثاني إلى الحديث عن الزخارف الصوتية التي يجلي بها المغني غناؤه ، ولا غنى له عنها إذا رام الإجابة ، وبعث الطرب في النفوس ، والزخارف بنوعها ، اللحني والإيقاعي تعد عنصرًا مهمًا وثابتًا في كل التقاليد الموسيقية المنتهية إلى العائلة المقامية التي تتميز بتحركها وفق خط لحني أفقي ، بل إن دور الزخارف اللحنية يتجاوز أحيانًا مجرد التحلية إلى إعطاء الطابع المميز للحام ما ، أو اللون موسيقي معين . وقد تظن العرب المتقدمون لهذه الخاصية وأولوها ما تستحق من الاهتمام والعناية . فزرى زرياب بقسم عمله في تعليم الغناء إلى ثلاث مراحل ، فبدأ التلميذ بإلقاء القصيد أو الموشح بمصاحبة دف ، حتى يتعلم مختلف مواقع النبر في الإيقاع ، ثم يقوم الأستاذ بتعليم اللحن بأبسط أشكاله ، وفي مرحلة ثالثة - وهي الأخيرة - يقع إتقان الزائدة باللهجنية ، أي الحليسات^{١٢} ، والزخارف . وهذا ما يدلنا على أهمية إتقان الزخارف في الغناء العربي ، وقد اهتم بعض المؤلفين الموسيقيين العرب بإعطاء اسم لكل نوع

تجميل القلوب ، صنعتته معجبة ، وأحاديثه مطربة » .

ويقول الحسن : « يستحب من المغني أن لا يلوي شذقه ، ولا يعوج عنقه ، ولا ينحني ، ولا يتخاصس ، ولا يجرح بلفظه أجمع ، ولا يشننج عينيه ، ولا يتحرك البتة من جهة إلى جهة . وأحسن الإشارة ما كانت بالمعين والحاجب والكف والمناكب والرأس قليلاً » .

ونختتم هذا القسم الثالث بمقتطف من فقرة أوردها الحاج إدريس بن جلون المغربي ، في مقدمة « كتاب الدروس الأولية في الموسيقى الأندلسية » ، يتحدث فيها عن الصفات التي يجمل بالمغني التحلي بها ، يقول : « يجب حل المنشد التمسك بالوقار والحشمة ، خير أن ذلك لا يمنع المغني من رسم معاني الكلمات على صفحة وجهه ، فيكون مبتسماً في المكان الذي يعبر عن الفرح والسرور ، متأثراً في محل الألم والأسى ، منشرحاً عند وصف الطبيعة وإقبالها والتلذذ بجمالها ، متقبضاً ساعة توديعها ، وعند ذكر الفراق والبعد . وهكذا من المعاني وما تعبر عنها هذه الأنغام » .

ويعسن بنا ونحن ننتهي من هذا المقال أن نورد تمة النص الذي كنا استهللنا به حديثنا هذا ، لانطباقه على الكثير من أحوال الغناء والمغنين عندنا في هذه الأيام . يواصل ابن الطليب السرخسي قائلاً : « ولما تعلق باسم هذه الصناعة دون معناها ، سقاط العوام فادعوا منها ما لا يحسنون ، واكتسبوا بها من قوم لا يفهمون ، وضاعوا ذلك عند من عدم التحصيل ، فأما المحصلون ، فإنهم لم يروا أن يُلمزوا من أصاب عتب من أخطأ ولا من علم نقص من جهل ، بل وقوا الصناعة حقها ، وعرفوا لها قدرها ، ونظروا إلى علمها بعين التعظيم والتكرمة ، وقصدوا من صنعها بالبر والمواساة » . □

من الزخارف ، والمواضع المنيعة ، نورد فيما يلي بعضها ، وهي :

النبرات ، والشذرات ، والصرخات ، والنهدات ، والضمجرات ، والجزجرات ، والتدريج ، والتغليفة ، والتضخم ، والتأوه ، والنوح ، والاستغاثة ، والقهقهة ، والشهقات ، والهمزة .

الصفات الذاتية :

لئن كان المغني يسمى في العصور المتقدمة إلى الانصاف بجملة من الشمائل والمناقب ، تؤهله لمجالسة الملوك والأمراء والأعيان ، فهو اليوم مطالب بالجد في اكتساب الكثير منها ، لأنه - مع غزو وسائل الإعلام المرئية والمسموعة كل البيوت - أصبح يحط أنظار الملايين ، وأصبح في كثير من الأحيان قدوة للملايين الشباب في لباسه ومظاهر حياته العامة ، بل حتى الخاصة ، وكم من تسريحة شعر أو « موضة » غزت العالم تقليداً لهذا المغني أو لتلك المغنية . ولم تهمل الكتب التراثية هذا الجانب أيضاً ، وأولته ما يستحق من الاهتمام والاعتناء ، بل وتشددت في المزايب الذاتية والصفات النفسية والأخلاقية التي يتحتم على المغني الانصاف بها ، حتى يحافظ على نبيل هذه الصناعة وشرفها .

ومن ذلك مثلاً ما أورده محمد بن الطليب العلمي المغربي في كتابه « الأنيس المطرب » ، إذ يقول : « ينبغي أن يكون المغني حسن الخلق ، جميل الخلق ، له حلاوة ، وعليه طلاوة ، لطيف الإشارة ، مستعذب العبارة ، حافظاً للتلح والاختيار والنوادر والأشعار ، عالماً بمحاني الكلام ، عارفاً بما يليق بكل مقام ، غير عتاب ولا غم ، كوثماً للأسرار ، راعياً في الاختيار وعن الأشعار ، وجوارحه سالمة من العيوب ، وشمائله

● حب الجمال هو : حب لكل شيء في أسمى الصور .
(عيسى محمود العقاد)

أرقام

بقلم : محمود المراغي

صناعة الحرب

في ذلك العام القريب أنفق العالم (٩٠٠) مليار دولار على الأغراض العسكرية ، بما يساوي ٩٪ من الإنفاق العام .

ويعنى آخر فإن بين كل ستة عشر دولاراً تنفقها الدول دولاراً واحداً لأغراض الدفاع ، وخمسة عشر دولاراً لكل أغراض الحياة الأخرى ، ولم تكن هذه النسبة واحدة في كل مناطق العالم .

كان الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية خارج دائرة الحصر ، فعنى ذلك التاريخ (١٩٨٥) لم يكن الاتحاد السوفيتي قد أذاع أرقام إنفاقه العسكري (وهو ما تم أخيراً) . وحتى ذلك التاريخ وبالأخذ في الحسبان فترة زمنية مناسبة (١٩٧٤ - ١٩٨٥) كانت الدول الصناعية بطبيعة الحال تستأثر بأكبر حجم من الإنفاق

العسكري ، وكانت الولايات المتحدة تصدر المجموعة ، بينما كانت الدول النامية التي تنفق قدراً أقل تسجل نسبة أعلى من الإنفاق ، بالقياس لنتاجها القومي .

بالأرقام كانت أمريكا اللاتينية استثناء يلفت النظر ، فإنتاجها العسكري لم يتجاوز (١,٥ ٪) من ناتجها القومي ، بينما سجلت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أعلى معدل ، حيث يتراوح الإنفاق على الأغراض العسكرية فيها بين (١١ ٪) و (١٤ ٪) من الناتج القومي ، خلال

جديداً ، تتراجع فيه فكرة المواجهة ، إنه عصر من طراز خاص ، يزداد فيه الاعتماد على العقل ، حتى باتت التقنية المتقدمة والمعلومات المبرجة أضل وأهم سلعة في التداول ، بل أصبحت في الوقت نفسه مبرراً للتواصل ، « والاعتماد المتبادل » بين الدول ، كما أصبحت عاملاً يساعد على تقليل أهمية الحدود السياسية ، كحدود فاصلة ، تحتضن الأمة والشعب الواحد الذي يعتمد على الذات .

إنه عالم جديد ، أو هكذا تيلوبوادره الآن ، وهو عالم تأخذ فيه القوة معنى آخر ، غير امتلاك أكبر « ترسانة » للسلاح ، وأكبر حجم من الجيوش .

السؤال : قبل أن تخفي جهود خفض التسلح ، وخفض التوتر ، كيف كانت هذه الساحة التي تركز على فكرة دمار الآخرين ، والتفوق عن طريق تحطيمهم ؟ الأرقام الأخيرة للبنك الدولي تقدم الإجابة .

من يدفع أكثر ؟

لنأخذ عاما يسبق سنوات التحول ، ولنقل عام ١٩٨٥ .

الآن ؟ وهل ينكمش الإنفاق العسكري ، ويتجه الجهود للتنمية والرفاهية ؟

الواضح أن ذلك هو الهدف بالنسبة للدول المتقدمة ، ولكن ماذا عن الدول النامية ؟

يرتبط الأمر حسب ظننا بثلاثة عوامل :
الأول : القدرة الاقتصادية ، حيث تراكم الديون ، وتفاقمت أزمات الغذاء ، وزاد الاعتماد على الخارج ، وأصبح ضغط الإنفاق وإعادة توجيه الموارد أمرين ضروريين في معظم بلدان العالم الثالث .

الثاني : مدى الحاجة ، وأي قدر من التوتر والأزمات يدفع لمزيد من التسلح أو لمزيد من الاسترخاء .

الثالث : العامل الخارجي ، فعل احتكارات السلاح الآن أن تتخذ قراراً : هل توجه جهودها لصناعات أخرى ، أم تتجه لأسواق الدول النامية ، فتصدر لها الأزمات ، ومن بعدها السلاح ؟

وقد يقول بعض : إن العديد من مناطق التوتر يشهد الآن انفراجاً وتراجعاً للأزمة . والسؤال : أي المناطق وأي الأزمات ؟ هل كل المناطق ، وكل الأزمات ، أم تلك المناطق التي تشهد مواجهة أو خطر مواجهة بين المصالح ؟

إن روح « التعاون بدلاً من المجابهة » ، و « التنمية بدلاً من التسلح » ، تنتشر الآن ، وإذا كانت البداية من الشمال ، فإن الأمل أن يمتد ذلك إلى الجنوب ، فليست دولة قوية تلك التي تملك الصواريخ ولا تملك القمح السلازم للرغيف ، وليست أمة رشيقة تلك التي تستطيع أن تحل مشاكلها بالسياسة فتلجأ إلى الحرب .

إن القرن الواحد والعشرين لابد أن يكون شيئاً آخر . هكذا علمتنا تجربة القرن العشرين التي شهدت أكبر قدر من الحروب ، وأكبر قدر من الدمار ، وأوسع تعمير للموارد . □

سنوات (٧٤ - ١٩٨٥) ، وكانت النسبة في شرق آسيا (٧٪) وفي جنوبها (٤٪) .

ومقياس آخر هو : اتفاق الحكومة المركزية ، فإننا نجد أن النفقات العسكرية تصل إلى ربع الميزانية في الولايات المتحدة ، وعبثاً إلى ١٨٪ في بعض الأقطار العربية ، كحصر ، بينما ترتفع إلى ثلث الميزانية في بعض الأقطار التي تواجه أزمات أمنية .

في كل الأحوال كانت ميزانية الدفاع عبثاً غير قليل ، ليس بالنسبة للإنفاق العام فقط ، بل بالنسبة للعبء على موازين المدفوعات ، وحصيللة العملة الأجنبية أيضاً . ووفقاً للأرقام المتاحة فإن (٥٪) من واردات الدول النامية أسلحة .

آثار مختلفة :

يختلف رجال الاقتصاد حول أثر الإنفاق العسكري ، فبعضهم يعتقد أنه أثر إيجابي ، فمن خلال الاستعداد العسكري تشهد البلدان تطوراً تقنياً ضرورياً ، ويجري تدريب الأفراد وتزويدهم بالمهارات ، بل وتتوافر فرص للعمل ، وتدفع الصناعات العسكرية الصناعة المدنية وراها .

على الجانب الآخر ، يعتقد بعضهم أن الأثر سلبي ، فالبديل للإنفاق العسكري المرتفع مشروعات ضرورية للتنمية . ومن خلال دراسة حول حقبي الخمسينيات والستينيات في (٦٩)

بداً ، اتضح أن زيادة الإنفاق العسكري تأتي على حساب النمو الاقتصادي والإنتاج الزراعي ، وتزداد وطأة السليبيات ، وتقل الإيجابيات ، بالنسبة للدول النامية ، فالإنفاق لا يتجه لتصنيع وتقنية ، بل يتجه ، في معظم الأحيان ، لبندين فقط : رواتب العسكر ، واستيراد السلاح .

هل تتغير هذه الصورة تحت تأثير مايجري




العوادات العربفة هل لها علاقة بأمراض المفافصل ؟

بقلم : الدكتور زفاد محمد الزعبي *

اكتسح دول العالم الثالث - نتيجة لانفتاحها على الدول الغربية -
كثير من سلوكيات الحفة ، وعاداتها الفوفمة ، منها استبدال الأرض
بالمقاعد الوثيرة عند الحلوس للراحة أو تناول الطعام ، وممارسة العمل
الوظففي - ورفى بعض أطباء العظام أن هذا التبدال له انعكاسات صفة
سلبية - كتناكل المفافصل - تعاني منها الدول الغربية ، وفسصحون بالعودة
للعادات القديمة فهل هذا ممكن ؟

من حلال التلغار الرفطافى ، فف ف كانت تصطر
للحلوس على الأرض فاملة لأهل المنطقة ،
وكانت هاك أفسا تعلفقات فوفمة ساحرة ،
تطلقها الصحافة الشعبية الانحلرففة - فف ذلك
الوقت كان حوار فحتلف ففور فف أفا المعاهد

فف مارس عام ١٩٨٩ ، قامت الأمفرة ففانا 
وروحها ، فف العهد الرفطافى ، الأمير
تشارلر ، فرفارة إلى مطقة الفلفف العربى ، فف
الوقت الذى كان فف الانحلرف - فصفة عامة -
فتفرون على أمفرفهم الفمفلة الفف كانوا فروفها

* فراح عظام وفاث فف الطب بمسشفى أنوفف للركرف

العلمية المتخصصة في لندن ، بين ماحت عربي ومجموعة من كبار جراحي العظام اللدنيين وأساتذة علم الأمراض وميكانيكا المفاصل ، حول طاهرة انتشار مرض تآكل مفصل الورك عند سكان أوروبا وأمريكا من اليص ، ويدرته أو اعداده في المناطق الأخرى من العالم ، ومنها وطننا العربي.

وظيفة مفصل الورك

ومفصل الورك يربط بين رأس عظمة الفخذ - وهي عظمة كروية الشكل تقريبا - وبين الخنق ، وهو بقرة في عظام الحوص ، ويقوم هذا المفصل بوظيفتين رئيسيتين -

الأولى حمل الجسم أثناء الوقوف والحركة ، والثانية تحريك الرجلين في جميع الاتجاهات ولكي يستطيع هذا المفصل القيام بهاتين الوظيفتين لابد له من أن يتصف بصفات خاصة ، أولها شكله كدائرة عظمية وسط دفره محووه ، قطرها أوسع قليل من قطر الدائرة العظمية وتأتي هذه الصفات الأرضية القوية التي تحيط بهذا المفصل ، وتقوي الحراب المحيط به ، مما يجمع حلجمه وتآلتها تلك العضلات القوية التي براها ممتدة من الحوص إلى عظم الفخذ من جميع حواض هذا المفصل ، وحين انقاصها يتحرك هذا المفصل في الاتجاه الذي تقص فيه هذه العضلات أو تسط ، واتساع هذه الحركات يختلف من شخص لآخر ، ومن الطفولة إلى الكهولة ، حيث تتناقص هذه الحركات مع مرور الزمن وتقدم العمر ، وذلك بسبب تيسر العضلات ، وهضم العضروف المعطي للمعظم وعلاوة على القدرة على الحركة التي يتمتع بها هذا المفصل ، والروية العالية التي يمتاز بها ، فإنه يعد من أعقد المفاصل من حيث ميكانيكية عمله ، والقوى المتحركة فيه وإلى وقت قريب كانت معرفة القوى المتحركة في عمل هذا المفصل وآلية حركتها من الموضوعات الشائكة في جراحة العظام ، وظلت هذه المعرفة مبهمة ، حتى بدأ

جراحو العظام ، وبمساعدة هندسية كبيرة ، يفكرون في استعمال المفاصل الصناعية الديلة لهذا المفصل في حالة تلفه ومن أسباب تلف هذا المفصل الالتهاب الحزنوني الذي قد يصيبه ، ويسبب تدمير العضروف الذي يعطي طري العظام في أي مفصل وهذا العضروف يكون ناعم الملمس ليقوم بتسهيل حركة المفصل كما أن الخلع الوركلي الولادي ، والكسور ، قد تؤدي بعد فترة طويلة إلى النتيجة

نفسها إن العضروف الذي يطن العظم عند المفصل هو من أهم عوامل محافظة المفصل على حيويته ويتراوح سمكه بين ملليمتر واحد وأربعة ملليمترات ، وهو على درجة عالية من العومة ، وله قابلية غير مطورة للاصعاط ، لأن ٧٥ / من مكوناته عدد سس الطويلة ماء ، ولكن هذه الكمية من الماء تتناقص مع تقدم السن ، مما يؤدي إلى هبوط قدرة هذا المفصل على الاصعاط وحتى نحافظ على ميراث هذا العضروف لابد من دراسة كيفية بقائه حيا ، فمن المعروف أن تعدية السيج العضروف تحتلف عن بقية الأسحة ، فهو لا يتعدى عن طريق الدم ، كما هو الحال في العضلات أو العظام أو الخلد ، إما يتعدى بطريقتين ، الأولى عن طريق ارتشاح المواد العدائية والاكسجين من الأسجة المحاورة له ، مثل العظام ، والثانية عن طريق السائل اللرج الذي يتكون في المفصل ، ويساعد على الحركة وكي يستطيع هذا السائل اللرج ، المليء بالسواد العدائية والاكسجين ، أن يعدي العضروف ، فلا بد له من أن يصل إلى كل جزء منه ، وهذه الطريقة على درجة كبيرة من الأهمية لأنها تلف دورا « كبيرا » في تعدية المفصل عند بعض الناس ، ولا تقوم بهذا الدور عند آخرين ، وهذا ما نعتقد أنه من أسباب التلف الذي يصيب بعض المفاصل ، إذ أن مفاصلهم لاتعدى حيدا حلال سسي عمرهم الطويلة ، وينتهي الحال إلى نشوء حالة الالتهاب المعطي العضروف الأولي ، أي دون سبب أولي معروف

وهذه الحالة المرضية هي التي تنتشر في أوروبا وأمريكا وغير موجودة عندنا .

الالتهاب العظمي الغضروفي :

هو ذاك التغيير الذي يحدث في الغضروف المبطن للمفصل ، ويؤدي إلى خشونته أولاً ، ثم تأكله ، حتى يصل إلى كشف العظم الذي يقع تحت هذا الغضروف ، وتقرعته ، وهنا تبدأ مرحلة الألم والصعوبة في الحركة . ولقد صنف هذا المرض على أنه التهاب ، وإن كان لا تنطبق عليه مواصفات الالتهاب الجرثومي أو الروماتيزمي ، وما زالت البحوث والآراء تتوالى لمعرفة الأسباب ، ولترجيح سبب له على بقية الأسباب ، لكن المؤكد أن التلف الذي يصيب هذا المفصل أو غيره يختلف عن حالة التدمير الناتجة عن مرض الروماتويد . والعلماء أكثر ميلاً « للتأكيد » بأن هذه الحالة إنما هي اهتراء ميكانيكي للغضروف الذي يخلط أطراف العظام عند المفصل ، وما التغيرات الأخرى إلا نتائج جانبية لهذا الاهتراء .

وتقول البحوث الإحصائية : إن ٥٪ من البيض الذين يسكنون أمريكا وأوروبا يصابون بهذا الالتهاب العظمي الغضروفي في سن الخمسين ، وأن هذه النسبة تزداد إلى ٤٠٪ في سن الثمانين .

وتؤكد الأبحاث والدراسات الإحصائية التي أجريت على سكان المناطق الآسيوية والأفريقية أن فرصة حدوث الالتهاب العظمي الغضروفي في مفصل الورك نادرة جداً . وكذلك أكدت بعض البحوث الحديثة في الوطن العربي نتائج مشابهة .

ولدراسة هذه الظاهرة ، واستقراء نتائج البحوث ، والفوارق بينها ، ومحاولة إيجاد الأسباب ، تبين أن العرب بشكل خاص ، والآسيويين والأفارقة بشكل عام ، يستعملون - أو على الأقل كانوا يستعملون - مفصلات الورك بشكل مختلف عما يستعمله الأوروبيون والأمريكيون .

الجلوس على الأرض يحمي

كان العربي الذي وصل الثمانينات من عمره يمشي لقضاء حاجته ، ويركب الخيل والإبل ، وكان إذا جلس يجلس على الأرض ساعات طويلة من النهار والليل . أما الإنسان الأوروبي من الجيل نفسه ، فإنه يمشي ، ويركض ، ويركب السيارة أو الحافلة ، وإذا جلس يجلس على مقعد ، سواء للراحة أو للطعام .

وبقليل من المقارنة ندرك أن معظم اللحظات الحياتية اليومية بين العربي والأوروبي متشابهة ، ولكن الاختلاف يبرز عند الجلوس في أوقات الراحة أو تناول الطعام ، فالعرب كانوا يجلسون على الأرض ، والأوروبيون على الكراسي . فهل لعب هذا الفارق دوراً في وقاية العربي من الحالة « المرضية » المسماة الالتهاب العظمي الغضروفي ؟

للإجابة عن هذا السؤال حاولت دراسة جميع الأسباب المؤكدة والاحتمالية التي تؤدي لحدوث مثل هذه الحالة ، وتوصلت إلى أنه لاختلاف جوهري في هذه الأسباب بين العرب والغربيين ، وبقي السبب الميكانيكي ، حيث تتواصل حركة المفصل طوال اليوم ، خاصة عند الجلوس على الأرض ، هذه العادة العربية الأصيلة التي نقضي في ممارستها ساعات طويلة من النهار والليل ، وبخاصة عند البدو والفلاحين الذين ليس لديهم صالونات ومقاعد وثيرة .

وعند دراسة هذا السبب تبين وجود الاختلاف .

فالجلوس على الأرض يؤدي إلى ثني المفصل حتى النهاية ، وحتى تصل الركبة إلى الصدر ، وفي الجلسة التي سميت « التريعة » تنفرج الرجلين . وإذا تخيلنا شكل المفصل نجد أن رأس عظمة الفخذ المستديرة قد دارت ١٨٠ درجة . أما الجلسة المفضلة لتناول الطعام فهي ثني إحدى الرجلين بشكل كامل ، والأخرى بشكل جزئي . ولقد ثبت بالتحليل الميكانيكي هذه الحركات والأوضاع أن مفصل الورك يحتمل



المجالس العربية في البيوت أوما يسمى في منطقة الخليج « بالدعوىة »

الواحات الدينية للمسلم تساعد على انعدام - أو ندرة حدوث - تلف مفصل الورك ، فما حال الأحيال العربية الشابة التي انتعشت عن ممارسة

هذه العادات ، فاحتلت بالتالي المجالس العربية من البيوت ، بعد أن استبدلوا به تقليد الأوربا ، بالمقاعد الوثيرة ، وبعد أن فرصت الحياة الوطنية الجلوس على كرسي المكتس ساعات طويلة ، وبعد أن دخلت السيارة وسيلة للركوب ، وكرة القدم رياضة بديلة لركوب الخيل ؟ أعتقد أننا سددنا في مواجعة هذه المشكلة بعد أعوام ، حين يصل حيل الشباب الحالي إلى سن الشيخوخة

وقد يعترض بعض الباحثين في طب العظام بأن الجلوس على الأرض يسبب تلف مفصل الركبة ، وفي عمر أقل بكثير مما يحدث عند الأوربيين ، ويكون بذلك حافظاً على مفصل ودمربا الآخر ولكن الدراسات أثبتت أن التلف في مفصل الركبة عددا لا تريد سسته عن نسبة المصابين به في الدول المتقدمة ، كما أن الإصانة بالتلف عددا لا تؤدي إلى النتيجة الأكلية نفسها ، وأن الألم عد مرصنا أقل ، ومستوى حركة المفصل ودرجتها يبقيا أفضل ، والسبب هو « الجلوس على الأرض أيضا » □

في أوضاع مختلفة مدة ساعات ، أي أن كل حريئة من حريثات رأس عطمة المعد تلامس كل حريئة من حريثات الفهره

هذا الدوران ينتج عنه ما يمل أولا استمرارية تحرك السائل المعدني للمفصل ، وبالتالي إمكانية وصوله إلى جميع أجزاء العصاريف التي تعطي عظام المفصل وثانيا استمرارية ليونة المفصل مع تقدم السن ولإثبات النتيجة الأولى درست بالتعاون مع متخصصين في ميكانيكية المفاصل هذه الحركات ، ودور السائل في إطعام العصورف وتعديته ، ووصلنا إلى نتيجة حاسمة ، هي أن لهذه الحركات والأوضاع دورا كبيرا في المحافظة على حيوية العصورف المعطي للمفصل أما النتيجة الثانية فلقد كان إثباتها أسهل حيث درسا قدرة العربي المس على تحريك مفصل الورك ووحدا أنها تعمق قدرة الأوربي بكثير ، لكنها تتشابه مع ما وحده أحد الباحثين في هويج كويج عد الصييين


وللرياضة القديمة دور

وإذا كانت العادات العربية في الجلوس والحركة والرياضة - ركوب الخيل والإبل - وأداء

حكايات طبيّة

عندما بدأت أذوق الجمال في الطب

بقلم : الدكتور غسان حتاحت^١

 يقول برتراند راسل : « في علم الرياضيات نستشعر ذلك الجمال البارد الذي نحس به عندما نتأمل تمثالا رائعا من الرخام » .

ولا أذيع سرا إذا قلت إنني خلال سني الدراسة لم يسعدني الحظ بتلوق هذا الجمال في علم الرياضيات وإن كنت أحسست كثيرا ببرودته . ولا عجب في ذلك ، فأذواق الناس متباينة مختلفة . وليس اختلافي في تقدير الجمال مع برتراند راسل فقط ، بل إن هذا الاختلاف كان أكبر بكثير مع بعض أساتذتي في كلية الطب .

من هؤلاء أذكر أستاذا كان يدرّسنا بعض الدروس السريعة ، أي أنه كان يأتي بمرض إلى قاعة الدرس ، ثم يشرح لنا عن حالته أثناء وجوده . وكالمادة يتنقي الأستاذة المرضى الوصفين الذين تبدو عليهم أعراض المرض ، وعلاماته بصورة واضحة جلية ، وكان هذا الأستاذ يبدأ درسه بجملة لا أذكرها الآن إلا ويرتفع ضغط الدم لدى (في تلك الأيام لم يكن لدي ارتفاع في الضغط) ، إذ كان يستهل الدرس بقوله : إن حالة هذا المريض جميلة جدا ، بل هي في منتهى الجمال ، وننظر إلى المريض البائس ، وإلى القبح والعديد اللذين يغطيان موضع آفته ، ونعجز - ربما عن بلادة في الإحساس لدينا - عن تلوق الجمال في ذلك ، أو في حالته ككل .

لاشك أن مريضنا كان أشد عجزا منا عن تذوق ذلك الجمال أيضا .



ولا بأس أن تكون حالة المريض وصفية كما تذكرها الكتب ، لكن أن نصفها بالجمال وهي جد قيصة فلذلك أمر آخر . وحتى لو كانت جملة حقا فليس ذلك بالكلام الذي يقال أمام المريض المسكين ، فما من أحد مريضا أو غير مريض ، يرضى بأن يقال إن مصيبته جملة .

وأستاذ آخر كان يدرسنا عن « الحالات الجميلة » في العيادة الخارجية للمستشفى ، وجاءه أحد المرضى ، وكان شيخا عجوزا مصابا بضخامة البروستات التي تؤدي إلى صعوبة شديدة في التبول ، وتقطع فيه ، وطلب الأستاذ من هذا الشيخ العجوز أن يبول أمام الموجودين ، وهم عشرات من طلاب الطب وطالباته . وشعر المريض بالحرج الشديد ، وهو في أحسن الظروف لا يستطيع أن يبول بيسر وسهولة ، فكيف به أمام جمع غير قليل من طلاب الطب وطالباته ؟ وتحامل على نفسه ، وحاول ، وعجز عن ذلك ، ثم رفض أن يتابع الفحص وخرج حزينا كسرا .

لست أدري أي حرص على العلم دفع أستاذنا إلى هذا الطلب الغريب ، نحن نصدق المريض إذ يصف شكواه ونصدق الأستاذ عندما يحكي عن طريقة التبول لدى المصابين بتلك الحالة ، ولكن أن نجبر إنسانا على أن يرينا « جمال » الحالة المرضية لديه أمام جمع كبير ، فذلك - فيها اعتقد - قسوة وأي قسوة .

من هنا ترون عجزى - حتى ذلك الوقت - عن تقدير الجمال في الطب ، لكن الشيء بالشيء يذكر . أحد أساتذتنا في أميركا - وهو كبير القدر مشهور الاسم - كان يطوف في جولة على الأطفال المرضى ، محاطا بمجاشبه الجناحين الكبارين من المقيمين والأطباء وطلاب الطب والمرضات ، ورأى طفلا صغيرا يبكي في سريره - ربما لأنه بلل ثيابه - فما كان من هذا الأستاذ جليل القدر إلا أن رفع الطفل الباكي إلى صدره ، وهو يرى ثيابه المتسخة ، ويشم الرائحة الكريهة المزعجة ، وأخذ يربت على ظهر الطفل ويتابعه ويداعبه ، حتى سكث الطفل ، غير مكترث بأن ثيابه - ثياب الأستاذ - غدت متسخة ، تنبعث منها الرائحة الكريهة .

وإذ أذكر تلك الحادثة بعد سنوات غير قليلة ، لا أشك أن كل الموجودين آنذاك شعروا بالاحترام المتزايد والاكبار لهذا الأستاذ الكبير .

وأعتقد أنني منذ تلك اللحظة بدأت أتذوق الجمال الحقيقي في الطب ، وأقدر اللمسة الانسانية فيه ، وذلك في الحقيقة هو متهمى الجمال ، الجمال الدافئ الحي . □



مواقف إنسانية

ليلة لا ننسى !

بقلم : الدكتور عبد الوهاب حومد

عندما تقوم الحروب ويتشر الدمار فإن أشياء كثيرة تنقوض وتهار .
إرادة الخير في الإنسان وحدها يمكن أن تقوم من بين الأنقاض ، لتقاوم
وتبشر بقيم جديدة ، وحدها يمكن أن تنشر رايتها بين أنقاض الخراب ،
لتبشر بعالم آخر .

كأنها من كوكب آخر !

ومع ذلك فإن المدينة التي خبت في الشوارع
أنوارها ، ظلت ساهرة في خواتمها وأحلامها
الوردية ، ولم تستطع الإذاعة التي بيع صوتها ،
من إيقافها لتعيدنا إلى عالم الواقع الملموس ،
حتى نحيل إلى أنها مدينة من كوكب آخر سقطت
على كوكب لا تعرف شيئاً عما يجري فيه .

فمكتبة كلية الحقوق ، ومكتبة السانت
جينييف اللتان تشرفان على قبة البانتون - مقبرة
العظماء - ظلتا مشرعتي الأبواب لرواد العلم
المتزاحمين على المقاعد والمراجع ، وأساتذتنا لا
يتأخرون دقيقة واحدة عن القيام بأعباء
مسؤولياتهم الثقيلة . حتى هذا الأستاذ الذي
تغطي الثمانين ، والمشهور بنكاته اللاذعة ، ظل
يحضر إلى المدرج مع دقائق الساعة ، ويصعد إلى
المنبر ثقيل الخطا مستندا إلى كتفي طالبين
متطوعين ، وأمامه موظف « التشرفات » الذي
يظهر بيلته السوداء ، وسلامه الصارمة ،
وسلسلته الحديدية الوهاجة ، بالمتفة حول رقبته

كانت تلك الليلة هي الثالثة والعشرين من
حزيران عام ١٩٤٠ ، وقد مضى عليها
الآن خمسون عاما ، ولكن كل خلية من خلايا
جسدي لا تزال تحياها ، كلما عادت إلى ساحة
ذاكري أحاسيسها العنيفة .
يومها كنت طالبا في جامعة باريس ، وكانت
المدينة المتضاربة تحيا حياتها الحلوة التي أكسبتها
شهرتها كعاصمة للنور ، على الرغم من أنها
كانت تعيش منذ تسعة شهور في أجواء الحرب
العالمية الثانية .

حتى ذلك الوقت كانت جيوش « الفوهرر »
النازي قد ابتلعت في زهات عسكرية كلا من
النمسا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وهولندا
وبلجيكا ولوكسمبورغ ، وحطمت بولونيا
الشمجاعة بعد مجزرة رهيبه ، ثم قبعت على خطها
الدفاعي (سيففريد) تبغضم فرائسها بهدوء ،
وكانها « الماظة أيام كأحلام نائم » وترقب بعيني
ذئب جائع ما يجري وراء قباب « ماجينو »
الفرنسي ، استعدادا لما تنضمه لجاراتها اللدودة
من مفاجآت .

وصلره ، لكي يجلسه على كرسية الوثير ، ثم ينسحب ليمود بعد انتهاء المحاضرة . وهو تقليد خاص بهذه الجامعة العريقة ، من شأنه أن يفتح القلب ويهيج العين ، بمسحة الاستغرافية الكهنوتية .

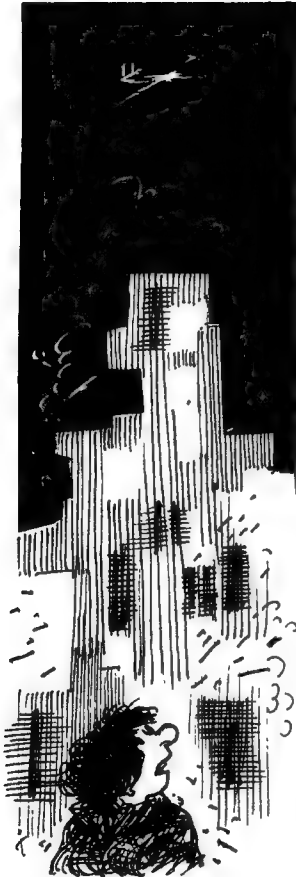
وفي الحياة العادية ، كانت المقاهي تستقبل روادها كما كانت تفعل وهي في أكثر مواسمها ازدهاراً . وكانت سهرات « الأويرا » تنتشر كل ليلة في أجواء أبنائها وصالوناتها المترفة أحدث الأزياء وأشدها تحدياً ، على قامات نصف عارية ، جمات لتستمتع بسماع الموسيقى الكلاسيكية ، وتقلب في الأجواء المخملية الناعمة .

وللامانة لم تكن موسيقا فيردى أو بيتهوفن أو سان سيباستيان باخ هي التي تجذبني إلى أسيات الأويرا ، فانا أنتمي إلى بيضة يشجها الموال والفتاب ، ويسكرها الموشح الأندلسي والقنود الحلبية ، وتتميل على أنات المغني وهو يكرامة مرة يا ليل يا عين ، دون أن يكل أو يمل . ولكن الذي كان يغريني رغبة في زيادة الاطلاع على مدينة خريبة عنا ، في أرقى أوساطها وطبقاتها ، في وقت كنت لا زلت فيه حديث عهد بها .

هكذا إذن كنا « نعيش الحرب » . وسوف تكشف محاكمة « رسوم » التي جرت لقادة « الجمهورية الثالثة » عن مدى التقصير الذي ارتكبه في عدم إعداد الأمة لحرب لم تكن مفاجئة أو غير متوقعة .

ولم تعد الأوضاع مستقرة :

ولكن « الأوضاع المستقرة في الجبهة » - على حد تعابير البيانات العسكرية اليومية - لم تبق مستقرة . فقد فقدت صوابها ذات صباح من أيام حزيران هذا ، حينما انقضت بواشق الجلو على أحياء باريس الغربية لتفرقها في جحيم من الحميم والمتضجرات ، ثم لتفادها في أمان بعد أن خلّفت وراءها دماراً مفرغاً ، وألف قتيل تناثرت



ولقد أنقذني وأقلفني ما لقينته من زحام في المدينة المحافظة حيثما انجحت وأني قصبت .
 وضعت الحقائق العامة وبتلاؤها ، الذين لم يهدوا ماوى يؤولون إليه في فندق أو مدرسة . وكان بدهيا أن نقرأ لوعة على باب كل فندق كتب عليها (مكتمل) ومع ذلك فقد كنت أشعر بحسرة وألم حين أستدل على فندق ، وحين أصله بعد بحث ونصب تلطمني حل وجهي هذه الكلمة الكريمة .
 ولم يتخل الله عني في محنتي ، فسير لي مسكناً مريحاً عند أسرة كريمة حقاً ، قبلتني ضيفاً عليها أكثر مني مستأجراً ، لأن الأجر الذي اقترحتة علي بعيد جداً عن واقع الظروف التي كانت تبرر الاستغلال ، ربما لأنها عرفت أنني من المنطقة المباركة التي أنتجت المسيح عليه السلام ، فزيت لي الخرفة بالشموع والصلبان ، ولم يتغير سلوكها قط ، بعد أن عرفت بانتي مسلم . ولم تخش إلا أيام قليلة على وصول الحكومة ، حتى أحاطت الفرق الألمانية بمدينة بورودو ، ولكنها لم تدخلها بناء على طلب ملح من المارشال بيتان وجهه إلى هتلر . وبدأت مفاوضات الهدنة ، وتم التوقيع عليها ، وفرح من فرح ، ويكي من بكى ، ولكن يوم ٢٢ حزيران قد نشر نساكم من الآمال المسولة في رفات الذين يحملون برؤة أوطانهم ذات يوم ، بل وفي أوصال الذين يرغبون في البقاء أحياء .

العودة إلى الملاحي :

ونام الناس على حريم ، يذغدغهم رجاء خادع بأن الكوايس انتهت . ولكن ما إن حان منتصف الليل وأعلن المذيع نهاية نشرة الأخبار حتى أخذت أصوات انفجارات قوية تهمز المباني بشدة خيل لي معها ، وأنا أقفز من سريري أن زلزلاً قويا ضرب المنطقة . وحين اندفعت إلى البهو وجدت الشيخ صاحب البيت وزوجته يتدفعان إلى غرفة يكتبها الحامل ليكونا إلى جانبها في شدتها ، وليحيطها بالأمان الذي تفقده من

أشلاقهم ذات اليمين وذات اليسار . وفهمت فيلق دروع « البانزر » مغزى الضربة ، فاتفقت من خنادقها المحيطة تقطع المعالق والحصون الفرنسية ، لا يقف أمامها جبل ولا يحد من تقدمها نهر ، حتى أفرقت الشمال كله ، ونزلت إلى العاصمة فأحاطت بها كما يحيط السوار بالمعصم . وإذا « فإن معركة فرنسا قد بدأت » كما جاء في بلاغ للقادة العليا للقوات الحليفة .
 غير أن الحكومة تسلفت في جنح الظلام إلى مدينة « تور » ، بعد أن كانت قد أذاعت في النهار بأنها ستدافع عن باريس من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت . يومها فقط فهم الناس ما ينتج في ضمير القذ ، فقلدوا بأنفسهم في دروب الهجرة الجماعية إلى الأرياف والمدن الأخرى ، وهل أي وسيلة نقل تيسر .

وتقلبت اعتبارات السلامة على اتصالات النفس ، فالتفت بنفسي إلى أحضان المجهول ، وتسلفت آخر قطار قدر له أن يخرج من باريس إلى « بورودو » ، مع أواخر المغادرين . وحين وصلتها عرفت أن الحكومة قد سبقتنا إليها ، فقد غادرت « تور » لأنها لم تعد آمنة على سلامة قراراتها فيها ، وهي في مرمى المدافع الألمانية .



● مواقف إنسانية : ليلة لا تنسى

مقبل العمر ، وليس لي من أخاف عليه .
وكان أكثر ما يثقلنا أن تسقط قنبلة على البناء
التاريخي أو على بناء مقابر ، فيسند باب الملجأ أو
ينكسر أحد أنابيب الماء أو الغاز ، فتموت عنقاً أو
غرقاً ، كما حدث قبل ذلك لكثير من الملاجم .
وتوقف القصف في آخريات الليل ، وخرجنا
من الملجأ ، واستقبلتنا نسائم الصباح الطرية
التي أعادت إلى الوجوه ألوانها ، وإلى الأعصاب
المتوترة هدوئها ، وإلى النفوس الشعور المتألق
بحب الحياة وقيماتها .

نظرة وداع أخيرة :

بعد ذلك بساعات ، نقلت الاذاعة بياناً
للقادة الألمانية تقدم فيه اعتذارها عما حدث ،
بسبب خطأ وقعت فيه القيادة الميدانية . وزحف
الأحياء في اليوم التالي إلى ساحة الكندراية
الكبرى ليلقوا نظرة وداعية أخيرة على ألقي تابوت
مجللة بالسواد ، صفت صفوفا متوازنة وأقيمت
نظرة أخيرة مثلهم ، دون أن يكون لي بينهم واحد
أبكيه ، غير أنني أحسست بأنني أبكيهم جميعاً
كإخوة في الإنسانية ظلمتهم السياسة . ومع ذلك
فقد وقفت إلى جانب دخول بلادي الحبيب بعد
تلك الليلة بستة عشر عاماً في مجلس الوزراء .
رداً للصدوان ، وذوداً عن حقوق قومية
مهضومة ترخص الحياة في سبيلها . □

جاء وجود زوجها في الجبهات القتالية . ولم يكن
أماناً من حل ، والقصف لا زال مستمراً ، إلا
أن نتقل إلى أقرب ملجأ ، وكان قبر كلية
الآداب .

ولم تكن هذه أول مرة ننزل فيها إلى
الملاجي ، لتجنب القصف الجوي ، فقد سبق
لنا أن بادرنّا إليها مراراً في باريس ، إلا أنها كانت
أقرب إلى التكنة منها إلى الحمالية ، وإلى عرض
أزياء ملابس الليل منها إلى الاعتبارات الحربية ،
أما الليلة ، فالذعر آخذ بلمقاصص وفي لون
الوجوه ، وفي التصرفات المستيرية . ولقد بقيت
من تلك الليلة انطباعات إنسانية في نفسي من
المعاني السامية التي تمثلت في حنن الأمهات على
صغارهن ، والمغامرة بحياتهن في سبيل بقائهم ،
فكانت لوحة حية لن تقدر ريشة أي عبقري على
تخليدها بالألوان ، أو بالصور الشعرية .
كان الملجأ واسعاً ، والمتجشون إليه كثيراً ،
وكان مضاء بنور ضعيف باهت ، إلا أنني
استطعت أن أرى التمديدات الصحية على
سقف ، وأن أميز الحجارة المستطيلة الضخمة التي
يتشكل منها . وكان الوجوه يشل حركة
العضلات في كل وجه نظرت إليه . وبقينا فإن
الأخرين رأوا الظاهرة ذاتها على وجهي ولكن كان
فرق بين خوفي وخوفهم . فقد كنت غريباً وفي



● عباس العقاد

● زمان الغاب : طفل لاهب عذب جميل . وزمان الانسان : شيخ عابس الوجه
ثقيل .

(أبو القاسم الشابي)

● المحطات الزمنية ثلاث : أمس دابر ، وحاضر مأمول ، وغد مرتقب .

(د . أحمد أمين)

● بعض الحركة عجز عن السكون ، وبعض السكون عجز عن الحركة .

(عباس العقاد)

● أصعب الأمور أن يعرف الانسان نفسه ، وأسهلها أن يحفظ غيره .

(طالس)

الخيال العلمي في الأدب الشعبي

بقلم : فاروق خورشيد

الخيال الشعبي العلمي - بعد تحديد معنى العلم في دنيا الخيال - لم يقف عند حد ، بل حاول أن يستغل ما يعرف استغلالا روائيا بارعا ، ثم حاول بقوة التخيل الوصول إلى ما يعوزه نتيجة محدودية المعرفة ، ليحقق ما يحققه الخيال العلمي الروائي نفسه في دنيانا المعاصرة .

الحقيقة والخيال



تميز الإنسان بطموحه الدائم إلى اكتشاف مالا يعرف ، وإلى ريادة ما يجهل ، وإلى الحلم بتخطي حجزه ومحدوديته ، وضآلة طاقته ،

وقد قاده هذا إلى دنيا العلم ، وإلى المعرفة الكاملة بدنياء التي يعيش فيها ، ثم إلى معرفة ما حوله من عوالم وأكوان ، ثم قاده أيضا إلى أن ينتج كُتبا هائلة من الأعمال الفنية التي تتخطى محدوديته وضآلة طاقته إلى الحلم يتجاوز هذه المحدودية ، وضآلة الطاقة ، إلى حيث يصول ويحول متخطيا عقبات الزمن والمكان ، وميثتا - في دنيا الفن - قدرته على تجاوز المحدود ، والممنوع والمتعذر ، وسبق الخيال الفني في كل الأحيان المنجزات العلمية والثقافية للإنسان ، وحقق الإنسان في أدبه بعض أحلامه ورؤاه ، وظل بعضها الآخر قيد الاجتهاد العلمي الساعي إلى تحقيقه ، وجعله حقيقة واقعة وممارسة ، ومن هنا امتلأت مكتبة الأدب العالمي بنوع روائي مميز هو رواية الخيال العلمي .

أدب الخيال العلمي هو ذلك الأدب الذي يقوم على حقيقة علمية معروفة ، ينطلق منها الخيال الروائي ، ويسخرها في تحقيق أحلام الإنسان وطموحاته ، والتمرد على محدوديته من طريق خياله الروائي وقدرته القصصية . ومن هذا المفهوم نستطيع أن نقول : إن هذا الأدب على الرغم من تصدره المكتبات الحديثة ليس وليد اليوم ، وإنما عرفته آداب البشرية وإبداعاتها منذ البدء ، وأنه صحبها عبر مسيرتها الحضارية كلها ، فكانت كل مرحلة من مراحل التطور الحضاري تقيم أدب خيالها العلمي المبني على ما حققته في هذه المرحلة من كشوف علمية ، وتقدمات تقنية ، وبمعكس مدى طموحها إلى المزيد من الكشوف التي تسخر كل الإمكانيات المتاحة للإنسان طموحه في أن يتغلب على محدوديته البشرية . وسنجد في أعمال سوف

انطلاقاته الروائية والقصصية على السحر ، كان قريبا جدا - من حيث المنهج - من الأدب العلمي المعروف اليوم ، مع وضع الفارق بين السحر كعلم غيبي وبين العلم التجريبي اليقيني الذي هو المعطاء العلمي اليوم . في الاعتبار . ومن هنا فإن استخدام الطاقة ، والقوة الذرية ، والمعرفة الالكترونية ، تقابل عند أصحاب الخيال العلمي الآن ، استخدام الجن عند كتاب هذا اللون من الأوائل أو الشعبيين ، فقد أعلن الكهنة أنهم يسخرون الجن - هذه المخلوقات الخفية ذات القدرات التي تفوق قدرات البشر - في الاتصال بالآلهة ، وفي تحقيق الأعمال التي تبدو مستحيلة لمعجز قوى الإنسان المحدودة عن إحداثها .

مراحل الثقافة الأولى

وجود الجنان فكرة راسخة في المعتقد القديم ، فالإنسان في مراحل ثقافته الأولى كان يؤمن بوجود قوى أقوى منه ، تعيش معه على الأرض ، وتؤثر فيه وفي أعماله ومقدراته ، هذه القوى المخفية عن رؤيته هي القوى التي اخضعت عن بصره هي ما سماه الجن ، والدنابات كلها لم تفت هذه المسألة التي رسخت منذ المبدأ القديم في الضمير البشري ، بل لقد جعلت الأدبان من (الجنان) حقيقة سائلة ، وسأوت بينهم وبين الإنسان من حيث ضرورة خضوعهم للدين ، وإيمانهم بالرسالات ، وصيحة عبادتهم له ، وقسمتهم إلى جان مؤمن خير ، وجان شرير كافر . ويبرز نبي الله سليمان عليه السلام في المعتقد الديني باعتباره مسخر الجن لطاقته ، ومصاب كل من خالفه من الجن الشرير أو الكافر ، يسجنه في قاتم مظلمة يخاتم سليمان ، كحقيقة أزلية له على كفره وشره . وهكذا تكرر وجود الجن كقوى حقيقية ، وكمسألة معترف بها . وانطلاق أدب الخيال العلمي الشعبي إلى استعمال الجنان في تحقيق التذوق على الواقع الإنساني المجهض ، يبدو

وويلز وغيرهما من الكتاب صورة من صور انعكاس المرحلة على خيال كتاب أدب الخيال العلمي وطموحاتهم ، فرحلات جاليفر والرحلة إلى القمر والرحلة في باطن الأرض ، وآلة الزمان ، والرجل الخفي وخارق الجدران ، وعشرون فرسخا تحت سطح البحر ، تبدأ كلها من كشف علمية محددة ، وتطمح بنهاها أن يتجاوزها الإنسان ويتخطاها ، وهناك أعمال روائية كثيرة ، استغلت المسلمات العلمية ، أو شبه العلمية المعروفة في عصر كتابها ، وأبدعت أدب الخيال العلمي . فإذا ما تركنا عصور العلم التجريبي إلى ما قبله مباشرة دخلنا في مرحلة العلم الحدسي الذي يقوم على المشاهدة والملاحظة ، مع إكمال هذه الملاحظات بتصورات غامضة ، غير محددة ، ترتبط بالديانات الوثنية القديمة ، وعالم الطقوس المعبدية ، ودنيا الكهانة والسحر ، فقد ارتبطت المعرفة في المرحلة البدائية لحياة الإنسان بالكهنة الذين احتكروها وسخروها لإحكام سيطرتهم على الناس ، وورطوا بين ما عندهم من علم وبين مكانتهم كوسطاء بين البشر وألهتهم البدائية الأولى ، ولهذا فقد مزجوا معارفهم بكثير من الطقوس والكلمات الغامضة ، وغلفوها بالغطاء الديني الذي يبني أساسا على الخوف ، فالآلهة البدائية آلهة قسوة وعنف ، وآلهة انتقام وتهديد ، ورضاء لا يتأتى إلا بالقرابين ، والمعطاء الجزيل الذي يكون ثروات الكهنة ، ويحكم سيطرتهم الكاملة على العقول والضمائر ، ثم على القدرات الاقتصادية للناس . وهنا برزت كلمة السحر لتعبر عن هذه المعارف الغامضة والمحتركة ، وهذه الممارسات التي تمتاز فيها الخرافات بالطقوس بالخوف ، وأخيرا بالمعارف التي اكتسبها هؤلاء الكهنة وتناقلوها نتيجة دراساتهم للآلهة البدائية ، ورموزها الحيوانية والمعدنية والنباتية والفلكية على السواء . ومن هنا نستطيع أن نقول : إن الأدب الشعبي الذي اعتمد في

ونقل الإنسان نفسه في لحظات إلى أماكن الأحداث ، معها بعدت ، ومهما تنامت .

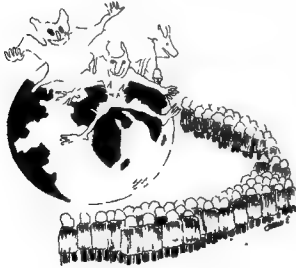
التحول والخيال

لعمل الخيال الشعبي تجاوز حدود الخيال العلمي حين حلم بظاهرة التحول ، فحولها إلى مقولة فنية يستلهمها في عمله الروائي ، فأقصى ما وصل إليه الخيال العلمي في هذا المجال هو فكرة الرجل الزائف ، أو فكرة الرجل المخلوق بصنع الإنسان مثل فرانكشتين ، ولكن الخيال الشعبي قفز إلى فكرة قدرة الإنسان على أن يحول إنساناً آخر ، أو كائناتاً أخرى من صورة إلى صورة ، وهو ما نعرفه في الليالي وغيرها بقدره الساحر على (سخط) البطل الروائي إلى صورة كلب أو حمار أو بقرة ، وهذه الفكرة قائمة على فكرة (الطوطم) البدائية القديمة إلى حد ما ، كما هي قائمة على إيمان ديني راسخ ، بأن العقوبة الحاضرة في الدنيا هي (سخط) الكافر المتمرد إلى صخرة ، أو إلى صورة مشوهة تختلف عن صورته الأولى . وفكرة التحول هذه لعبت دوراً بارزاً ورئيسياً في الكثير من الحكايات الشعبية العربية القديمة ، وبخاصة في حكايات ألف ليلة وليلة ، وهي قائمة على مسلمة دينية ، وعقائدية قديمة لدى الشعوب السامية بعامة .

والقدرة على قهر الشكل الإنساني نفسه مرتبطة ارتباطاً كاملاً بالقدرة على قهر المكان ،

منطلقاً في ضوء هذه المسلمة . ومن هنا فعلت روايات الخيال الشعبي بمحاولة تسخير الجان لحدمة الإنسان ، وتمكينه من التغلب على محدوديته ، فالجان أصحاب القدرات الخارقة كفيلون بكثير حواجز الزمان والمكان بالنسبة للإنسان . وقد سار استخدام الجان في هذه الأعمال في طريقين : الطريق الأول هو استخدام السحر ، أو علم الكهنة في إخضاعهم لإرادة البطل ، وهو هنا عادة البطل الشرير ، وهم هنا غالباً من الجن الكافر الشرير . والطريق الثاني هو استعمال ذخائر كفيفة بتسخيرهم كاللوح المرصود ، أو عاتق سليمان ، أو شعرات نمرود فتزعم الجني على الظهور . وهذه الذخائر تكون عادة في حوزة البطل الخير الذي يدافع عن الحق والإيمان ، وهؤلاء الجان غالباً ما يكونون من الجان المؤمن الذي أخطأ خطأ ما ، ويقضي مدة عقوبته مسخراً لصاحب الرصد الذي يتحكم فيه ، بخدمة ويملي كل مطالبه ، فإن انتهت مدة عقوبته تحرر ، وغداً من الجان الأحرار الخيريين .

ومن المفهوم أن هؤلاء الجان إنما حبسهم سيدنا سليمان عليه السلام بقوة لهم على أخطائهم ، وأن الأقدار أو الصدف الروائية أو الإرادة الخيرة التي تعمل لصالح البطل هي التي وضعت هذه الذخائر في طريقه . وعن طريق تسخير هذا الجن الخادم يحقق الخيال الأدبي الشعبي ، ما يحققه الخيال العلمي الآن بتسخيره للمختبرات والصناعات الحديثة ، فالجني قادر على أن يجعل البطل عبر المكان وعبر الزمان أيضاً ، والجني قادر على شن حروب لا تقل في تصوراتها عن حروب الصواريخ والقنابل الذرية ، والحروب الكيميائية ، والجني قادر على أن يغوص بالبطل إلى أعماق المحيطات ، أو يعلو به إلى أجواز الفضاء . والجني آخر الأمر قادر على إحداث ما لا يحدث ، أي ما لا يحدث في حدود قدرات الإنسان المحدودة والمعجزة ، كتقليل الصوت ،



الإنسان في أن يرتاد عالمه كله ، وأن يعرف ما يدور في كل جزء من أجزائه ، وقاده طموحه إلى قهر حاجز المكان الذي يربطه بمكان لا يتحول عنه إلا بوسائل لا تسمح له بالمعرفة بمعناها الحقيقي ، وتحرك الإنسان في المكان طموح جريء ، ولكن ثبوته في مكانه ، لتأتي له كل الأمكنة حيث يكون ، فيعرف كل ما يدور حوله من أحداث في بقاع بعيدة عنه ، كان هذا هو التحدي للخيال العلمي ، وقد حقق تغلبه عليه بفضل تطلعه إلى (صندوق التوجيه) الذي ظهر في سيرة « علي الزين » ، والذي هو نتاج حكمة الحكماء وصنعتهم لإنتاج سحر الكهان وجنهم ، ولو أنها مسبوقة في دنيا السحر والجن بفكرة البنوة المسحورة التي عرفها سحرة أوروبا ، والمرأة المسحورة التي عرفت في أساطير الشرق الأقصى ، وفكرة غدير المياه الصافية التي سها السحر ، وعرفت في أساطير الشعوب القديمة .

وقد اختلعت الرؤى ثمان معاً في كثير من الأحيان ، أعني رؤية (الحكمة) ورؤية (السحر) ، مما يؤكد أن الإنسان العربي القديم قد حاول إنجاز بعض الميزات القائمة على المعرفة التجريبية ، إلى جوار امتلاء حياته بالمتجزات الخيالية التي تحققت في دنيا رؤياه الأبدائية ، واستندت إلى العلم الغيبي أو السحر . وفي كتاب التيجان لوهب بن منبه حكاية المغارة واللصوص الثلاثة ، والحكاية تقول : إن هؤلاء اللصوص حين دخلوا المغارة خرج عليهم أسد مهول يسد عليهم الطريق ، ولكنهم لاحظوا أن الأسد يظهر حين يتمدون مكاناً معيناً ، ويتنفض حين يتجاوزون هذا المكان ، وحين حفروا في هذا المكان وجدوا (دواليب ولوالب معقدة) حين حطموها بطلت حركة الأسد ، وأمكنهم أن يتجاوزوه إلى ما بعده ، ليظهر لهم تين ينث الثمار والشرار ، ويحكم التجربة السابقة يبحثون عن مكان حركة التينين ، ويطلقون حركته بتحطيم الآلات المتحركة في هذه الحركة ، إلى أن يصلوا إلى كثر

بأن يتقل بسرعة تفوق سرعة الضوء من مكان إلى مكان ، وهؤلاء - أي أصحاب هذه القدرات - هم من عرفوا في الحكايات الشعبية العربية ، أهل الخطوة ، وقد برزت هذه (التسمية) في أدب الصوفية ، وفي سيرة الظاهر بيبرس ، وفي سيرة سيف بن ذي يزن ، وفي العديد من الحكايات الشعبية السائرة ، وهي على غموضها في الكثير من الحكايات ، حيث تركز على موهبة شخصية للطفل ، وتظهر في غير هذه الأعمال طموحاً إلى عبور السماء ، والطيران فيها من مكان إلى مكان ، أي أن إمكانية الطيران في السماء طموح شعبي قديم ، سواء على أرض الواقع ، حيث تبرز تجربة عباس بن فرناس وثوبه من الريش ، وبماولته تطبيق دراسته على طيران الطيور ، وميكانيكية أجنحتها التي تحملها عبر السماء ، أو على أرض الخيال الشعبي الذي تحقق فيه الطيران عبر السماء ، إما عن طريق ركوب الجبان المسخر لخدمة البطل ، أو عن طريق البساط السحري ، وهو الصورة المقابلة لبساط سيدنا سليمان عليه السلام الذي ملأ حديث القصص الديني ، صاحب المعتقد الراسخ في أعماق الجماهير ، أو عن طريق الحصان الوهمي المصنوع بالحكمة الذي يحمل صاحبه طائراً في امتداد الفضاء بفضل لولب معينة يحركها صاحبه فتتحرك ، وهنا تقترب كثيراً جداً من جو المخترع العلمي ، القائم على الصنعة الإنسانية ، لا على القدرات الخارقة للجان والسحرة ، فهذا الحصان السحري مصنوع بالحكمة والمعرفة ، وتركب أجزاؤه بعضها في بعض ، ويطير بصاحبه خاضعاً لمجموعة من اللوالب والآلات ، وهو أقرب صورة إلى الطيران الآلي المعاصر .

اختلعت الرؤى ثمان

الخيال العلمي هنا تجاوز دنيا المعجزات إلى تخيل دنيا المنجزات الإنسانية ، فكان متنبهاً فيما لحقه الإنسان بفضل العلم و (الحكمة) ورغبة

ولكن تجاوزها المعرفة التجريبية التي سمحت ببناء السفن العابرة للمحيطات ، وسمحت بالإبحار في هذه المحيطات على أسس من علوم الفلك ، وعلوم البحار أيضا ، ويجاورها أو يغلفها معاً المعرفة الظنية أو ما بقي في الأذهان والقلوب من معطيات السحر القديمة . والخيال الشعبي - في هذه القصص على الأخص - قام بتوظيف كل هذه المعارف بأنواعها المختلفة لتوظيفاً روائياً بارعا ، ومزجها في نسيج مغامراته وأحداثه القصصية ، محاولا تحقيق أحلام الإنسان في الخلاص من محدوديته وعجزه ، ومحاولا أيضا تحقيق طموح الإنسان إلى المعرفة ، والمزيد من المعرفة ، وتوظيف هذه المعارف لتحقيق طموحاته وأحلامه في إحكام سيطرته على العالم الذي يعيش فيه حين يستطيع خياله الروائي أن يدخله في كل ما هو مجهول ، ليصبح بقدرة الإبداع معلوما وعارفا ومالفا . ولعل أبرز صور هذا الطموح تتجلى في غوص الأديب الشعبي إلى أعماق الأرض ، في محاولته لتصوير نوع الحياة الذي يمكن أن يكون موجودا في داخلها ، وقد قدم أعمالا روائية تتخيل وجود أشجار وأنهار ومساكن وحيوانات تعيش وتتحاب وتتصارع في وجود مشابه للحياة فوق سطح الأرض ، أو للحياة التي يعرفها هو ويمارسها . وهو الموقف نفسه الذي وقفه في الحياة في أعماق المحيطات ، تلك الحياة التي تخيل إمكان اشتراكه فيها بتناول عقار سحري معين ، يجعله قادرا على الحياة في الماء ، فإذا ما دخل هذه الحياة وجدها تشابه دنياه ، وجدها مليئة بالمهالك العديدة المليئة بالمخلوقات البحرية الغريبة العديدة التي تحكمها الفرائز نفسها التي تحكم الانسان ، فهي تتصارع على السيطرة والتفوق ، وتشن الحروب بعضها على بعض طمعا في إحكام السيطرة على كنوز البحر التي تخيل الإنسان أنها مدفونة هناك في انتظار الإنسان الجسور الذي يستطيع الاستيلاء عليها ، وإخراجها إلى سطح الأرض . □

المفارقة . ونحن هنا أمام صناعة محكمة ، تقوم على معرفة بعلة علوم ، أهمها علم الميكانيكا . واستغلال القصص هذه المعارف القديمة يشابه تماما استغلال الروائي المعاصر لمنجزات التقنية الحديثة في أحداثه الروائية العلمية . وفكرة الاختفاء عالجتها روايات الخيال العلمي أكثر من مرة وبأكثر من طريقة ، واشتهرت روايات عن المادة التي تخفي جسد الإنسان بعد تناوله إياها ، وعن الأجهزة التي يوضع فيها جسد الإنسان لتسلط عليه أشعة معينة فيختفي عن الأنظار ، واستندت كلها على نظرية الإبصار ، وانعكاس الضوء على الذرات الكثيفة ، ولكن الخيال الشعبي سبق هذا كله بحكاية (طاقة الاختفاء) التي تخفي من يلبسها عن العيون ، أو الخاتم الذي يديره لابس في أصبعه فيختفي تماما عن الأنظار ، أو الكحل الذي يتكحل به صاحبه فيغدو خفيا ، وكلها أدوات صنعتها السحرة ، أو الجان أو الحكماء ، في مزيج يؤكد اختلاف المعطيات الغيبية بمعلومات معروفة لدى طائفة معينة من الناس ، لتحقيق حلم سراود وجدان الناس كلهم .

اليقين منطلق للخيال

هذا الاختلاط بين عالم المعرفة التجريبية ، وعالم المعرفة الظنية ، زاد عليه بعد ثلاث في بعض أعمال الخيال الشعبي ، وهو بعد المصرفة اليقينية ، وذلك في الروايات والقصص التي قامت حول دنيا البحر وعالمه ، فكثير من الأحداث الروائية التي جاءت بها ، وبخاصة في ألف ليلة ، وفي حكايات السندباد على الأخص ، تقوم أساسا على المعارف والمعلومات والملاحظات التي نقلها الجغرافيون العرب القدماء ، والبحارة والرحالة والتجار المغامرون ، عما شاهدوه وعانته في رحلاتهم من ظواهر غريبة في البحر أو في الجزر النائية فيه ، فالمعرفة اليقينية المشاهدة أساس لتطاولات الخيال الروائي هنا ،

أخلاق العلماء من نيوتن إلى هوكنج

بقلم : الدكتور عبدالمعظم أنيس

لا شك أن النبوغ والعبقرية يجلبان المجد والخلود لأصحابها ،
ولكنهما على الرغم من ذلك لا يحولان بين العبقري أو العالم وانهياره لذاته
البشرية ، مهما صغر الثمن أو تدنى الأسلوب الذي يشبع به أهواءه
ونزعاته .

ولخط المباشرة أن الذاكرة البشرية لا تحفظ لنا إلا ما يصدر عنهم ،
حسنا كان أم سيئا .

الأساس الصلب لمعظم أبحاث الفيزياء منذ
ذلك الحين .

ولقد ادعى كل منها أنه صاحب الاكتشاف
الأول ، وأن الآخر أخذ عنه . وحول هذه
القضية دار الجدل العنيف . لكن الثابت الآن
من الناحية التاريخية أن كلا منهما قد اكتشف
بشكل مستقل مبادئ هذا العلم ، وإن كان
لينتز هو السابق في النشر العلمي لأبحاثه ، قبل
نيوتن بسنوات طويلة ، على الرغم من أن نيوتن
كان قد اكتشف تلك المبادئ قبله بسنوات .
إلا أن المثلث للنظر فهو سلوك نيوتن المشين

من الناحية الشخصية في تلك المشادة ،
وهو السلوك الذي يوضح أن العالم حتى وإن
كان يحتل مركزا عالميا مرموقا ، مثل نيوتن ،
ليس منزها عن التورط في أخط أساليب السلوك

في تاريخ المشادات العلمية بين العلماء
حول « من اكتشف ماذا أولا » ، تحتل
قصة المشادة بين نيوتن ، العالم البريطاني
الرياضي الشهير وأحد مؤسسي الفيزياء
الحديثة ، وبين الفيلسوف والرياضي الألماني
الكبير لينتز وضعا خاصا ، لأنها أثارت في كل
أوربا حساسيات وطنية خاصة ، وتورطت فيها
أقلام عديدة في اتهامات لا صلة لها بالعلم ،
وإنما لها صلة بالسياسة ومنهج التنافس البريطاني
الألماني القائم آنذاك حول السيطرة على قلب
أوربا وعلمها .

والقصة بدأت باكتشاف كل من العالمين
الكبار ، نيوتن ولينتز ، لفرع حديث في
الرياضيات ، هو علم التفاضل والتكامل الذي
مثل ثورة في العلوم الرياضية آنذاك ، وأصبح

نيوتن كانت في حقيقة الأمر بقلم نيوتن نفسه ، وإن نشرت بتوقيع بعض أصدقائه ! وعندما اتسعت المشادة في أوروبا ارتكب لينتزر خطأ اللجوء إلى الجمعية الملكية البريطانية مناشدا إياها أن تتدخل في الأمر . وإذا كان نيوتن هو رئيس هذه الجمعية فقد قام بتشكيل لجنة «محايدة» للتحقيق في الأمر ، وإصدار تقرير عنه ، ولقد اتضح بعد ذلك أن كل أعضاء اللجنة هم من أصدقاء نيوتن . ولم يكف هذا الأخير بذلك ، وإنما كتب بنفسه تقرير اللجنة ، وتولى نشره باسم الجمعية الملكية ، منها لينتزر بالسوط العلمي ! وبعد ذلك بسنوات قليلة مات لينتزر ، فأعلن نيوتن شهادته في هذا الحدث ، لأنه نجح في «كسر قلب» خصمه !

ليست الأولى !

ولقد اتضح أن هذه المشادة العلمية بين نيوتن ولينتزر في أوروبا لم تكن النزاع العلمي الأول بين نيوتن وزملائه من العلماء ، فقد سبقه نزاعه مع الفلكي البريطاني جون فلامستين . كان فلامستين هو المسؤول عن المرصد الملكي البريطاني في «جريتش» ، وبصفته هذه كانت لديه بيانات فلكية مهمة عن أرصاد تفيد نيوتن خلال تأليفه لكتابه العظيم «البرنسبيا» . وفي مبدأ الأمر زود فلامستين زميله نيوتن بما كان يطلبه من بيانات ، وأشاد نيوتن بذلك في الطبعة الأولى من كتابه «البرنسبيا» ، إلا أن فلامستين عاد فأحجم بعد ذلك عن تزويد نيوتن بمزيد من البيانات الفلكية .

ولم يكن نيوتن مستعدا لقبول هذا الموقف . ولذا سعى إلى تعيين نفسه عضوا في مجلس إدارة المرصد ، ومن هذا الموقع دير في الخفاء عملية الاستيلاء على هذه البيانات ونشرها بواسطة عدو فلامستين اللدود ، الفلكي إدمون هالي . ولم يتردد فلامستين في أن يلجأ إلى القضاء

الشخصي ، عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن مكتشفاته بالحق أو بالباطل .

ولقد لفت الأنظار إلى هذه القضية كتاب صدر حديثا للعالم البريطاني المقعد الفذ «ستيفن هوكنج» الذي يحتل اليوم كرسي الرياضيات نفسه الذي كان يشغله نيوتن في جامعة كامبردج . فقد أصدر «هوكنج» كتابا للرجل العادي عن تطورات الفيزياء الحديثة ، عنوانه «تاريخ موجز للزمن... من الحبيطة الكبيرة إلى القلوب السوداء» ، ووضع في خاتمة الكتاب تعريفا بثلاثة علماء ، تمثل اكتشافاتهم في الفيزياء نقطة تحول رئيسية في تاريخ هذا العلم ، ومحاولاته لفهم الكون . وهم نيوتن وجاليليو وأينشتاين !

ومع أن «هوكنج» يشغل كرسي نيوتن اليوم في جامعة كامبردج إلا أنه لم يتردد في فضح نيوتن وأساليبه فيما يتعلق بهذه المشادة التاريخية بينه وبين لينتزر . ومن «هوكنج» نعرف أن معظم المغالطات التي كتبت آنذاك دفاعا عن موقف



● نيوتن

والمعجز عن الكلام ! .
والغريب أن « هوكنج » يقول في مقدمة كتابه أنه باستثناء المرض الذي أصابه في العشرينيات من عمره ، فإنه يحسب نفسه رجلاً عظيمًا في كل أمر آخر ! لقد أصابه مرض غريب في جهازه الحركي ، أقعده عن الحركة ، وأزمره البقاء في كرسيه معظم حياته ، ثم أصيب بالتهاب رئوي عام ١٩٨٥ واضطر الأطباء إلى إجراء عملية له لإنقاذ حياته ، فقد سببها القدرة على الكلام . ومنذ ذلك الوقت أعيد له حاسوب « كمبيوتر » خاص يستخدمه في التخاطب مع تلاميذه في قاعة المحاضرات ، ومع الناس عموماً . ولم يمنعه وضعه هذا من السفر إلى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الأخرى ، والتباحث مع علماءها في أدق القضايا ، بل إنه يقول : إنه بدأ في إملاء كتابه هذا قبل إصابته بالتهاب الرئوي ، وعندما أجريت له العملية ، وظن الأطباء أنه قد لا يعيش ، كان « هوكنج » حزينا ، لأنه لن يكمل كتابه .

لكن « هوكنج » عاش على الرغم من ذلك ، وعاد إلى استخدام الحاسوب « الكمبيوتر » في إكمال هذا الكتاب وإصداره . وقد نجح الكتاب نجاحاً منقطع النظير ، وعُد كتاب « أفضل مبيعات » لعام ١٩٨٨ م ، فقد وزعت منه مئات الألوف من النسخ .

ومن يقرأ كتاب « هوكنج » سوف تدعشه - لا شك - روح التفاؤل الغريبة التي تسود حديثه ، والابتسامة التي تبسو من خلال كلامه ، بل وروح الفكاهة التي تأسر قارئه . على أن الأهم من كل ذلك هو المائدة العلمية التي يحتويها الكتاب . □

دفاعاً عن موقفه ، ونجح في نهاية الأمر في الحصول على حكم من المحكمة ، بمنح نشر البيانات المسروقة . وقرر نيوتن أن يتقدم برفع اسم فلاسطين من كل طبعات « البرنسيبيا » التالية !

خلال زمن هاتين المشادتين بين نيوتن وفلاسطين من ناحية ، وبين نيوتن وليبنز من ناحية أخرى ، كان نيوتن قد ترك جامعة كامبردج والعمل الأكاديمي عموماً ، وشغل بالعمل السياسي المعادي للكاتوليكية في كامبردج ، ثم أصبح عضواً في البرلمان ، وكوفيء على مواقفه الموالية للسلطة الحاكمة بتعيينه مديراً لدار « سك النقود » في لندن ، وهو منصب ذو أهمية كبيرة آنذاك ، وفوراتب مغر . ومن موقعه هذا ساق نيوتن الكثيرين إلى المفصلة بتهمة محاولة تزيف النقود !

ولقد شغل نيوتن في أواخر حياته بمحاولة تحديد زمن بعض الأحداث المهمة التي وردت في التوراة ، والغريب أن صاحب كتاب « البرنسيبيا » الشهير عد تلك المحاولات العقيمة المتعلقة بالكتاب المقدس أهم إنجازات حياته العلمية !

يبقى بعد ذلك أن نتساءل : كيف طلعت « هوكنج » نفسه أن يورد كل هذه الحقائق التاريخية عن نيوتن ، وهو العالم الذي يشغل كرسي نيوتن في جامعة كامبردج ؟

مقعد لكنه متفائل !

إن قصة « ستيفن هوكنج » وحياته الشخصية والعلمية تنبئ عن شخصية فذة ، تمتاز بالأمانة العلمية ، والاستقامة الشخصية ، والذكاء النادر . ولولا هذه الصفات ما استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه وهو الرجل المصاب بالشلل

إن الأداة التي تنتج الملك هي نفسها التي تنتج الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية .
جون كينيث غالبريث

أفكار القوم

(في فكرنا العربي قضايا وموضوعات تعيش بعد
أصحابها ، من هذه القضايا والأفكار تختار العربي في
كل عدد موضوعا يصل بين الماضي والحاضر ، وبين
الأمس والغد) .

معارضة الشتافة

بقلم / سلامة موسى
١٨٨٨ - ١٩٥٨

في كل أمة أفراد يؤثرون التفكير الأسلوب الموروث ، ويلتزمون العادات ، ويغشون الابتداع . وما يذكر هن جريدة « التمس » التي تقرؤها الطبقة الثرية في إنجلترا أنها كانت تقاطع كلمة « سفلس » إلى سنة ١٩١٦ ، لأن هذه الكلمة اسم لأحد المرضى الزهرين المشهورين . ولما كانت الطبقة التي تجده « التمس » قراءها بينها تتجنب هذه الكلمة في حديث أفرادها الذين ربما يقعون في هذا المرض ، فإن « التمس » جارتهم في هذا النطاق أكثر من قرنين .

والناس يتنفسون بعقولهم كما يتنفسون برئائهم ، وهم يحتاجون إلى حركة الفكر كما يحتاجون إلى حركة الهواء ، كي يصحوا ويتعشوا . ولكنهم أيضاً يحتاجون الأفكار المحبوسة ، كما يحتاجون الهواء المحبوس ، وعندئذ يمرضون ، فيفقدون صحة الجسم والعقل . فلكي تنمو أذهاننا ، وكما نربي أنفسنا بالثقافة البشرية العامة يجب أن نعيش في جو حر ، تكفل حريته وتصونها حكومة عصرية مستنيرة ، تعلم أنه ليس في الطبيعة قرار ، وأن كل ما فيها يتغير . وأتينا لم نصل بعد إلى المجتمع الأمثل ، حتى نستقر على مؤسساته ، ونقول : إنه ليس في الدنيا ، ولن يكون ، أبدع منها . ولذلك يجب - كي

• من كتب الطهف الثاني الطبعة الأولى ١٩٤٧

نحصل على ثقافة حرة تربيانا - أن نجزى النقد لجميع مؤسساتنا الاجتماعية ولا نضع أي قيد ، أو نعين أي حد ، بمنع التفكير الحر .

والحكومات المستبدة ، مثل حكومات ألمانيا وإيطاليا سابقاً ، وأسبانيا الآن - ونحن في عام ١٩٤٧ م - قد أحرقت الكتب ، ووضعت غرامات باهظة على كل من يرغب في إنشاء جريدة أو مجلة ، وجعلت للصحفيين والكتاب عقوبات قاسية خاصة على ما ينشرونه . وهذا إلى قصر التعليم على عدد معين من الطلبة . ولا يمكن لشاب في مثل هذه الظروف أن يربى نفسه ، لأنه لن يجد الكتب الحرة النزيفة التي تربي ، ولن يجد الجرائد والمجلات الحرة التي تثير . فالشرط الأساسي للتنقيف الذاتي أن نميش في جو فكري ، يميز التأليف وإنشاء الجرائد والمجلات ، بدون فرض غرامة مالية ، أو إيجاد صعوبات قانونية ، يقصد منها إلى تقييد التأليف والنشر . ولا عبرة بالدعاوى التي تقال في فرض هذه الغرامات ، أو وصفها بأنها ضيقات ، كما لا عبرة بدعوى الحماية للتقاليد ، لأن النهاية التي نصل إليها من كل هذه الدعاوى هي تقييد الحرية الفكرية التي هي حق لكل أمة عصرية ، لا يصح أن يمس أو ينتهك ، بل هي حق لكل فرد ضد أمته ، ولكل أمة ضد حكومتها .

وحسب القاريء أن يعرف أن فنلندا يقل سكانها عن أربعة ملايين ، ومع ذلك فيها ٢٠٩ من الجرائد اليومية ، و ٥٥٧ مجلة أسبوعية وشهرية . ولكل من هذه الصحف قوة التوليد في الثقافة . هذا التوليد الذي هو الفرق الأساسي بين أمة الغرب الناهضة وأمة الشرق القابعة .

ولا قيمة لاستقلال تناله أمة بعد التخلص من الاستعمار إذا كان المستبدون سيتولون الحكم ، ويقلونها بقيود الفكر والحسم .

بل إنني حين أقارن بين الشعوب العربية التي رزحت تحت الاستعمار ، وتعلمت به سنين ، وبين الشعوب العربية الأخرى التي لم تعرف الاستعمار ، بل عاشت « مستقلة » ، أجد أن كلمة النهضة تنطبق على تلك الشعوب التي أضلها الاستعمار ، ولكنه في الوقت نفسه يمت فيها حركات ناهضة ، بالاتصال بالثقافة الأوروبية العصرية ، فاستطاعت أن تتخلص من بعض تقاليدها ، وأن تتمدن ، ونميا الحياة المصرية .



• إنني أحبب الإنسان الذي يغسل وجهه مرتين كل يوم ،
ولا يجرب غسل قلبه ولو مرة واحدة كل عام .
«ميكائيل نعيمة»

فارسي بلنسية



مدافع ، أبوالحمّلات ، قائد الأعنة

بقلم : الدكتور شاكِر الفحام

بلنسية مدينة مشهورة ، من أمصار الأندلس الموصوفة ، وحواضرها
المقدمة ، تقع في شرقي الأندلس ، في سهل فسيح منبسط ، كثير الخصب ،
يرويّه النهر الأبيض ، ولا يفصل بينها وبين ساحل البحر المتوسط الغربي
سوى ثلاثة أميال . فيها تجلت عبقرية فارس بلنسية ، وعظمت بطولته
وتضحيته . فهل أنصفه التاريخ ؟

تزيد في ضياء بلنسية ضحوة الشمس عليها .
ويقال : إن ضياء بلنسية يزيد على ضوء سائر
بلاد الأندلس . وجوها صقيل أبداً ، لا ترى
فيه ما يكثر خاطراً ولا بصراً ، لأن الجنات
والأنهار أحلقت بها ، فلم يثر بارجاتها تراب من

لقد ورد في كتاب « المغرب » لابن سعيد
عن بلنسية : « قد خصها الله بأحسن
مكان ، وحضا بالأنهار والجنان ، فلا ترى إلا
مياها تنزع ، ولا تسمع إلا أطيّارا تسمع ، ولا
تستشق إلا أزهارا تنفح ... ولها البحيرة التي

مسير الأرجل وهبوب الرياح فيكلر جوها ...
ولها البحر على القرب ، والبر المتسع ...
جامعة لخيرات البر والبحر ... وأهلها خير
أهل الأندلس ، يسمون عرب
الأندلس

وكانت مدينة بلنسية قسبة لكورة بلنسية ،
تبعها أقاليم كثيرة .

القنيطور وبلنسية

لقيت بلنسية أياما صعبا ، نكدات في
حروبها مع الاسبان الذين طعموا فيها ، ووالوا
غاراتهم عليها . ومن يقوى على نسيان تلك
المأساة المروعة التي قام بها القنيطور (المبارز)
الذي حاصر بلنسية عشرين شهرا ، ويعد أن
دخلها صلحا سنة ٤٨٨ هـ قلب لاهلها ظهر
المجن ، فنكت عهداً قد أبرمها ، وعاث في
بلنسية فساداً ، فانتهك حرمانها ، وأحرق
أهلها ، وكان من أحرقهم القاضي ابن جحاف
والي بلنسية ، والأديب أبو جعفر بن النبي
الشاعر المشهور ، ثم حول مسجدها الجامع إلى
كنيسة .

ويكى ابن خضاجة ، شاعر الأندلس ،
مصاب بلنسية أمر بكاء :

عاشت بساحتك القبا يا دار
ومها محاسنك البلى والنار
لوإذا ترفدت في جنبك ناظر
طال اعتبارك فيك واستقبار
أرض تغادقت الخطوب بأهلها
وتخضعت بخرابها الأقدار
كتب يد الحدثان في عرصاتها
ولا أنت أنت ولا الديار ديار

ولم يصبر أهل بلنسية على ما نزل بهم من
الظلم القادح ، وما لقيهم من الحيف والجور ،
فتذامروا وتذامروا لطرد المنتصب الدخيل ،

واستعانوا بقوة من المرابطين هبت لنجدتهم ،
فاستعادوا البلد الحبيب سنة ٤٩٥ هـ ، بعد أن
ظل يوسف في أغلاله سبع سنين عجافاً
مشؤومات ، فأنطقوا بأفهامهم الكريمة السنة
الشعراء التي كانت حبيسة ، وبدأوا من جديد
يبنون بلنسية العزيزة الغالية على قلوب أبنائها ،
بعد أن غادرها الأعداء الحاقدون غراباً يباباً ،
وقاصاً صفصفاً ، قد زرعوا في أرضها الحرائق
والدمار والموت .

أفضل أيام بلنسية

وميضت بلنسية تعاني ما تعانيه الأندلس
الصابرة من تقلب الأحداث ، حين اضطرب
أمر المرابطين وخلفهم الموحدون ، وكثر الثائرون
والمتزهون في أطراف الأندلس ، واشتد عدوان
الاسبان المخيرين .

ولعل أجل أيامها في عهودها الأخيرة كانت
بعد أن استطاع ملك الموحدين يوسف بن
عبدالمؤمن أن يضم بلنسية إلى حوزته ، ثم
اختار لها أبا الحجاج يوسف بن سعد بن محمد
بن سعد بن مردنيش ، من رجالات قبيلة جذام
اليمانية ، واليا عليها وعلى جهاتها . واستقرت
ولاية الرئيس أبي الحجاج بالبلاد الشرقية من
الأندلس مدة حياته .

ولما توفي أبو الحجاج سنة ٥٨٢ هـ تخلف
جملة من الولد الرؤساء ، تولوا ورأسوا وشهروا
بالبلاد الأندلسية الشرقية .

ثم ضعفت سيطرة الموحدين على الأندلس
بعد الملوك الثلاثة : يوسف بن عبدالمؤمن ،
والمصور ، والناصر ، ودبت الفتنة في بلاد
الأندلس ، وهبت ريح الخلاف والشقاق بين
أهلها ، وعلمت نذر الشر قوية مرعبة ، وبدأت
خارات الاسبان تغادي بلنسية وترواحها ،
وتراجعت في نفوس الأندلسيين روح الفتوة
والفروسية والبدل والفداء ، بل توارت ، لتحل
محلها روح الجبن والتخاذل والخور والهزيمة .

المحارب المتقد

وفي ظلام هذا الليل الدامس من الضعف والاستخذاء ظهر مدافع ، أبو الحملات ، قائد الأعتة ، فتى عربياً ، قد ورث قيم البطولة ، بطولة العرب الكرام الأولين ، ولقن منذ نشأته أن الدفاع عن الحمى ، وأن مجاهدة المعتدين على أطراف الوطن أقدس المقدسات . كان لا ينفك يردد : (إِنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (سورة التوبة ، الآية ٤١) .

عاش مدافع في كنف أبيه ، وإلى بلنسية ، أبي الحاج يوسف بن سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي ، وترأس بعد وفاة أبيه ، كما ترأس إخوته ، ولكنه ظل الفتى النذب المؤمن بالمثل والقيم ، لم تفره مباحج الدنيا ، ومظاهر الملك والسلطة ، وأبى إلا أن يكون الوفي لمبادئه التي شب عليها ، الباذل نفسه ودمه فداء لها .

كان يحس دائماً أن قدره أن يكون البطل المظفر ، أو الشهيد المكرم ، وكان دائم الترنم بسير الأبطال والشهداء الذين نذروا نفوسهم وقدموا أرواحهم دفاعاً عن الأندلس العربية . إنهم قدوته ومطمحه والغاية التي يتشوق إليها .

وكان لا يفتأ يذكر ما قام به جده سعد بن محمد بن سعد بن مردنيش ، سنة ٥٢٨ هـ ، من الدفاع عن مدينة إفراغة التي حاصرها الاسبان الحصار الطويل الشديد ، واستطاع ببسالته وصبره ونجدته واستماتته ، أن يوقف تقدم الأعداء ، حتى وصلت نجدة المرابطين ، واستنقذ المدينة ، بمعونتهم ، من براثن العدو . ثم كان لا يفتأ يذكر ما قام به وإلى بلنسية ، عبدالله بن محمد بن سعد بن مردنيش ، أخو جده ، من الاستبسال في مقاومة الأعداء ، حتى قضى شهيداً كريماً في معركة البسيط سنة ٥٤٠ هـ .

وهب مدافع يلود عن الأرض التي أحب . لم يمن ولم يجزع ، بل كان على رأس تلك الفتة القليلة التي نذرت نفسها للدفاع عن الوطن ، ووقفت تصد غارات الاسبان الذين استطلوا على البلاد ، واجتروا من الجرائم أفدها وأظلمها ، لا يذكرون إلا ولا ذمة (قَدْ بَذَتْ الْبُخْصَاءُ بَيْنَ أَقْوَامِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْثَرُ) (سورة آل عمران ، الآية ١١٨) .

صبر وصمود

كان مدافع لا ينفك يمارك ويقاتل ، لا تغل عزيمته قلة من معه ، واستخذاء الآخرين من حوله ، وتتابع العدوان الاسباني الذي لا يتوقف ولا يتليث .

كان أبداً في المقدمة ، ينتظر الشهادة ، يراها قدره وقسمته . وفي معركة ضارية من تلك الممارك القاسية تكالب عليه الأعداء ، وأحاطوا به يطمنون من كل جانب ، يشفون ما يغلي في صدورهم من حقد وغيظ ، وتآلق وجه مدافع مشرقاً وضاء ، وتطلع إلى السماء يشهدا على ظلم الظالمين ، وأقدم إقدام بطل ما عرف التراجع والنكوص قط ، ومضى على غلوائه ، مشرع الراية ، كالمهد به دائماً ، باسم الثغر ، طلق الحيا ، صتف بصوت ملؤه الإيمان والثقة : (وَصَلَّتْ إِلَيْكَ رَبِّ يَتَرَفَعُ) (سورة طه ، الآية ٨٤) .

ولقي مدافع ما أحب ، وسقط شهيداً في معركة البطولة والفداء ، مقدماً غير محجم . لقد قضى في ربيع العمر ، وربعان الفتوة ، أنم ما كان شياها ونضارة ، وقدم نفسه ودمه فداء وطنه وبلده (إِنَّا لَنَرِيحُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَفْئَسًا) .

بكاء الشعر وأذكره التاريخ

ويكت بلنسية ابنا البار ، ويطلها العظيم الذي أبى إلا أن يكون النور الساطع في ظلمة الليل البهيم ، يلمني من أحب سلوك سبيل

بكى جميع البشر عليه لما أن قبض
والشرفى الذكر والسميرى العروة
شق الصفوف وكثر حمل المدد فقبض

الرشاد ، يدفع عن وطنه ، مستتبلاً مستتباً ،
دون أمل في النصر أو رجاء ، ولكن ليضرب
مثلاً ، ويكون قدوة للأجيال ، يعلمها كيف
يكون القتال والاستباسة ، دفاعاً عن الحمى ،
وفوداً عن الأرض .

وبعد ، فلماذا كان نصيب مدافع ، أبي
الحميلات ، قائد الأعتة ، ابن أبي الحجاج
يوسف في كتب المؤرخين ؟

وزاح شعب بلنسية ، ومن ورائه شعب
الأندلس ، يردد كلمات أبي الحسن علي بن
حزمون التي قالها في رثاء مدافع أبي الحميلات
قائد الأعتة ، تمجيداً للبطلية ، وإذكاء
للحماسة ، وإشادة بالبطل الذي سل سيفه ،
ووقف حياته مرابطاً متأخراً ، يدفع العدوان عن
أرضه ويلاذه حتى وإفناء اليقين :

لقد قلبت مئات الصفحات ، أستجلي
حديث هذا البطل الكبير الذي قضى مجادداً
صابراً محتسباً ، فكان كل ما حصلت عليه
نصف سطر ضائع في كتاب لسان الدين بن
الخطيب يقول : « وكان مدافع قد استشهد
شاباً ، وفي حياة أخيه أبي السلطان عزيز بن
يوسف بن سعد صاحب جزيرة شقر ... » .
هل يصح لي هنا أن أقول : ما أصدق
الشعر ، وما أظلم التاريخ ؟ □

يا عين بغي السراج الأزهر الثريا الملائم
وكان نم الرتاج نكسراً كي تنثر مدافع
من آل سعد أكرز مثل الشهاب المنفذ

● روي أن المنصور المبرسي قدم للحج ، فكان يخرج الى الطواف في آخر الليل
مستترقاً ، ليظوف ويصلي ويدعو ، وحدث أن خرج ذات ليلة فسمع رجلاً يقول : اللهم
اني اشكو اليك ظهور البني والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ،
فانقصد المنصور في سميح حتى ملا مسامحه من قوله ، ثم خرج من الطواف وأرسل الى
الرجل فقال له : ما هذا الذي سمعتك تذكر من ظهور البني والفساد في الأرض ؟ فوالله
لقد حشوت مسلمي ما أرمضني وألقي .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين : ان أمتي على نفسي أنباتك بالأمور من أصولها ،
قال المنصور : أنت آمن على نفسك ، قال : ان الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ،
فاخفقت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بيتك وبينهم حجاباً ، في أيديهم
السلاح ، ثم سجت نفسك فيها ، وبعثت عمالك في جباية الأموال وجمعها ، وأثر هؤلاء
على أن لا يصل اليك من علم غير الناس الا ما أحبوا ، وأن لا تطلع من أمورهم الا على ما
أرادوا ، وأن لا يخرج لك عامل فيخالف أمورهم ويطرح رأيهم إلا تصبوه وحابوه
وشتموه ، عنك ، واختابوه ، حتى تسقط منزله ويصغر قدره .

فيكي المنصور وقال : ليتني لم أخلق في الدنيا ، ثم قال : كيف أحتال لنفسي ؟ قال :
افتح الأبواب ، وسهل الحجاب ، وانتصر للمظلوم ، واقمع الظالم ، وعذ الفقيه
والصدقات عما حل وطلب ، وقسمه بالعدل والحق ، وأنا الضامن على الذين هربوا منك أن
ياتوك ويشاءوك على صلاح أمورهم وأمورك وصلاح رحمتك .

افتح
لم
الأبواب



■ قاموس الطرفاء :

الثرثار : هو ذلك الشخص الذي يتكلم
عندما ترغب في أن يصني إليك .
التمعصب : شخص لا يمكنه تغيير رأيه
ولا يريد تغيير الموضوع .
المؤرخ : رجل يسير إلى الوراء .



ضحكات عربية

■ كذبنا ، فكذب

● أنشد بشار بن برد قصيدة في مدح المهدي ،
فلم يعطه شيئا ، فقليل له : إنه لم يستعذب شعرك يا
أبا معاذ . فقال بشار : والله لقد قلت فيه قصيدة لو
أننى بها أحد على الدهر ، ما خشي صروقه . ولكننا
كذبنا فيه القول فكذب هو أملنا فيه .

□□□

■ حافظ والأب والابن

● دخل رجل يكرمه حافظ إبراهيم على مجلس
كان فيه حافظ مع بعض أصدقائه . ولاحظ
الأصدقاء تأفف حافظ من وجوده ، وبعد أن خرج
الرجل بقليل تدخل شاب فسلم عليه حافظ سلاسا
فاترا . ولما سأله أحد أصدقائه عن هذا الشاب قال :
إنه ابن اللثام « اللي أم » .

□□□

● عندما يكون الناس متفقين
معي ، أشعر بأنني خطيء .
أوسكار وايلد
● كثير من الزيجات بالسة
وتعيسة ، لأن الزوج كان يتناول
العشاء مع زوجته بدلا من
سكرتيرته .

تشرشل
● ليس عيبا أن يكون المرء
فقيرا ، ولكنه أمر مزعج جدا .

سيلي سميت
● لسانه يدور باستمرار في
حلقة ، بحيث أن الصلبي يتنبأ
أن يتظر موته ليردد آخر أقواله .
كونفريز



تمت عبيدة

● كانت لرجل من العرب امرأة رعناء . دخل عليها يوما وهي مغضبة ، فقالت : مالك لا تشيب بي كما يشيب الرجال بنسائهم ، فقال : إني أفعل ! وأنشدتها :
تمت عبيدة إلا في ملاحقتها
والحسن منها بحيث الشمس والقمر
ما خالف الطغي منها حين تبصرها
إلا سؤالها والجيد والنظر
قل للذي عابها من حاسد حق
أقصر فرأس الذي قد عيب للحجر

نصف الحقيقة

● قال الكاتب دو ولش
لزميله دار لنكور : أتدري أننا
- أنا وأنت - أعظم ناشرين في
أوروبا ؟
فقال دار لنكور : يمكن أن
يكون في كلامك هذا نصف
الحقيقة .

لماذا ؟

● كان تريستان برنار في كواليس أحد المسارح
عندما اصطدم به عامل يحمل فوق كتفه ساعة كبيرة .
من تلك التي تعلق على الجدران ، فرماه العامل
أرضا ، فما كان من برنار إلا أن التقط قبعتها ثم قال
للعامل : لماذا لا تحمل ساعة يدوية كما يفعل سائر
الناس ؟

من القلب

أمر لا يصدق

● وفقت سيدتان أمام لوحة
الميلاد للرسم رامبرانت في
متحف اللوفر ودار بينهما هذا
الحوار :

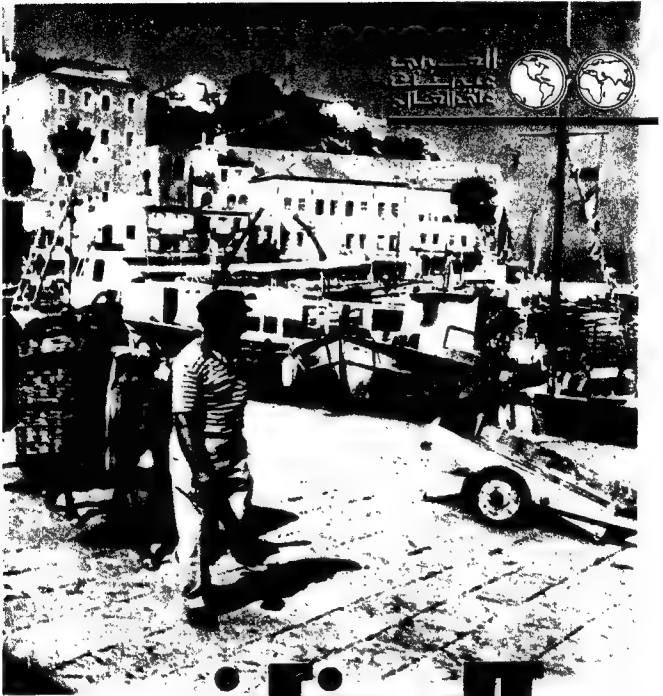
- لماذا كل هذا الجؤس الذي
يظهر في اللوحة يا عزيزتي ؟
- أنت تعلمين أن هؤلاء
الأشخاص كانوا فقراء ،
ويعانون من مصاعب مالية .
- هذا أمر لا يصدق ، ليس

معهم مال
ويطلبون
من رامبرانت
أن يرسم لهم
لوحة زيتية !



رامبرانت





البرناب

وجه آخر بلا افتعة!

«عن يونان أخرى حاولنا أن نبحث ،

— بعيدا عن السياحة والسياح

والجزر والصور الملونة—

عن الضفة الأخرى

التي لا يراها آلاف الزائرين

الذين يكتفون بالاستمتاع بالشمس

والبحر والخصوصية المفرطة .

إلى اليونان مهد الحضارة والتاريخ ،

أم اليونانيين سادة البحار وملوك التجارة

والمطاعم والسمرية ،

هبطنا ذات يوم !»



استطلاع :

محمود عبدالوهاب

تصوير :

طالب الحسيني

لكل ماهو يوناني وقع غريب في نفسي ،
وقع يمتد في الذاكرة إلى سنوات بعيدة .
في صاي الباكر ، ونحن مازلنا تلاميذ صفارا ،
وفي بداية عهدنا بالرجولة الباكورة ، كنا نتجمع
جموعة أصحاب في مقهى مدينتنا العربية
الصغيرة . كان صاحب المقهى والحواجة
ديمثريو- كما كنا نسميه- وكان مقهاه أنظف
مقاهي المدينة وأجملها ، يتناوب الخدمة فيها هو
وزوجته المفرطة البدانة وابنه ميخائيل . وكنا-
ككل أهل المدينة- نسمي مقهاهم مقهى
«الإجريج» ، وكان «ديمثريو» صديقا لكل
زبائنه ، بدءا من كبار الموظفين إلى صغار
الطلبة .

وفي زمان لاحق ، بعد هذا الزمان ، قضيت
ليلة شتوية أقطع الطريق من مدينتنا إلى الميناء ،

لكي أودع أخني المسافر إلى اليونان ليعمل مهندسا بحريا على ظهر سفينة يونانية ، وظل أخني سبع سنوات هناك ، يرسل إلي الرسائل ، يحكي لي عن البحار والموانئ ، ولكنه بعد كل ميثاء يعود إلى «بيريه» الميناء اليوناني ، ويفتني بالبيوت التي يحكي عنها ، وبالبشر الذين يعاشرهم .

وبعد ذلك الزمان - بزمان طويل - هبطت مطار أثينا الدولي ، في الثانية والنصف صباحا ، لتستقبلنا عاصمة اليونان استقبالا بلا مودة ، كانت سيارات الأجرة في يومها السادس من الإضراب ، ولم نجد سيارة تنقلنا من المطار بحافلتنا وأمتعتنا .

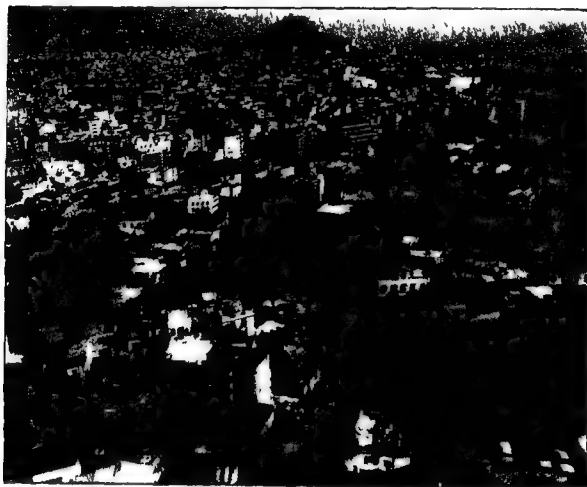
اقترب منا شاب يوناني رقيق ، ابتسم في وجوها ، سألتنا هل نبحث عن سيارة ؟ لم ينتظر إجابتنا ، قال لنا : سيارات الأجرة مضربة ، صديق لي سينقلكم بسيارته الخاصة ، سيتقاضى ستة آلاف دراخمة فقط ! كنت من سؤال الأصدقاء قبل السفر أعلم أن سيارة الأجرة لا تزيد أجرتها من المطار إلى وسط المدينة عن ٥٠٠ - ٦٠٠ دراخمة ، وبدأت المساومة ، وهزمتنا الليل والحفائب والإضراب ، فقد رضي بخمسة آلاف فقط ! أي عشرة أمثال الأجرة الطبيعية المقررة ، وانطلقت السيارة تنهب شوارع أثينا في ليلة صيف حارة .

جيرة الأقوياء

على أطراف أوروبا تقع ، وتحديدًا في أقصى الطرف الجنوبي لمنطقة جنوب شرق أوروبا ، وهي بذلك شبه جزيرة محاطة بالماء من ثلاث جهات ، من الشمال الغربي والشمال الشرقي محاطة على الترتيب بكل من يوغسلافيا ، وألبانيا وتركيا وبلغاريا . وقد كان لموقعها هذا تأثير طويل ومعقد على تاريخها كله ، فامتداد شواطئها على البحر الأبيض المتوسط ، ومئات الجزر التابعة لها ، جعل من البحر وأعماله

مصدرا مهما للعلاقات الإنتاجية ، والنشاط الاجتماعي في الجزء المطل على البحر ووجودها مظلة على البحر الأبيض ، بؤرة الدنيا . وقلب حركة التاريخ ، وساهم كثيرا في أن تطل اليونان على العالم ، وتنقل معارفها وحضارتها إلى آفاق الدنيا . ووقوعها في منطقة البلقان جعلها عرضة لموجات الهجرة والغزاة والعابرين ، فظل جزء من أراضيها تابعا لتركيا (السلطنة العثمانية) حتى بداية هذا القرن فقط ! ، وفي الحرب العالمية الثانية اجتاحتها مع كل البلقان جيوش هتلر ، وبدأ صراع القوى العظمى حولها ، حتى تم الاتفاق بين روزفلت وتشرشل من جهة ، وستالين من جهة أخرى على أن تكون كل البلقان ماعدا تركيا واليونان منطقة نفوذ سوفيتي .

وتبلغ مساحة اليونان ١٣٢ ألف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها يزيد عن عشرة ملايين نسمة (إحصاءات منتصف ١٩٨٦ م) ، ومتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي الإجمالي ٣٦٨٠ دولارا في السنة ، أي ما يعادل ٣٠٦ دولارات في الشهر تقريبا (الدولار الواحد يساوي ١٤٧ دراخمة) ، ومتوسط الدخل هذا - كما يقول كثير من اليونانيين - متوسط مبالغ فيه ، فعل الرغم من أن الأرقام صحيحة ، وتعلنها حكومة اليونان ، ويوردها البنك الدولي في تقاريره ، فإن اليونانيين يقولون هذا هو المتوسط النظري ، عندما نوزع إجمالي الدخل القومي على إجمالي عدد السكان ، ولكن الحقيقة أن السكان لا يحصلون على نصيبهم بالتساوي ، كما تقول نتائج هذه القسمة المعجبة . وبلغ المعدل السنوي للتضخم ٢٧٪ بعد أن كان في عام ١٩٨٦ ٢٠٪ فقط ، ولذلك فإن الأسعار تقفز بجنون ، وحتى عام ١٩٨٠ كان معدل التضخم ١٠٪ فقط . ويعتمد الاقتصاد اليوناني في الأساس على الخدمات ، وعلى رأسها السياحة ، ويكون قطاع الخدمات ٥٤٪ من



● منظر عام لمدينة أثينا كما تبدو من فوق الأكروبولس

هيكل الانتاج اليوناني ، سيما تساهم الزراعة بـ ١٧٪ فقط والصناعة بـ ٢٩٪ ، ويبلغ إجمالي ديون اليونان ٢٠٨٦٢ مليون دولار حتى أوائل عام ١٩٨٧ م ، يتطلع سداد الأقساط والفوائد ماسسته ١٤,٧٪ من إجمالي الناتج القومي ، وما قيمته ٣٢٪ من قيمة عائدات صادرات السلع والخدمات .

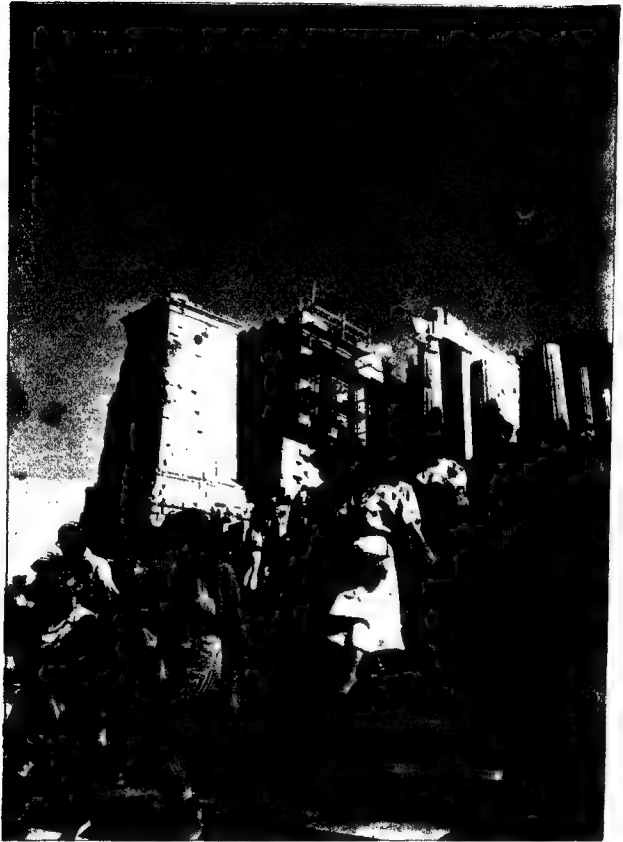
وكان انضمامها إلى السوق الأوروبية المشتركة في أواسط الثمانينيات سببا إضافيا لتلتهب الأسعار وازداد عبء الحياة وتكاليفها.

اكتشافات أولية

في الطريق من المطار إلى قلب المدينة سألنا سائق السيارة عن موقع فندقنا بالنسبة إلى قلب



● خريطة اليونان بعض المدن وبعض الجيران



المجهول ، حيث يتجمع عشرات السياح لمشاهدة منظر تغير الحرس ، في قلب الميدان عدد متلاصق من مقاهي الرصيف ، ويقف السقا يلوحو لك ويصوتون عليك ، يكادون يجذبونك من يديك للجلوس في المقاهي . بامتداد الشارع الطويل الذي يبدأ بميدان الستجيا ، وينتهي بساحة أمونيا ، تنتشر العمارة اليونانية ، بيوت لها طعم ومذاق ، شكل عمارة قريب من النمط المنتشر في المدن العربية العريقة ، كدمشق والاسكندرية ، والقاهرة . على يمين السائر المتجه إلى ساحة أمونيا تنتصب أكاديمية الفلسفة ، مبنية على الطراز الأغريقي : الأعمدة ، السلام ، الطابق الواحد ، وعلى الأعمدة تنتصب تماثيل لرموز اليونان الخالدة : سقراط ، أفلاطون ، أرسطو ، أبولو .

الأرصعة عالم آخر ، باعة أوراق بانصيب يتفننون في عرض أوراقهم ، باعة جائلون يعرضون الملابس ، معروضات لمحات تخرج بضاعتها على الرصيف .

واليوناني تاجر حتى أظافر قدميه ، يعرض بضاعته ، يقترح عليك تذوقها ، يتسم ، يشير يديه وتعبيرات وجهه وكلهاته الحميمة ، ليفتحك أن بضاعته لامتثل لها في السوق كله ، وأنك ستريح لو اشتريت . تسأل عن السعر ، فيتسم ، ويسألك هو ، كم كيلوجراما تريد ! . عند هذا الحد من التفاوض كنا ننصرف .

في ساحة أمونيا ينتصب تماثيل من الصدف الأخضر لطائر البحر الخارج من الماء ناشرا جناحيه ، وجذعه على هيئة إنسان ، وعلى امتداد الأرصفة الدائرية المحيطة بالساحة تنتشر الأكشاك ، وباعة اليانصيب ، والمتسكعون ، والمقاهي . داخل المقاهي تسمع زنين زهر الزرد ولمعة الطاولة ، وبعض الأشخاص الواقفين يلعبون « الثلاث ورقات » ، يديرها الرجل بين يديه ويقلبها على وجوهها ، ويسألك أين الصورة ، وهي لعبة قهرا لاتتم إلا بالنقد ،

أثينا ، وعندما علمنا أنه بعيد عنها طلبنا منه أن يساعدنا في البحث عن فندق آخر في قلب العاصمة ، تحسبا لاستمرار إضراب سيارات الأجرة ، وبدأت مساومة جديدة . قال لنا : إنه سيذهب أولا إلى فندق يعرفه ، وإذا لم نجد فيه مكانا ، فإنه سيزيد الأجرة مقابل بحثه معنا ، وأسعدنا الحظ ، ووجدنا غرفة في الفندق الذي ذهبنا إليه ويقع الفندق في قلب منطقة تجوال المشاة في وسط العاصمة ، وهي المنطقة التي لايسمح للسيارات بدخولها ، وهبطنا على الرصيف ، ووقف أحدنا بجوار الحفائب وحمل الآخر حقيبته وذهب للفندق .

سألنا عن عامل يحمل الحفائب فقال لنا موظف الاستقبال : لا توجد لدينا هذه الخدمة ، فحملنا حقائبنا وسرنا إلى بوابة الفندق .

أمام الفندق مباشرة مقهى صغير ، يقدم وجبات الإفطار الخفيفة مع الشاي والقهوة ، وفي الصباح الباكر وأنا أفتح الشرفة وجدت عامل الفندق يمر المسافة بين باب المقهى وباب الفندق حاملا لنا إفطارنا ، ولكي أتأكد ، طلبت منه أن يغير لنا قطعة الفطيرة التي أحضرها بنوع آخر ، ووقفت أرقبه من الشرفة ، فوجدته ذاهبا حاملا طبق ، وغير الفطيرة وعاد إلينا .

عند هبوطنا سألت عن الفرق في سعر الغرفة مع الإفطار وبدونه . فاكشفت أن الفرق يصل إلى حوالي ٧٥٠ دراخمة . عبرت المسافة بين الفندق والمقهى ، وقرأت أسعار الإفطار والقهوة والشاي ، واكتشفت أن الفندق يتقاضى من الفرد الواحد منا ٥٠٠ دراخمة بلا وجه حق إلا لمبور العامل ثلاثة أمتار بين بابي المقهى والفندق .

بدأنا جولة الصباح الأولى ، ومحاولة التعرف على المدينة . خلف الفندق ميدان الستجيا حيث يطل عدد من الفنادق الكبرى على الميدان ، ومن جانب آخر نصب الجندي

وبين الزحام عليك أن تسير على الأوصفة لتنتقل من جانب إلى جانب آخر ، أو لتبهط وتستقل مترو الأنفاق إلى ميناء «بيريه» .

السفن المشرعة

فور خروجنا من محطة المترو عند الوصول إلى بيريه شمنا رائحة اليود التي تعبق في أجواء الموانئ ، البحر يواجه «المترو» و«الأتوبيس» ، ولأن الشارع ضيق فالزحام شديد . على الشارع المطل على البحر تنتشر مكاتب السفر ووكالات الشركات البحرية . في المرسى ثلاث سفن شحن كبيرة ، والعمال منهمكون في تعبئتها ، وفي طرف الميناء مراكب صغيرة للسفر والتنقل بين الجزر التابعة لليونان .

بيريه لا تبدو كمدينة منفصلة ، بل هي أقرب لتكون امتدادا وضاحية ، المسافة بينها وبين أثينا بمترو الأنفاق تستغرق عشرين دقيقة فقط . داخل الشوارع المتعاطلة مع شارع الميناء تنتشر محلات لوازم البحر ، تباع أدوات مختلفة ومتباينة ، بدءا من الحبال إلى أدوات الصيد ، والمقاهي والمطاعم الرخيصة ، وفي الشوارع ينتصب سوق الخضراوات وسوق السمك . على مقهى في الشارع كان الحديث غالبا والأصوات عربية . جلسنا مع أربعة من العرب يعملون في البحر على إحدى المراكب اليونانية ، أقدمهم يعمل منذ تسع سنوات ، وأحدثهم منذ ثلاث سنوات ، المركب التي يعملون عليها مخصصة للشحن ، وهم يطوفون العالم ، ينقلون بضاعة من هنا إلى هناك ، وقد تطول بهم الرحلة قبل أن ترسو بهم المركب في ميناء ، وفوق ظهرها لاركاب ولا بشر غير طاقمها ، وهم خليط من الجنسيات ويقولون : إن الرواتب لاتوازي الجهد ولا المشقة ، وسفارة العمل امتصوا دماءهم في البداية ، فلا يستطيع عامل أن يلتحق بسفينة أو يعمل لدى شركة مباشرة ، ولكن كل فرص العمل يحتكرها عدد

من «السياسة» الذين يتقاضون نصف راتب سنة . ويجزم بعضهم أن هناك تواطؤا بين بعض موظفي الشركات و«السياسة» ، حيث ترفض الشركات العمال عند تقديمهم إليها مباشرة ، بحجة عدم الحاجة إلى عمال ، ليفاجأوا بأن الشركة نفسها قبلت عمالا آخرين ، ولكنهم تقدموا من خلال «سمسار» .

والأسطول البحري اليوناني يمتد في كل بحار الدنيا ، واليونان سادس دولة في العالم من حيث الأسطول التجاري وحجم عملياته . ولقطاع النقل البحري وعالم الأساطيل قواعد خاصة ، وعالم مغلق على أصحابه ، وعائداته بالملايين ، وأصحابه يتحكمون في جزء مهم من تجارة العالم ، ولذا فإنهم يمثلون قوى لا يقترب منها أحد . وشركات الملاحة شركات عملاقة ، لانكتفي بلعبة المال فقط ، ولكنها تلعب في بحار السياسة والاقتصاد ، مستمدة قوتها من



● باعة «الباصيب» مشهد متكرر

● اليونان وجه آخر بلا لثمة !

الكنائس ، حتى أقاموا في شارع جانبي خلف قوس النصر الكبير الذي مر منه الملك قسطنطين الأول ، والذي تحررت سالونيك في عهده ، أقاموا كنيسة على الرصيف ، مبنى صغير من الخشب والزجاج الملون ، والمبنى أقرب للكشك المتسع مه إلى البناء ، أقاموه لأنهم لم يجدوا أرضاً خالية ليشيدوا عليها كنيسة ضخمة ، وعلى الرغم من ذلك فقد استولوا على المسجد الكبير الذي كان بالمدينة ، وحولوه إلى كنيسة تلق فيها الأجراس ، علماًً تنسيهم مرارة الفترة التركية . ولعل أصدق تمثيل عن إحساس اليونانيين بالفترة التركية هو ما صوره أعظم روائيتهم ، ومن أعظم روائى القرن العشرين كازنتراكس في معظم أعماله ، وهو يصور - مثلاً - الوالى التركي في رواية (المسيح يصلب من جديد) كشخص ثقيل كرهه شهواني عشي دموي ، وعلى الرغم من أنه في معظم الرواية

سفنوا المشرقة التي تجوب مياه العالم حاملة السلع والوقود والثروة .

المسجد والكنيسة

حرص اليونانيون على تأكيد هويتهم وشخصيتهم أمر دونه الموت ، وعلى الرغم من خضوع مناطق من اليونان الحالية للسيطرة أوقاتاً طويلة ، فإنهم يحملون كراهية شديدة لهذه الفترة ، وهم شديدو الحرص على إهمالها ، وفي الوقت نفسه يؤكدون على كل ما هو يوناني ، وكل ما هو كنسي ، وعندما هبطنا سالونيك كنا ندرك أن هذه المدينة كانت من التابعة العثمانية فترة زمنية طويلة ، امتدت من القرن الخامس عشر الميلادي ، ولم تنضم إلى اليونان إلا في عام ١٩١٢ م ، وعندما تحررت حدثت مذبحه هائلة في المدينة ، واندفع اليونانيون لهدم المساجد ، ودثر الآثار التركية ، والإسراط في مناه



● يسألان عن موعد السحب الجديد



● يقرأ الأرقام الفائزة في سحب « اليانصيب »

التي ولد فيها الاسكندر الأكبر كراحة يدي ،
وقد زرتها خلال فترة الدراسة من الابتدائي إلى
نهاية الثانوية بما يعادل مرتين كل سنة ، وفي
امتحان نهاية العام كنت أرسم تخطيطا للقصر ،
وأكتب نبذة عن تاريخه وتاريخ الاسكندر ، أما
محمد علي فلم أسمع عنه قبل الآن .

استوقفتنا سيارة أجرة في الطريق ، يدانا
المساومة ، ثالث سائق توصلنا معه إلى مبلغ

يظل على القرية فقط من شرفته ، لكن مجرد
وجوده ووصفه لشهد الشرفة يمنح القارئ
إحساسا بظل الهواء وعفته الذي يحيط بهذا
الوالي .

تقع سالونيك في أقصى الطرف الشمالي
الشرقي لليونان ، وهي أقرب للحدود التركية ،
حولها تنتشر الأماكن التاريخية ، غربا المنطقة
التي ولد بها الاسكندر الأكبر ، وبالقيا القصر
الذي ولد فيه ، والذي لم يبق منه إلا ساحة
فيها بعض البلاطات الملونة وبضعة أنصاف
أعمدة .

ورشرق سالونيك مدينة وكافالاء ، وهي
تبعد عنها ١٥٧ كم ، وفيها البيت الذي ولد فيه
محمد علي باشا الذي دخل التاريخ بولايته
لمصر ، وتجربة الدولة الحديثة التي أقامها فيها .
واسم المدينة كما هو في كل كتب التاريخ التي
درستها بالعربية «قولة» وهو نطق مغاير لاسمها
الصحيح ، والسبب أننا نقلناه عن الأتراك ،
والأتراك يطلقون الولو وقاء ، ومن هنا قولهم
«لمرأة مرقّت» ، ولولد «قالد» ، والقاف حرف
عربي خالص ، يبدو أننا استبدلناه بالكاف ،
ظنا منا أن أصل الكاف في الاسم هو قاف ،
وقفت أسأل (هيلين) ، عملة الاستقبال في
الفندق الذي أقمنا فيه في سالونيك «عن كيفية
الذهاب إلى وكافالاء» ، قالت لي : إنها
لا تعرفها . قلت لها لتقريب الأمر إليها : حيث
ولد محمد علي - نظرت إليّ باستغراب ،
استدارت وسألت زميلتها : هل تعرفين محمد
علي ؟ ردت زميلتها : أهو ! نعم ، إنه نبي
المسلمين . ولم أجِد مقرا من الذهاب إلى مكتب
تأجير السيارات ، سألت الموظف ، قال لي :
إنه ليس أمامي إلا استئجار سيارة أجرة ، عدت
إلى موظفة الاستقبال ، قلت لها : إن مدينة
«كافالاء» تقع إلى الشرق على بعد كذا ،
وعجيب ألا تعرف مدينة فيها أثر تاريخي مهم ،
فردت بسرعة : مهم لماذا ؟ أنا أعرف المنطقة



● اليونان وجه آخر بلا أئمة !

القديم ، وذهبنا إليه ، الشوارع بالعة الضيق لا تكاد تسع لمرور السيارة ، ويخشى أن تصطدم حواشيها بالمباني القديمة . ظلت السيارة تصعد مصبة صغيرة في أعلاها يتصب نثال لمحمد علي باشا راكبا حصانه ، وبجواره البيت ، والبيت على قمة الزبوة ، يطل على البحر مباشرة ، والبهاء ذو طابقين مهممل إهمالا شديدا ، وعلى الرعم من ذلك يبدو على البيت الخالي تماما أنه بيت لثري من تحار الدحان ،

ظنناه معقولا : ستة آلاف دراجة ذهبا وعودة وانتظارا هناك نصف ساعة فقط ، قبلنا هذا المبلغ لأننا مازلنا نتذكر الخمسة آلاف دراجة التي دفعناها من مطار أثينا إلى وسط البلد . احترقت بنا السيارة قلب الريف اليوناني ، الطريق ساعد هابط ، في مرتفعات ووديان ، على جانبي الطريق تمتد الخضرة والقرى والمزارع ، وأشجار الزيتون والكروم . وصلنا إلى كافالا بعد ساعتين ، سألنا عن المحي

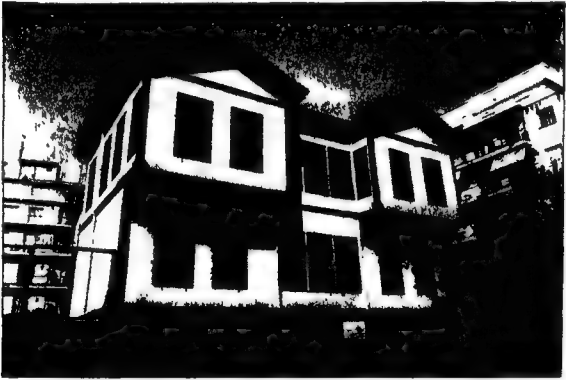


● رصيف ميناء بيريه ● السفن مشرعة والساكنون متأهبون

لتجميع النفايات .
اخترقت السيارة بنا الريف اليوناني لنعود إلى
سالونيك مرة أخرى .
من هنا ولدت تركيا

في سالونيك يقع البيت الذي ولد فيه وعاش
فترة طويلة مصطفى كمال أتاتورك ، أبو تركيا
الحديثة ، وعندما انفصلت سالونيك عن تركيا
وعادت إلى اليونان ، اشترى الأتراك البيت
الملاصق لهذا البيت ، وأقاموا مبنى القنصلية

تسع غرف ، صالات كبيرة ، أسرة خشبية
ملتصقة بالحائط . طوال طوافي بالبيت الرطب
المعتم كنت أتساءل : أي أفكار كانت تطوف
بذهن الصبي محمد وهو هنا ؟ أي أحلام راودته
وهو ينظر إلى البحر ؟ وأي آمال كانت في خاطره
وهو يلعب في حديقة البيت التي صارت
مهملة ؟ وكلها غطت قلبي خطوة تساءلت :
ترى هل خطا هنا الخطوة نفسها ؟ هل جلس
هنا يوما حيث أطوف وأطأ وأنظر ؟ قطع سائق
السيارة عليّ تداعياتي ، وقطع على زميلي المصور



● منزل كمال أتاتورك ما زال محظوظا به داخل مبنى القنصلية التركية في « سالونيك »

التركية ، وأحاطوا المبنى بسور ضخمة ، لكي
يظل بيت أبي تركيا الحديثة في أراضي تركيا ،
وفق العرف الدولي الذي يقضي بأن أراضي
البعثات الدبلوماسية تعد أراضي هذه الدول .
بيت أتاتورك على النقيض من بيت محمد
علي ، من حيث العناية والنظافة والرعاية ،
ذهبنا إلى القنصلية ، ولأن اليوم يوم أحد لم يكن
بها إلا موظفو الأمن . حاولنا أن يمنحنا المسؤول

لقطاته ، ليدكرنا أن نصف الساعة قارب على
الانتهاء . عند الحبروط وقفنا أمام الأوقاف
المصرية ، وهي واحدة من المشكلات المعلقة
بين مصر واليونان ، الأوقاف تمتد على مساحة
شارع بأكمله طولا ، وتمتد عمقا ، ليترفع
أصلها ثلاثة شوارع ، وهي تكية وسبيل ،
ومدرسة ، وكلها مغلقة . بعضها استخلمه
التجار كمخازن ، وحراسها حولوه إلى مكان

والتريفي الذي قاد به أناتورك تركيا إلى البحث
الجديد الذي اختاره لها .

يونانيون حتى العظم

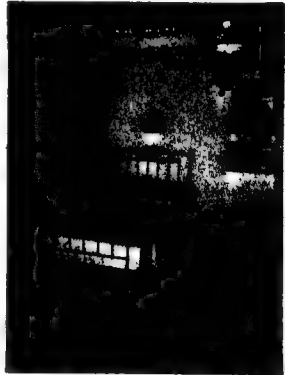
عدنا إلى أثينا صباح الاثنين ، كان إضراب
سائقي سيارات الأجرة مازال مستمرا ولكننا
تعلمنا ، فلم نبحت عن سيارة ، أخذنا
«التوبيس» غلـمة ركاب المطار ، نقلنا إلى ميدان
السـتـجـيا ، ومنه قطعنا المسافة إلى الفندق سيرا
على الأقدام .

سألنا : ألم تبد بادرة انتهاء لإضراب سيارات
الأجرة ؟ قالوا : اليوم ستعقد جولة جديدة من
المفاوضات . وبدأ محدثنا في وزارة العمل
يستفيض في شرح أسباب الإضراب وآلياته .
قال لنا : إن الحكومة أصدرت قرارا بأن منطقة
المدينة ستتناوب سيارات الأجرة دخولها ، بمعنى
أن السيارات ذات الأرقام الفردية تدخل يوما ،
وذاـت الأرقام الزوجية يوما آخر ، وذلك
لتخفيف الزحام والضغط في شوارع المدينة ،
وهاج أصحاب سيارات الأجرة وبدأوا يلوون
ذراع الحكومة ، وأعلنوا عن إضرابهم ،
ورفضوا دخول المدينة كلها ، وأصبحت حركة
النقل بالتوتر ، وازداد الضغط على وسائل النقل
العامة وازدحمت المركبات ، ولكن الحكومة
مصرة على تنفيذ القرار مهما طال زمن
الإضراب .

وقد ظل الإضراب قائما حتى غادرتنا اليونان
كلها .

في وزارة الثقافة التقينا مديرة التخطيط
الثقافي ، حاولت معها الاقتراب من تفسير
لظواهر كثيرة قالت : نحن حريصون أن نظل
يونانيين حتى العظم ، وعلى الرغم من اختلاطنا
واندماجنا الشديد بلوريا فإننا حريصون على
هويتنا وشخصيتنا القومية ، لأننا لو فقدناها ،
فستصبح مسخا تائها وسط شعوب المنطقة ،
وأعترف أننا لانجد جهدا شديدا ، لتأكيد ذلك

منهم إننا بالدخول ، فرفض رفضا قاطعا ، قلنا
له نحن قادمون من بلاد بعيدة وستغادر
سالونيك عند الفجر ، فأصر على الرفض ،
ومع الإلحاح والمساومة ومائة دولار قبل أن
يحدث السكرتير في المنزل ، فوافق السكرتير على
أن ندخل دون تصوير ، ومع مائة دولار ثانية
وكثير من الإلحاح وافق على أن يحدث القنصل
وقال له ما قلناه نحن ، ونقل بلمانة وجهة
نظرنا ، فوافق على أن ندخل مع آلة التصوير
ونلتقط الصور . في الحديقة شجرة رمان



● غرة نوم كيـال أناتورك : فـراشه وأهـراضه

مزهرة ، زرعها كيـال أناتورك ، وفي الداخل كل
متعلقاته : ثيابه ، أدواته الشخصية ، أواني
الطعام ، فراشه ، كتبه ، عصاه ، قبعته ،
متحف كامل ، مرتب ومنسق ومحتفى به ،
احتفاء منهم بالمكان الذي عاش فيه الضابط
مصطفى كيـال أناتورك فترة طويلة ، حيث كان
يخدم في سالونيك .

وفي هذه الفترة بزغت فكرة حزب الاتحاد



● مبنى برلمان أثينا القديمة هو المبنى الوحيد الذي مازال قائما بشكل كامل

التاريخ الحديث كتبنا ملاحم فوق جبال اليونان دفاها عن حريتنا وكرامة أراضيها ، نحن قدمنا كازنتراكس ، وثيودرس وكتانيس دريتوس وماريا كالاس ، بعد الرموز الخالدة : أرسطو ، وسقراط وأفلاطون ، وارشميدس ، وفيثاغورس ، وقائمة طويلة ، كل واحد منهم له فضل في تاريخ الجنس البشري . ونحن أول من أرمى القيم الخالدة وعرفها ، وقلنا إنها الحق والخير والجمال ، وعلمنا العالم المنطق والفكر الرياضي ، وهل الرغم من ذلك نحن سطاء مغرّقون في حب الحياة والإقبال عليها ، ولأننا نحب الحياة ، فنحن نعرف كيف نقدمها للآخرين ، وكيف نسهلها لهم .

حياة لم تتغير

تستطرد محدثي مديرية التخطيط الثقافي بوزارة الثقافة في الحديث بعد أن انضمت إليها رسمية لها من قسم التراث والثقافة القومية ، تقولان ردا

وتثيته ، ادخل أي بيت ، مهما كان شكله ، ستجد الحياة داخله يونانية : العادات ، والتقاليد ، نمط الحياة ، الألفاظ ، الصيحات ، طريقة التعبير ، استخدام الأيدي في الإشارة وتوضيح معاني الكلام ، (ونحن في هذا مشتركون مع دول المتوسط في هذه المادة) ، ونحن في هذه الوزارة ننسق مع وزارة التربية في تدريس مناهج تؤكد هذا الاتجاه ، وتدعّمه ، ونحن ندرس بجانب هذا الفنون الجميلة ، لأننا ندرك أن ارتقاء الذوق العام سيجعل المواطن يكتشف الجمال الرائع الذي تحويه هويته القومية ، وتقدم الوزارة خدمات الاسعار الخاصة للموظفين والطلاب والصغار دون السادسة عشرة ، وأنا لا أتفق مع الرأي القائل إن لدى اليونانيين بعض الاستعلاء ، ولكن نحن سادة العالم ، قدمنا الحضارة عندما كانت البشرية طفلا أصمى ، وقلنا الأداب والفنون عندما كانت الروح الإنسانية بهيمية ، وفي



● الأوقاف الإسلامية في « كalamata » . إسماعيل وهارزون ونفيليت .

على تساؤلاتي : الحياة لم تتغير في الريف ، وبعيدا عن المدن الكبرى ، مازالت التقاليد سائدة ، فالبنت تزوج من يرتضيه الأهل ، صحيح هناك قدر من المرونة ، ولكن لا يصل الأمر أبدا إلى الخروج عن رضا الأسرة ، والأمر مازالت متمسكة بمعايير التكافؤ الاجتماعي والاقتصادي ، ولا تنظر برضا إلى زيجات بين طبقات متفاوتة ، والأبناء طوال فترة دراستهم مقيمون في بيت العائلة ، والأب يتفق ، ولكن فور تخرج الابن وتولييه عمله ، فإنه إذا لم يستقل بسكن - وهذا غير مقبول قبل الزواج - فإنه يساعد والده في نفقات المعيشة إذا كان الأب غير مقتدر . وعند الزواج تساعد الأسرة الأبناء ، ولكن هذا ليس إلزاما ، لكنه سائد بدرجة كبيرة في الريف ، واحتفالات الزواج تتم على الطريقة اليونانية ، الرقص الشعبي الذي يشارك فيه الكل كبارا وصغارا رجالا ونساء وفيه الشواء والنيذ ، وفي الميلاد يتم الاحتفال بعد أسبوع



● باب بيت محمد علي في « كalamata »

والثقاليـد . وأعقب مازحا حتى هذا تـدسين فيه الحضارة اليونانية ؟! فتضحك بطيبة سيدة عجوز وتقول : لا تنس أنني يونانية حتى العظم .

العائلون إلى الوطن

في الفندق ، في إدارة حكومية ، في مطعم ، في شارع ، أينما التفت تصطدم يوناني أو يونانية تتحدث العربية ، تحكي مدام تريزا ، يونانية ، ولدت وعاشت في القاهرة وعملت فترة طويلة هناك حتى عام ١٩٨٢ ، عادت إلى ، تقول : جئت إلى هنا أنا وزوجي ، أصبحت كلفة الحياة في مصر صعبة ، تصور أنني هنا سأسريح كثيرا ، ولكنني أعمل الآن في الحكومة ، وزوجي يعمل مهندسا في شركة خاصة ، ويضطر للتغيب أسبوعا كاملا بعيدا عن البيت ، ونكاد نستطيع أن نحيا نحن وبناتنا الثلاث . صحيح أن أهلي هنا ، أأتلف مع الحياة على الرغم من أن بيوتنا في القاهرة كانت يونانية بكل تفاصيلها اليومية ، لكن هناك شيئا لا أستطيع تفسيره فهناك شيء ما مفقود .

«ميشيل» متردئيل في مطعم بأكبر فنادق أثينا ، الفندق يطل على ساحة ستجيا ، في منتصف الخمسينيات ، عندما كان عمره خمس عشرة سنة غادر أبوه الاسكندرية ، وجاء معه ، وطوال فترة العشاء كان يطوف بين الموائد ، ويأتي إلينا يتحدث بالعربية ، ويحكي عن النادي «الأجريمي» بالاسكندرية ، ونادي الصيد ، والبحر ، ويسأل عن أسماء أماكن وبنات ، وشوارع ، ويصف أين كان بيته . في آخر مرة جاء إلينا قلت له : ألم تقطع صلتك بكل هذا واسترحت ؟ نظر إلي وأغمض عينيه ، وقال بالانكليزية : نحن الغرباء الذين انقسمنا إلى نصفين ، وضاع قلبنا بين وطنين .

عاملة الهاتف في الفندق نفسه عندما ذهبت لأجري مكالمة دولية ، ولأنني بالطبع لم أكن



● في الشوارع القديمة بأماة «التذكارات» يمنحون الطرقات مذاقا خاصا

من ولادة الطفل ، عند التعميد ، وعادة يقام الاحتفال في بيت «أشبين» الطفل ، وهو أبوه الروحي الذي يعمده ويختار له الاسم ، ويسارع الأهل والأصدقاء لتقديم الهدايا التي غالبا ماتكون من الذهب .

أقول متسائلا : ألا تدرकिन سيدتي أن هناك تشابها كبيرا بين التقاليد اليونانية وكثير من التقاليد العربية ؟ تقول : نحن في منطقة تأثير حضاري متبادل ، ونحن نشكل مع الوطن العربي إقليما جغرافيا ، والحضارة العربية بدأت بعد ترجمة الحضارة اليونانية .

وموقفنا الجغرافي . وقربنا من الوطن العربي ، ساهما كثيرا في تشابه العادات



● مشهد تمير الحرس أحد المشاهد التي يجرح راقص أتيشا على متابعتها



● في جزيرة «أدلب» الشوارع الضيقة والبيوت البيضاء صورة للشوارع والقرى التقليدية

أعمدة وحفر الأساس ، ولافتات تقول : هنا كان كذا ، وهنا كان كيت ، والمبنى الذي مازال قائما بشكل يكاد يكون كاملا هو المعبد المقدس لآلهة أثينا (Eigora) ، وكان بمثابة البرلمان ، وهو أول برلمان في التاريخ ، وحول المعبد والبرلمان كانت تدور الحياة والبيع والشراء ، فالبرلمان بموقعه يتوسط المدينة كلها ، وداخله كانت تدور المناقشات ، وتبرم العقود ، وتعلن الحرب ، ويتفق الزعماء أو يختلفون ، وعلى الرغم من قلة الآثار اليونانية قياسا بعدد من المدن العربية كالقاهرة ، والأقصر ، وبغداد ، ودمشق ، وصنعاء وغيرها فإن اليونانيين يفتنون في بيع المنطقة إلى السياح ، وهنا جانب من ذكاء اليوناني التاجر ، ويائع الخلفاء قريب من «الأكروبولس» منطقة بلاكا ، والمنطقة كلها هي

مقيا في هذا الفندق الكبير فإن النظام يقضي بأن أتحدث من الكابينة ، وأسدد نقدا ، وعندما عرفت أنني عربي أبدت عرضا بالآ لا تأخذ النقود ، قالت : إنها من حي شبرا بالقاهرة ، وبالطبع دفعت النقود ومعها «بقشيش» سخى ، فقد كانت تتحدث العربية بطلاقة ، حيث إنها لم تعد إلا منذ ثلاثة أعوام فقط .

بقايا أحجار ما قبل الميلاد

أخذنا «الأتوبيس» لنذهب إلى «الأكروبولس» ، فوق الهضبة الشهيرة التي تستلقي تحتها أثينا ، تتناثر الآثار اليونانية القديمة ، عمرها يعود إلى أكثر من ٢٥٠٠ عام ، أى ما قبل الميلاد ، وبفعل الزمن فقد تهاوت معظم هذه الآثار ، ولم يبق منها إلا أطلال وبقايا

● اليونان وجه البحر بلا أقمعة !

الجزء القديم ، شوارع ضيقة ، بيوت ذات طابق واحد ، بيضاء ، الورد والخضرة تتدلى من نوافذها وعلى أبوابها ، الشوارع مبلطة ، وصاعدة هابطة ، وداخل الشوارع وفي نهايتها تنتشر المحلات التي تبيع المصنوعات التقليدية ، وفي المقاهي في الليل لا تجد مقعدا تجلس عليه ، حيث يصعد أهل أثينا والسياح الهضبة المقدسة ويقضون سهراتهم إلى وقت متأخر من الليل في مقاهي البلاكا ومطاعمها ، وساحاتها ، وتفوح رائحة الشواء ، ويلمع النيذ اليوناني في الأكواب الزجاجية ، ودندنات عازفي الموسيقى ودقات الأقدام ، ونقرات الأصابع على المنضدة ، والغناء الدافئ الشجي الذي يتسلل إلى الروح حتى وإن كنت لاتفهم اللغة ، ولا تحسي النيذ ، ولا تأكلي اللحم الذي لاتعرف إن كان مصدره خنزيراً أم بقرأ ؟ ولكن المكان والغناء والنور الخافت والهضبة العالية المقدسة ، والبشر الذين يضحكون ويتسممون ويتوادون دون سابق معرفة ، كل هذا يجعلك قريباً من المكان ، متفاعلاً مع كل من ما حولك .

الجمال البسيط

عدنا لبريه مرة أخرى ذات صباح ، لنستقل مركباً متجهين إلى جزيرة أدلب ، ساعة ونصف ساعة ، بالدلفين الطائر ، ووصلنا إلى الجزيرة . الجزيرة نموذج مصغر لقرية يونانية ، البيوت ذات الطابقين والطابقين ، البيوت كلها باللون الأبيض ، والأبواب زرقاء ، والبغال والحمر هي وسيلة الانتقال ، ومعظم مباني القرية «بنسبونات» ، وفنادق صغيرة ، وعلى التل المشرف على القرية تتصطب الكنيسة ، على بواباتها بقايا سقف النخيل ، والسكان إما يعملون بالزراعة خلف التل ، وإما يعملون بالفندقة وخدمة السياح . عند سفح التل من الجهة الثانية السفح المواجه للبحر هو جانب الفندقة ، والحيطة مفرطة في البساطة ، الناس تسير بأي



● المساومة سر التجارة في كل اليونان ساوم في أنفهم المحلات أو مع باعة الأرصعة



● محلات مدخل حي « بلاكا » تتنن في عرض محتوياتها على الأرصعة



● عارف البيابولا على وجهه كل متاح عمره ، وما زال يطوف الشوارع ، ويبيع الموسيقى والذكريات

● اليونان وجه آخر بلا أنعمة !

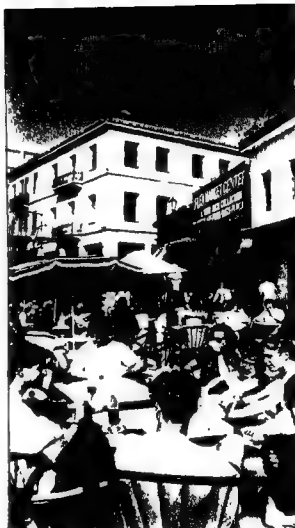
والمناخد .

جمال مفرط في بساطته ونظافته وطبيعته ، جعل من أدلب ومئات الجزر الأخرى محطة وصول للملايين من السائحين، الذين يهبون إلى المطار ومنه مباشرة إلى الجزيرة ثم إلى طريق العودة ، لا يحاولون أبداً اقتحام المدينة ، ولا الذهاب إلى التلوث والضجيج والبنائات الاسمنتية ، والطرق «الاسفلتية» .

على المقهى الذي يواجه الميناء يجلس الرواد ، سواء قصيروالاقامة أو المقيمون فترة طويلة ، ويتعارف الرواد ويتحدثون ، ويسأل كل منهم الآخر : أين كنت مساء أمس ؟ لم نرك في المقهى ! . ويقول ثان : مررنا أمام فندقكم وأطلقنا صغيراً تحت نافذتكم ولم نلمح ضوءاً ، وعلاقات بسيطة تتناغم مع بساطة المكان وجماله الذي يغري الجوالين السريعين أمثالنا بالإقامة طويلاً ، مع كثير من الكتب وبعض الصحاب ، ولكن الاستمتاع بالجمال ترف آخر لا يستطيعه الكثيرون .

الجانب الآخر

ويتدفق على اليونان ملايين السياح سنوياً . وفي آخر احصائية متاحة كان عدد السياح الذين دخلوها في صيف ١٩٨٧ ثمانية ونصف مليون سائح ، أنفقوا مليونين و٨٣٣ ألف دولار امريكي ، ويفتن السائحون بجزر اليونان ، ويهرعون إليها ، وكثير من البطاقات المصورة واللوحات والتقويمات الملونة تحمل بصور مختلفة لهذه الجزر ، حتى السينما العالمية صورت أكثر من فيلم فيها ، ولم تذهب إلى الجزر التي تقدمها السينما واللوحات والبطاقات المصورة والأفلام التسجيلية في التلفاز . ذهبن نحاول أن نرى اليونانيين أنفسهم ، نقرب من ضفة النهر الأخرى ، حاولنا أن نرى فقط ، وأن نقرب ، وأن نقدم صورة علمة للجانب الآخر من النهر ! □



● المقاهي فن اليونانيين العظيم ، ففي كل زاوية وتقاطع وشارع مقاه ورواد

ثياب ، وكيفية شاموا ، والبيوت والفنادق باللغة النظافة . وفي تجوالنا بالشوارع تتسلل نظراتنا خلف الأبواب المفتوحة حيث تبدو الخضرة والزهور والمفروشات الناصعة البيضاء ، واحساس بالجو البقي الهاديء النظيف يغريك بأن تدخل وتجلس باسترخاء وتمدد ساقيك .

في شارع آخر وعند ركنه يتصبب مخبز القرية ، تفوح روائح الفطائر بشدة ، فطائر محشوة بالجبن أو اللحم أو المرى أو شرائح الفاكهة المسكرة ، وخلف المخبز سوق الخضراوات ، أربعة محلات تعرض مالديها ، وحمال يقل البضاعة على حماره من رصيف الميناء إلى المحلات ، بعض الفنادق الصغيرة ومعظم البيوت تزرع العنب في كرمات منزلية صغيرة تظلل المساحة أمام البيت ، وتحتها تتوزع المقاعد

بجوار كوب من الماء



قصة قصيرة بقلم : عبده جبير *

كانت تتعهد دوما وأبدا بأن تخصصه ببعض المطايا : مسبحة يسر مطعمة بالقفصة ، عصاة ملوية اليد من خشب الأبنوس مطعمة بسن الفيل ، والأدهى من ذلك تخصصه : بطربوش مستعمل ، تأكلت مع الزمن حوافه بفعل « العتة » ، فبان بظنائه ، وكانت تؤكد على أن هذه أدوات الإمارة لأبيها ، أخير أمير من الأسرة المالكة ، وكانت تعني على الأخص ، نقل الأثر للحفيد الذي تأكدت من صفاء دمه بسبب شعره الأشقر ، وعينه الزرقاوين ، ولم يكن « رمزي » يبالي ، بل إنه ولبهاحية مختلطة بتقلب في المزاج كان يضايقه من نفسه (لأنه ترسخ في ذهنه من كلام المحيطين به أنه قد ورثه عنها) ، كان يقول ، من ورائها في الغالب : « سيدة مجنونة ، تعيش في الأوهام » ، لكن هذه ، على أي حال ، لحظة مختلفة ، لحظة النهاية الحتمية التي يشك فيها البعض ، ويتوقها البعض من الأشخاص التسعة الذين يحتشدون الآن في الغرفة ، لاسبب أي شيء ، إلا الوفاء لهذه اللحظة بقلب خالص ، وخوفا من مشاحنات العتاب التي يمكن أن تقع بعد كل تقصير في مثل هذه الأحوال ، وليس من أجل المال أو الجاه الذي كان يعرف الجميع أبدا ، من

كان كل شيء قد بدا على الأرجح كأنه لحظة الختام للجميع ، وهم يقفون أو يجلسون حول سريرها النحاسي العالي الذي كانت دائما (على الرغم من مشقة صعوده والمهبط منه) مصرة على وجودها فوقه ، وبالتأكيد هي الآن أشد إصرارا وهي تحس أنها راحلة .

« رمزي » هو الابن الأصغر لابنها الأصغر ، يجلس الآن بجوارها فوق السرير ، من جهة رأسها ، يحاول بتحريك نصفه الأعلى ألا يحجب وجهها عن أفراد الأسرة المنبذين (بالنسبة لها) ، والذين تكتظ بهم الغرفة الآن ، وهو يبدو قلقا من حركة قدميه المتدليتين ، دون أن يقصد .

كان « رمزي » هو آخر اسم نطقت به السيدة « نهاز » ، آخر أحفاد الأسرة الملكية ، (وآخر شخصية من بين الذين أصروا على أن يدفنوا في وطنهم بعد الغربة الطويلة في أوروبا) ، وكانت تقول له ، وهي تدله بسبب شعره الأصفر ، وعينه الزرقاوين : أنت الوحيد الأكيد ، أما الآخرون فهم « ركش » .

كانت تكرر ذلك ، وتنطق الكلمة الأخيرة بصوت مرتفع ، تؤكد فيه على كل حرف ، كما

كل منهم إلى مصالحةه ، لكنها لما تمت بعد ، وإن كانت تعاني آلاما وخيالات من الضعف الذي حل بها منذ تمددت على الفراش ، ودخلت في الغيبوبة منذ الصباح الباكر ، ومع ذلك يعاني كل منهم بشكل مختلف ، ربما لأن خاطرا يمر به : عن أنه ربما يجد نفسه في هذا الموقف الحتمي ، وربما لأنه يكرهها من أعماق قلبه ، وربما لأنه يود الخلاص من هذا الموقف ، خاصة أن آخرين ، ممن هم على علاقة عمل أو مودة ، كانوا يفدون وهم يمشون على أطراف أصابعهم في الصالة المحاورة ، ولاشيء حي

بين التسعة أشخاص (ماعدا « رمزي » كما يتصورون جميعا) أنه لم يبق منه شيء ، بالإضافة إلى ماعقدته السيدة « نهاز » من آمال على « رمزي » ، ولم يكن هذا شيئا جديدا ، فمنذ أول يوم ولد فيه ، كانت تربيته هذه المسألة قد عقدت بشكل نهائي .

والآن ، في هذا الموقف الصعب ، بدأ الزمن يلعب لعبته الخفيفة ، المنظوية على قسوة لا يمكن أن يتوقعها أحد ، والجميع (ربما بمن فيهم السيدة « نهاز » نفسها) يتمنون أن ينقضي الوقت ، وتنتهي مراسم الدفن ، حتى يذهب



أنها سهقت بتشكّل جعل « رمري » (الذي كان يحاول أن يهاكك دون أن يمحّر) نفسه ببعض ، ويمد يده ، بتشكّل تلقائي ، لوالده الذي يقف طوال الوقت شاعرا بالصفة التي كانت قد أحاطت بها من حراء تقرعها الدائم له

- أنت ذو شعر أسود ، أنت لست من السلالة -

مد يده لرمري بكوب الماء ، لأن « رمري » هو الوحيد الذي كان من الممكن أن تقبل من يديه تشكّل ، بعد أن أكدت مرارا أن الآخرين جميعهم يريدون الخلاص منها بالنسم - الذي حلوه من الافاعي - لانتني - آخر عمره

- « لانتحف يا رمري من الطواويس ، إيهنا نداءك وأصعب من ريسها الحمل صورا تعلمها حلف مجدعك »

وعانت السيدة (بهار) حصى السوت ركسها ، ولم تتحرّك إلا لتأنيث حوها ، ولكن « رمري » مد يده لرييح حسدها المحيل

اعدلت السيدة (بهار) ، وانتفض حسدها بقوة حديده

- « اسم يا من هياك ، أنت ناسليم ، من أحل ولذلك رمري لك ما بعد الخدائن الشرفية انت لك هياك ولروحك من أحل بطها التي حملت رمري ، نصف الصندوق لها مه « الطططف » ، وعطا الصدر ، أما الخواتم والمعمود وكل اللالي فهو للحسنة عروس الحبيب « رمري » ، متى تروح عروسك الشقراء ست الامر ؟ « الثلاثة الذين مارالوا في الحجرة الان ، السيد « سليم » والسد « رمري » والسيدة « صافينار » والده ، واس العم الأتنيث اللحية « سليهان » ، وقد مدأوا يتألمون إلى حد أنهم أظهروا كرههم لها وبعضهم يحدق بعض ، إلا أن السيدة « بهار » وفرت عليهم مريدا من هذا الوقت القاسي قالت « رمري » ومالت برفتها للمرة الأخيرة

وصح « رمري » كوب الماء على الطاولة الصغيرة وبرل من السرير العالي □

فيهم سوى وجوههم الخالية من التعبير ، كأنهم رسما على لوحه حمّد الصان فيها الملامح عند حد الربع

ولكن السيدة « بهار » ، وكالمرات الثلاث السابعة (التي كان كل من حصرها مهم يذكرها حيدا) لم تلاحظهم ، بل كررت المشهد الأحمر بسكل فج ، استصغت ، وعدلت رقبها ، ومدت يدها الممي إلى الوسادة ، ورفعها حلف طهرها ، وحدقت بهم عما اضطروهم إلى الانسحاب ، واحدا وراء الآخر ، دون أن يلحظ هي ذلك ، لأن كل شيء - حوها الان في العرفة الخفية الضو ، الدلّولات التي دا الخليلاب لم ركسه من عد الأركان ، الدلّولات دا المرأة « اللحيكي » الخارجة ، « الشوفيرة » التي لم سى على أرفعها سوى رجاحات العطر المغارة ، والمسحب الحالى الذي لس فيه سوى روت قدمه يمسح حائل اللون) ، كل شيء - كان يساوى مع احسادهم ، بل مع الاسباح

لكن السيدة « بهار » سبب بكم « رمري » التي كانت تعرفه ، ليس لأن موقعه محوارها على سريرها العالي فقط ، بل من رائحة التي الصها مد اللحظة التي ولد فيها أيضا قالت السيدة « بهار » انت هيا نا « رمري » ؟ لم لاتذهب وسمسى في الحديفة ، هياك عبد الاكمة السرفة ؟

ولفت السيدة (بهار) حذقتي عيها ، واحدت اناسها برفع ، وكان سيثا يدفع رثيها بعدات إلى الخارج - « أنت لك هذه الحديفة ، ولايبك ما بعدها من أراض سعد عها كثيرا كبيرا ، أنت لك إدن اعلى الاراضي ، حل الارض ، لك الارض الحصه المورفة كلها ، هياك حيث استحار الرمان الاحمر بمد وتمتد حتى امتداد الحجرة الصافية بها فيها من البط ، البط الأرقق والبط الأحمر ، البط لك ، اميال طويلة ، ممتي هياك مطلق الطواويس عليك »

حاولت السيدة « بهار » أن تصحك ، إلا

هل تختفي الغابة الاستوائية؟

بقلم : رجب سعد السيد

الغابات في خطر : هذه صرخة بدأت تطلقها المنظمات الدولية ،
وتعني أن أحد ملامح الجمال على وجه الأرض مهدد بالزوال ، لكن هذا
ليس كل شيء ، فهناك الكثير مما ستخسرهُ البشرية إذا ما اختفت الغابات .

أعدت «اليونسكو» اتفاقية للحفاظ على (التراث المائي) ، اشتملت على تعريف للتراث الطبيعي بأنه :

- المعالم الطبيعية المولفة من التكوينات الفيزيائية أو البيولوجية ، أو من مجموعات هذه التكوينات التي لها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر الجباليات أو العلوم .

- التكوينات «الجيولوجية» أو «الفيزيوجرافية» ، والمناطق المحددة بدقة التي تمثل موطن الأجناس الحيوانية أو النباتية المهددة ، ولها قيمة عالمية استثنائية من وجهة نظر العلم أو المحافظة على الثروات .

واشترط في هذا التعريف أن تكون مساحة

المواقع كبيرة ، مثل حزام الغابات الاستوائية المطيرة .

وهكذا ، فإننا قد نلتصق إلى حدودنا الجغرافية على الخريطة ، فلا نجدنا مشاركين في ملكية أجزاء من حزام الغابات الاستوائية ، ولكننا ، طبقاً لاتفاقية اليونسكو هذه ، لا نستطيع أن نبتعد عن المشاركة في تحمل مسؤولية صيانة هذا النظام البيئي المهدد بخطر التلاشي . لقد أصبح الاهتمام بقضايا البيئة ومشاكلها يتخطى الحدود المحلية ، ويتطلب تضامناً الجهود الدولية ، لأن التأثيرات والأضرار الناجمة عن تلك المشاكل لا تقتصر على مواقع بعينها من خريطة العالم ، بل تنعكس - وربما بمعدلات أكبر- على الجيران البعيدين . وأحياناً ، يكون للظاهرة البيئية آثارها التي تغطي أرجاء المعمورة .

الغابات تتبدد

يقول العالم الأمريكي «بول ريتشاردز» في كتابه «الغابة الاستوائية المطيرة» الصادر في عام ١٩٧٣ : (لن يجل عام ألفين إلا ويكون معظم الغابات الاستوائية المطيرة قد هددت) .

لقد كانت الغابات الاستوائية تغطي ١٥ مليون كيلومتر مربع ، أو جزءاً من عشرة أجزاء من مساحة سطح الكرة الأرضية ، في شكل حزام يمثل نصف مجموع مساحات الغابات الموجودة على اليابسة . فما هو الحال الآن ؟ . تشير صور الأقمار الصناعية إلى أن المساحة قد اختزلت بمقدار الثلث ، وإلى أن خسارة بمعدل ٢٪ تحقيق بهذه المساحة سنوياً . وأظهرت هذه الصور أن ٨٠ ألف كيلومتر مربع من الغابات العذراء قد تم إحراقها ، في سنة ١٩٨٧ ، في البرازيل وحدها ، بغرض تهيئة الأرض ، لاستخدامها في الزراعة والبناء .

وهذا مادفع علماء البيئة إلى رسم صورة للوضع في نهاية هذا القرن ، وقد خسر العالم



● تتميز الغابة الاستوائية بالتنوع

التشديد في أشجارها ونباتها .

amazon forest known for its

● هل تخفي الغابة الاستوائية ؟

الغابات الاستوائية تزخر بما يقرب من ثلاثمائة نوع من الأشجار . وهذا التنوع ينظم كل أرجاء الغابة الاستوائية في ترتيب طبيعي عجيب ، فمن النادر أن تجد في هذه الغابة الفسيحة شجرتين متجاورتين من نوع واحد . وقد أحصى أحد العلماء ١١٧ نوعا مختلفا من الأشجار في منطقة لا تزيد مساحتها عن $1\frac{1}{4}$ كيلومتر مربع .

والنبات العالق عبارة عن نبات ينمو على نبات آخر ، ويفترش جذوع الأشجار وفروعها . والمعروف من النباتات العالقة في العالم ينتمي إلى ٢٨ ألف نوع ، تحتوي غابات أواست أمريكا وجنوبها منها على ١٥ ألف نوع ، أهمها :

غاباته الاستوائية ، إلا بقعتين كبيرتين ، واحدة غرب الأمازون ، والثانية في وسط زائير . وإذا استمر الحال على ما هو عليه ، فإن هاتين البقعتين سوف يلحق بهما الدمار مع منتصف القرن القادم .

إن كلمة غابة تستدعي على الفور كلمة شجرة . والأشجار هي الشكل الرئيسي للخضرة في الغابات . ولكن ، ينبغي ألا نتجاهل المكونات الأخرى للبيئة التي تشتمل أيضا على : الشجيرات - الأعشاب - الطحالب - الفطريات - الحشرات - الزواحف - الطيور - الحيوانات الثديية - التربة - الماء - الهواء . وهذه كلها مكونات أساسية لبيئة الغابات ، وكل منها مرتبط بغيره ويعتمد عليه .



● التقطيع العشوائي لأشجار الغابات ، أحد الأسباب التي تهددها

وفي الغابة المطيرة ، تنمو الأشجار والنباتات في أربعة مستويات : المستوى الأدنى ، وهو عبارة عن طنفسة من النباتات القصيرة ، تليها مجموعات من النخيل ، ثم أنواع من أشجار الظل ، مثل الصبار والسراخس ، وتتراوح أطوالها بين ١٨ و ٣٨ مترا ، وهي تكون فيها

السقف الكثيف المتشابك للغابة المطيرة . وأخيرا ، تأتي طبقة الأشجار الضخمة التي يصل طولها إلى ٦٠ مترا ، وتمتد مثل مظلة فوق غيرها من النباتات .

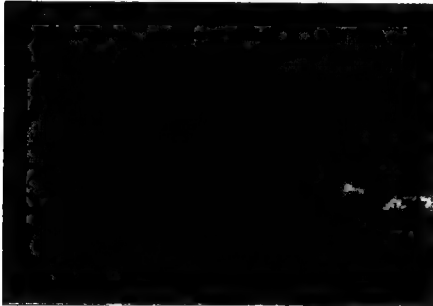
ولا يعتمد غنى الحياة النباتية في الغابات على الكم فقط ، بل على التنوع أيضا ، ففي الوقت الذي لا يزيد فيه عدد أصناف الأشجار في الغابات الشمالية على بضع عشرات ، نجد

الأناناسيات - الصبار الشجري - الأشنات - الحزازيات - السراخس .

عالم الحيوان

كذلك ، فإن عالم الحيوان في الغابة الاستوائية لا يقل تنوعا عن عالم النبات . ويعيش في هذه الغابة نصف ما يعيش في العالم من أنواع الحيوانات ، ابتداء من الحشرات ،

الاستوائية . وما يزال المجال مفتوحا أمام الصيادلة ، إذ أن معظم أنواع النباتات في هذه الأدهال لم تختبر خواصه الدوائية حتى الآن . ويشكك الاقتصاديون في قدرة أي محاولة لحساب الخسائر المترتبة على تدمير موارد الثروات غير المحدودة الموجودة في الغابات الاستوائية المطيرة . فهذه الغابات هي الآن عياد اقتصاديات كثير من الدول الواقعة على خط الاستواء . وطبقا لبيانات البنك الدولي ، فإن ٢٠٠ مليون إنسان في العالم يعتمدون في حياتهم اليومية على الغابات الاستوائية . ويمثل سكان الغابة الأصليون ربع هذا العدد ، أما الباقون ، فقد تم دفعهم إلى الغابات ، تنفيذًا لسياسات إقليمية .



● أنواع من الأبقار تعيش في المناطق الاستوائية

وثمة دول أخرى ، بعيدة عن خط الاستواء ، ولكن حياة الملايين من البشر فيها تعتمد على الغابات ، فهي المصدر الأساسي لحشب الوقود في معظم بلدان العالم الثالث ، وتبلغ قيمة إجمالي الإنتاج السنوي من أخشاب الغابات الاستوائية ٨ بلايين دولار . وتشير الإحصائيات إلى أن أكثر من بليون

وأهمها الخنافس والتحلل ، وانتهاء بغوريلا الجبال التي تعيش في وسط أفريقيا ، مروراً بعشرات الأنواع من الطيور والسناسيس والسناجب والقناغد والنمور والخنازير وأكلات النمل والتيسيح . أما الفراشات ، فهي أشد تنوعاً في منطقة الأمازون . ففي جولة مدتها ساعة واحدة في الغابة البرازيلية ، جمع أحد العلماء ٧٠٠ فراشة من أنواع مختلفة ، بينما يبلغ عدد أنواع الفراشات في أوروبا كلها ٣٢١ نوعاً .

هذه بعض ملامح هذا الجزء من التراث الطبيعي العالمي المهدد بالزوال . ويقدر علماء البيولوجيا أن حوالي عشرة آلاف نوع من الكائنات الحية يفقد كل عام مع اختفاء أجزاء من الغابة الاستوائية . ويقولون : إن أكثر

الأنواع عرضة لخطر الانقراض هي أنواع من الحشرات ، وبخاصة الخنافس . وهم يحذرون بعض الصعوبة في إقناع الآخرين بأن انقراض مثل هذه الأنواع (عديدة النفع) يمثل كارثة بيئية لها انعكاساتها الاقتصادية السلبية ، فما يزال وهي العامة - بل حتى بين فئات المتعلمين - بما

يسمى الأثران البيئي ، ناقصاً . وعلى أي حال ، وينطلق المنفعة الذي يعرفه الجميع ، فإن تدمير الغابة لإمداد لمئات الأنواع من الكائنات الحية ، وبخاصة النباتية ، العظيمة النفع للإنسان . وعلى سبيل المثال ، فإن ربع عدد العقاقير المستخدمة في الولايات المتحدة الأمريكية الآن ، مشتق من نباتات الغابات

● هل تخفي الغابة الاستوائية ؟

أن الحرائق المتعمدة وغير المتعمدة التي تلتهم مساحات ضخمة من الغابة الاستوائية هي المسؤولة ، ضمن عوامل أخرى ، عن التغيرات المناخية وبعض الظواهر الطبيعية المؤسفة ، في كثير من بقاع الأرض . فالغازات الناتجة عن هذه الحرائق هي واحد من الأسباب التي أدت إلى النقص في سمك طبقة الأوزون في منطقة القطب الجنوبي . ويسبب هذه الحرائق ، أيضا ، وبالأشتراك مع عمليات احتراق الوقود الإحفوري في أنشطة الإنسان المختلفة ، تزايد نسبة غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو . والنتيجة ، هي تزايد متواصل في درجة حرارة مناخ الأرض (ظاهرة بيت النباتات الزجاجي) . فالمعروف أن غاز ثاني أكسيد الكربون يسمح لأشعة الشمس أن تصل إلى الأرض ، ولكنه يحجز الأشعة الحرارية المرتدة من الأرض . بمنحها من مغادرة الغلاف الجوي ، فتحتفظ الأرض بها . ومع تزايد نسبة هذا الغاز في الجو ، تصبح الأرض (صوبة زجاجية) . أو مصيدة كبيرة للحرارة . وفي الوقت نفسه ، فإن عملية احتراق أو إحراق الغابات يحرق الأرض من الأشجار التي هي العامل الأساسي في تخليص المناخ الأرضي من غاز ثاني أكسيد الكربون ، إذ تقوم بتحويله إلى أكسجين وأخشاب .

أرض بلا رجال



● أشجار من غابات الأمازون
78.000 4000 3000 1000 500 200 100 50 20 10 5 2 1

ما الذي يدفع الإنسان إلى إحراق الغابات ؟
ثمة أسباب واضحة :

أهم هذه الأسباب هو : توفير الأرض من أجل الزراعة .

وفي البرازيل ، تشجع الحكومة المزارعين على الهجرة إلى منطقة الأمازون لتعميرها ، وتمدهم بالإعانات ، تحت شعار أن الأمازون أرض بلا رجال تقدم لرجال بلا أرض . وثمة برنامج حكومي في اندونيسيا لتهجير ملايين

شخص - $\frac{1}{2}$ سكان الأرض - يعيشون في قلق ومعاناة نتيجة الفيضانات ونقص خشب الوقود ، ونضوب الماء ، وتدمير التربة الزراعية ، ونقص الإنتاج الزراعي . وهذه كلها نتائج أو ظواهر يتسبب فيها بشكل مباشر أو غير مباشر فقدان المستمر لغطاء الأرض من الغابات الاستوائية المطيرة . ويرى علماء المسح

المعدل، يتوقع الخبراء أن تختفي الغابات هناك في نهاية هذا القرن .

ومن الأسباب المهمة أيضاً تجارة الأخشاب ، وهذه التجارة مسئولة عن ربع الخسائر السنوية في أشجار الغابة الاستوائية ، وهي تؤدي إلى تدمير ٥٠ ألف كيلومتر مربع على الأقل كل سنة . ويعد غرب إفريقيا وجنوب شرق آسيا مصدرين رئيسيين للأخشاب الاستوائية في العالم ، وتتم فيها عمليات تقطيع الأشجار بدون تنظيم أو إدارة جيدة لهذه الموارد الطبيعية ، لدرجة أن هذه التجارة تنحدر الآن . وقد سجلت ساحل العاج ونيجيريا أعلى معدل لتقطيع الأشجار في العالم ، وهما تواجهان اضمحلالاً شديداً في مساحات الغابات داخل حدودهما . أما في جامبيا ، والسفال ، وتوجو ، وبين ، فتشير الدلائل إلى اختفاء الغابات من أراضيها فعلاً . ويقول تقرير البنك الدولي : إن عشر دول فقط هي التي تقوم حتى الآن بتصدير منتجات الغابات الاستوائية ، ويشكك في قدرتها على الاستمرار في هذه التجارة لأكثر من عقد واحد فقط ، نظراً للتنحدر الشديد في أحوال الغابات .

ويرى العاملون في مجال صيانة البيئة أن مصير الغابات الاستوائية المطيرة يمثل أحد التحديات أمام المدينة الحديثة . وتحاول بعض الحكومات إصدار التشريعات لحماية ممتلكاتها من الغابات الاستوائية . وتقوم منظمات دولية وأهلية لحماية البيئة ، مهمتها إثارة الرأي العام العالمي لوقف عمليات اغتيال أشجار الغابات . وليس لنا إلا أن نأمل في نجاح هذه الجهود ، لتبطل تنبؤات المشائمين ، ونحتفظ الأرض - على الأقل - بما تبقى من غطائها الاستوائي . □

السكان من المناطق المزدهرة إلى الجزر الخارجية القليلة الكثافة السكانية ، لاستيطانها بعد تدميرها من غطائها الكثيف .

وقد يتبادر إلى الذهن أن منطقة الغابات الاستوائية الرطبة تخفي تحت غطائها النباتي الكثيف تربة خصبة . إن ذلك ، للأسف ، غير صحيح . ففي الأراضي الزراعية نجد أن التربة هي المخزن الأساسي للخصوبة . أما في الغابة الاستوائية ، فإن معظم الأملاح المغذية للنباتات لا توجد في التربة ، فأوراق الأشجار التي تموت وتساقط لا تصل أبداً إلى الأرض ، إذ تستقبلها الشبكة النباتية الكثيفة . وتؤدي الرطوبة المرتفعة ودرجة الحرارة العالية إلى تحللها بسرعة . وتقوم النباتات الملقة بامتصاص الأملاح الناتجة عن تحلل الأوراق بواسطة جذورها الهوائية .

وهكذا ، فإن تدمير الأرض من غطائها الشجري يعني إزالة غزن الأملاح الغذائية ، فتكون النتيجة خنقاً بالنسبة للفلاحين الذين جاؤوا وراء حلم امتلاك الأرض وزراعتها ، فالتربة فقيرة جداً ، لدرجة لا يمكن معها أن تتحمل غوا المحصولات لأكثر من موسم واحد . ثم تترك المنطقة مكشوفة للشمس الاستوائية والأمطار الغزيرة ، لتتحول إلى أرض قاحلة قبيحة المنظر . ويحتاج الأمر إلى ٢٥ سنة لزروع غطاء جديد من الأشجار ، قد لا يماثل غطاءها الأصلي .

أما في أمريكا الوسطى ، فإن الهدف من إزالة الغابات توفير مساحات من الأراضي للزراعة . وفي الخمسين سنة الماضية ، تضاعفت مساحات المراعي في أمريكا الوسطى ثلاث مرات ، على حساب الغابات طبعاً . وبهذا

● سئل ابن المقفع : من أذكى ؟ فقال : أدبت نفسي ، إذا رأيت من غيري حسناً آتيته ، وإذا رأيت قبيحاً آتيته .

أحلى الكلام

وجهها الوجه



د. عبد الرحمن حميدة و نديم شمسين

■ المؤلفات الجغرافية عن الوطن العربي أقرب إلى نشرات وزارات السياحة.

■ لا تزال مياها الإقليمية الغنية بالثروة السمكية البحرية مرتقلاً للأساطيل الأجنبية.

■ لن تستطيع التقنية مما تعاطلت أن تحل العضلة الغذائية المستغلة حالياً في بعض الأقطار العربية إلا بفتح العيش الكافي.

■ مازلنا في مرحلة الأخذ، ولم ندخل بعد مرحلة العطاء.

للدكتور عبدالرحمن حميدة رئيس قسم الجغرافيا بجامعة دمشق سابقا
بضع عشرات من المؤلفات الجغرافية التي تبحث في تراث العرب الجغرافي
وفي جغرافية الأقطار العربية ، وله اهتمام خاص بجغرافية العالم الثالث
وجغرافية التخلف وجغرافية الجهل والجوع . وهو يتناول المباحث الأخيرة
من خلال حرصه على تنبيه الجميع إلى المستقبل الخطير المنتظر ، إذا لم
يعالجوا القضايا الحيوية بروح العقل والمعرفة والعلم ، ولا سيما فيما يتعلق
بزيادة السكان وتناقص الموارد الغذائية واستغلال المصادر المائية والهدر . .
وهو يأخذ على الجغرافيين العرب عدم مناقشة هذه الأمور المصرية
بحماسة ، وقد آلى على نفسه أن يطرق هذه المواضيع الخطيرة بأسلوب فيه
الدعابة إلى جانب النقد وقول الحقيقة . أدار الحوار معه نديم شمسين عضو
اتحاد الصحفيين العرب بدمشق وسكرتير تحرير المجلة الجغرافية السورية .

مكانة دار الحكمة

ولم يتأخر العلماء العرب في اقتباس ما لدى الأمم الأخرى التي سبقتهم في هذا الميدان ، كالإغريق والهنود ، فنقلوا كتبهم إلى العربية ، وحفظوا العديد منها من الضياع ، وكان لدار الحكمة في عهد المأمون الدور المرموق ، وكان هذا الخليفة المستنير يميز العطاء للعلماء ، فاستقطبت بغداد الكثيرين منهم ، وكان في عدادهم الجغرافيون ، كما اقتضت أهمية والسلطة اللتان حظيت بهما الخلافة ، والمكانة التي اكتسبتها على الصعيد العالمي المعروف حينذاك ، تبادل السفارات مع الدول التي تحطت بدّ الخلافة ، كرحلة ابن فضلان إلى بلاد الخزر وبلغار الفولغا . كما لعبت العواصم العربية التي ظهرت بعد انقراض عقد هذه الدولة العظمى : كالقاهرة وقرطبة وفاس وبخارى ، دورا عائلا لبغداد ، وإن كان على مقياس أصغر ، لأن حرية التنقل ضمن « دار الإسلام » ظلت على حالها تقريبا ، فتعددت كتب « المسالك والممالك » ، وظهرت كتب رحلات ، لعل أهمها كتاب « صورة الأرض »

★ ازدهرت الجغرافية في العصر العباسي ، فما دواعي هذا الازدهار ؟ وكيف كانت النشأة ؟

شهد علم الجغرافية في فجر الحضارة العربية ازدهارا أثار إعجاب المستشرقين وعلماء أوروبا ، وعلى الأخص في أوائل وأواسط العصر العباسي بعد أن أقام العرب امبراطورية مترامية الأطراف ، هذا في حين كان دور الخلافة العباسية يمثل في التثبيت والتوطيد لأركان هذه الدولة الفسيحة التي بلغت مساحتها زهاء ٢٠ مليون كم^٢ ، أو ما يقارب رقعة الاتحاد السوفيتي حاليا ، أو قارة أمريكا الشمالية برمتها . وكانت الدولة العربية تضم شعوبا شتى ، وقد اقتضت الضرورة الإدارية التعرف على مسالكها وممراتها ، وتقدير المسافات بين مدنها ، ومعرفة ثرواتها ومخارجها ، والتعريف بأقوامها ولغاتهم وطبائعهم ، فالفوا كتباً في هذا المجال ، كان وراءها ابن الفقيه ، وابن رسته ، وقدامة بن جعفر ، وكانت مؤلفاتهم هي المعتمد عليها لدى صاحب البريد ، أو ما يماثل في أيامنا وزير الداخلية ، مع كل ما يدخل في صلاحياته واختصاصاته .

الأخذ ، ولما تدخل بعد مرحلة العطاء ، مما يجعل قراءة الكتب الجغرافية العربية غير مشوقة بالموازنة مع المؤلفات الأجنبية الغنية بالمقارنات والأشكال والرسوم التوضيحية والخطوط البيانية والصور الملونة المعبرة . هذا فضلا عن أن أطروحات « الدكتوراة » التي نال بها عشرات الجغرافيين العرب المعاصرين درجاتهم الأكاديمية ، ما تزال دون ترجمة ، وكان تأليفها كان لمصلحة الدول الغربية والشرقية .

ويكفي أن نرجع إلى الكتب التي تحمل عنوان « الوطن العربي » ، أو « الأطلس العربية » ، كي نصطلم بجهل العديد من المؤلفين بأساء وأعلام ومدن من الوطن العربي ، فتظهر مدينة أسفي بالمغرب تحت اسم « صافي » ، والحمس في ليبيا باسم « حمص » ، أما سبتة فتصنع اسم « كويتا » ، وقسنطينة الجزائرية تحت اسم « القسنطينية » ، أو غير ذلك كثير ، مما يترق الثقة ، ويحق تداول الكتاب الجغرافي العربي بين الأقطار العربية ، ويشجع الاهتمام على الكتب الأجنبية التي تدرس أقطار الوطن العربي بشق اللغات من انكليزية وفرنسية وروسية وألمانية .

مسئولية لا بد من تحملها

★ إلى أي مرحلة وصلنا في طريقنا نحو مدرسة جغرافية عربية معاصرة ؟

قال الفيلسوف لابريدير : إن الحقائق التي لا نحب سباحتها هي التي نجني من معرفتها أكبر الفوائد ، وقال الفيلسوف غرسه : إن الدين لا يحاولون التخلص من أغلالهم هم أولها . رسالة الجغرافيين العرب الآن كبيرة جدا ، وهم يتحملون قسما كبيرا من المسؤولية في تقصيرهم بتقديم صورة أمينة عن أحوال وطنهم الكبير ، وعجزهم عن فرض أنفسهم علميا ، عن طريق دراساتهم ، لتقديمها لأولي الأمر من

لابن حوقل الذي تجول في كل الأقطار الإسلامية ، والصحرَاء الكبرى ، حتى أواسط نهر الفولغا ، ورحلة ابن جبير ، وبعده ابن بطوطة .

كما اهتم بعض الجغرافيين بدراسة الثروات المعدنية مثل أبي دلف الخزرجي ، أو بالجغرافية الفلكية أو الرياضية كالبيروني .

الحرب - والأصالة الجغرافية

★ متى بدأ المد العلمي الجغرافي بالانحسار والتراجع ؟

أصبحت الجغرافية العربية بالانحطاط بدءا من أواسط القرن الثاني عشر الميلادي ، أي في العصر الذي سقطت فيه بغداد أمام جحافل البرابرة التتريكية هولاكو من الشرق ، وسقوط قرطبة من الغرب . في الوقت الذي كانت فيه بلاد الشام ومصر وتونس تزحف تحت هجمات الفرنجة الصليبيين ، فلم تعد تقدم مؤلفات ذات أصالة ، ويعود ذلك لتقطع أوصال الخلافة سياسيا ، وهيمنة الأساطيل البرتغالية والإسبانية والجنوية على البحر ، حيث صارت تمرق العلاقات بين مغرب الامبراطورية العربية الإسلامية ومشرقها ، وأكبر برهان على ذلك وقوع السفير المغربي المتجول ، والجغرافي الرحالة « الحسن الوزان » ، أسيرا بأيدي القراصنة الطليان تجاه جزيرة جربة التونسية ، والذي اشتهر في أوروبا باسم « يوحنا ليون الأسد الفرناطي » ، والذي تمت ترجمة كتابه « وصف أفريقيا » من الايطالية إلى الفرنسية والانكليزية والالمانية والإسبانية ، وأخيرا للعربية ، حيث ظهرت ترجمت له في ١٩٧٩ و ١٩٨٠ .

ولا وجود حاليا لجغرافية عربية أصيلة ، على الرغم من وجود أكثر من ثلاثين جامعة تدرس فيها هذه المادة ، لأنها تستقي من ترجمت الكتب الأجنبية التي قام بها جغرافيون أجانب ، أو تنسج على متوالها . فلا زلنا في مرحلة

قراطية ، والتي تعمل الحكومات المدينة جامدة على جدولتها ، أو تعمل على تخفيف دعمها للمواد الغذائية ، بناء على تدخل البنك الدولي ، مما يؤدي إلى التضخم وتعمل الجهاير ، وتلدي مستوى المعيشة عاما بعد عام ، نتيجة ضياع جميع جهود التقدم الاقتصادي عبنا وسدى .

أما مشكلة ضبط النسل ، أو على الأصح تحديد ، فهي آخر ما نفكر به ، فنحن نتكاثر بنسبة تزيد على ٣٪ سنويا ، أي يتضاعف عددنا مرة كل ٢٠ سنة تقريبا ، بينما تحتاج الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إلى ٧٥ سنة لتحقيق ما ننجزه في عقدين من الزمن ، أما ألمانيا الغربية والنمسا فنموهما السكاني متوقف ، لأن كل أسرة تحسب ألف حساب لكل مولود جديد ، أي يجب أن يبدأ برنامج التخطيط من سرير الزوجية .

وتتعرض الأقطار العربية لهجرة مريعة في أدمتها التي هي خيرة تطورها ، فتقدم للغرب ٨٪ من العقول المهاجرة ، علما بأن عدد العرب لا يمثل سوى ٤٪ من سكان الأرض . ويقدر اليابانيون أن تكلفة تكوين طبيب مختص تبلغ ١٧٥٠٠٠ ألف دولار . كما تهاجر رؤوس الأموال التي لا تجد مجالا للتوظيف والاستثمار في أوطان أصحابها لخموض الأنظمة الاقتصادية القائمة . والأمل في استرجاع رؤوس الأموال هذه يعادل في ضالته الأمل في استرداد أدمتنا المهاجرة .

★ تحدثم عن التفجر السكاني ، والعقول المهاجرة ، وخروج الأموال العربية ، والديون ، والترف والكماليات . . نحن نعتقد أن المشكلة الغذائية في مقدمة المشاكل ، تلبيها المشكلة المائية .

ما هي مشكلتنا - في رأيك - أمن غذائي أم أمن مائي ؟

المسؤولين ، كي يستيروا بها ، وترجمة ما كتبه الجغرافيون الأجانب عن بلادنا من مؤلفات رصينة ، بحيث تكون الجغرافيا في خدمة المجتمع ، وفاعلة نفعية (براغياتية) قبل أن تكون مادة «أكاديمية» صرفة ، تبحث على السأم ، وتبدو مليئة بالطلاسم والغموض .

الجغرافيون والتنمية

★ مشاكل الوطن العربي جغرافية في جوهرها ، كيف تستطيع الجغرافيا تحدي هذا الواقع الحالي والانطلاق نحو تنمية عربية شاملة ؟

- على إثر هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في حرب السبعين ، قال بسمارك بطل الوحدة الألمانية : يجيد الفرنسيون صنع الخمر وتذوقها ، ولكنهم جهلون الجغرافيا . وقال مسؤول أمريكي كبير بعد الحرب العالمية الثانية : من المتعذر تقدير غرامة الجهل بالجغرافيا في السياسة .

وإذا تخلصنا من الحساسية التي نعاني منها عند الحديث عن مشكلتنا وتعرضنا لمشكلات الأمة العربية ، وجدناها جغرافية ، أو بعبارة أخرى نابعة من ظواهر جغرافية التخلف التي لن ندرکها إلا عند استشفافها من زاوية جغرافية سحنة .

فالملومات الجغرافية التي تتعرض لجغرافية الوطن العربي هي أقرب لنشرات وزارة السياحة التي لا تذكر سوى مفاتن كل قطر ، وتسلمط الاضواء الباهرة على بعض الإنجازات ، وتغفل المشكلات «والخفاقات الجديدة» التي لا يمكن رؤيتها إلا بعيون جديدة ، التي تجاهه الحكومات العربية والشعب العربي لأول مرة في تاريخهم ، وعلى رأس المشكلات العربية انعدام التوازي بين التفجر السكاني وبين التنمية الاقتصادية . هذا فضلا عن الديون التي تبلغ ٨٠٠ دولار لكل مواطن عربي أو أكثر من الدخل السنوي الفردي المتوسط على مستوى الأمة العربية

يحدثه الإنسان من جراء قطع الأشجار واقتلاع الأعشاب والرحى الجائر، كلها عوامل إضافية، ليست في مصلحة إنتاج المحاصيل الغذائية اللازمة.

التمنية والتكاثر السكاني

★ ولماذا عن المشكلة السكانية وعواقبها ؟

- المشكلة السكانية حديثة جداً، وهي حقيقة جديدة تتطلب النظر إليها بميرون جديدة، إذ تعود للربيع الثاني من هذا القرن، على إثر انتشار الفلحاحات ضد الجندري والسل، وظهور المبيدات الحشرية، لاسبيا (د.د.ت)، خلال الحرب العالمية الثانية، والمضادات الحيوية كالبنسلين ومركبات السلفا، وانتشار استعمال المياه الجارية النقية بالمدن. أو بعبارة أدق هبوط نسبة الوفيات، وبقاء نسبة التوالد على حالها، وعدم مواكبة التمنية الاقتصادية لذلك التكاثر الوثاب العداء. وحتى اليابان نفسها لم تستطع تحقيق عملية انطلاقها بعد الحرب العالمية الثانية إلا بعد كبح جماح التكاثر السكاني فيها، وتخفيضه إلى ١٪ بعد أن كان ٣٪.

وقد قال بيير جورج منذ ثلاثين عاما : « لا تسير الأقطار المتخلفة نحو الفقر الذي بلغته منذ زمن بعيد، إنما تسير الآن قدما نحو التسول ». وما علينا إلا الاختيار بين أن نحيا أجيالنا القادمة كالرجال أو كالسوائم التي تحمل الأثقال، لأن سوء التغذية لدى الأطفال يحدد جنوة ذكائهم، بحيث يستحيل تعليمهم وتنمية قدراتهم، وبذلك يكثر الاجرام والجنوح، ويغشى البغاء والسرقات، أو يضطرب المجتمع كله، إذ تسير الجماهير عندئذ خلف كل من يلوح لها بالرغيف، ولو كان الأعداء الدجال !

- الواقع من المستحيل فصل المشكلة الغذائية عن المشكلة المائية في وطننا العربي الذي تحتل الصحاري تسعة أعشار مساحته، ولم تطرح حتى الآن شعار « الأمن المائي ».

لن تستطيع التقنية مهما تعاضمت أن تحل المعضلة الغذائية المستفحلة حاليا في الأقطار العربية إلا بكبح « العبء السكاني » الذي يقصر معظم الأقطار العربية على إنفاق أموالها لاستيراد الغذاء والدواء، على حساب تشييد البنية التحتية.

فهناك تنافس رهيب في معظم أنحاء الوطن العربي بين المخصصات المائية للري، وبين تأمين المياه للمدن التي تتزايد بصورة مذهلة كبقعة زيت، وأحيانا على حساب أبعاد الأراضي الزراعية، وهكذا تنقلص غوطة دمشق أمام زحف المائي، مثلما تنكمش رقعة سهل المنتجة الجزائري أمام الأحياء السكنية، علما بأن جمهورية تاوان تمنع البناء فوق الأرض الصالحة للزراعة.

والمشكلة التي تبعث على القلق هي أن أربعة أخماس المياه الجارية، أو أنهار الوطن العربي، إنما هي أنهار أجنبية المصدر، عربية المعبر، ولتصور ما سيحدث لو أقامت أثيوبيا عددا من السدود على النيل الأزرق لتوليد الفحم الأبيض، كما فعلت الولايات المتحدة على نهر التينسي، أو كما تفعل تركيا على نهر الفرات. أما الاعتماد على المياه الجوفية المخزونة التي تعود للعصر المطير، أي لعشرات الآلاف من السنين، فهي غير متجددة، وتشبه الثروة النفطية وقابلة للنضوب.

وفوق ذلك فإن التلوث الكبير الذي يصيب المياه - على قاتنها - من جراء المخلفات الصناعية، والمجاري العامة، ومخلفات النفط، يجعل قسما كبيرا من المياه غير صالحة للاستعمال والري، والتلوث الذي يصيب التربة ويغريها ويجعلها أقل إنتاجية، والتصحر الذي

ثروات الوطن العربي

★ من المؤكد أن الوطن العربي يملك ثروات وافرة من النفط والطاقة الشمسية والفوسفات، ومن الثروات النباتية النخيل والصمغ والحمضيات. فلأي مدى تساهم هذه الثروات في تغيير الوضع الراهن؟

- صحيح أن الوطن العربي يملك نصف احتياطي العالم من النفط، ونصف احتياطي العالم من الفوسفات، غير أن الاعتماد على اقتصاد القسطف، أو الاقتصاد المنجمي، القائم على تصدير المواد الأولية الخام دون تصنيعها، يجعل اقتصادنا خاضعا لقوانين العرض والطلب، ولا يصمد أمام التحديات التي تواجه الأمة العربية، كالانفجار السكاني الوهاب، إذ يزيد سكان الوطن العربي سنويا بما يعادل سكان الجمهورية التونسية، أو زهاء ٦ ملايين فم جديد، ينشبدون الغذاء، فضلا عن ضرورة تأمين مجالات عمل للملايين شاب، يمزلون إلى سوق العمل، ويستدعي تشغيل نصفهم في الصناعات الحديثة التي تستحق اسمها توظيف ٢٥ مليار دولار، أو نصف عائدات النفط العربي التي لن تكفي كلها لتسديد أثمان المواد الغذائية في نهاية القرن الحالي، هذا إذا توافرت السلع التموينية في السوق العالمية. كما ظهرت مؤخرا مشكلة الموارد المائية، إذ هبط غزون السد العالي إلى النصف، علما بأن أثيوبيا التي تقدم جبالها ٨٥٪

من مصادر مياه النيل، لم تقم حتى الآن بأي مشروع لاستغلال الطاقة الكهربائية في أراضيها.

ويجب أن نخلص من الأوهام السائدة حول الطاقة الشمسية التي لم يتجاوز مداها أجهزة تخزين المياه المنزلية والتدفئة فقط.

هذا ويمكن للثروة السمكية البحرية أن تلعب دورا مهما في سد العجز الغذائي، ولكن للأسف ما تزال مياهنا الإقليمية الغنية، كسواحل موريتانيا والمغرب على المحيط الأطلسي، مرتما وبجلا رجلا لكل الأساطيل الأجنبية التي تستأثر بأكثر من ٨٥٪ من حصيلة الصيد، لافتقارنا إلى أسطول صيد حديث. كما أن الفوسفات يباع بسعر منخفض، ولا يتم تصنيع أكثر من ١٠٪ لتحويله إلى سوبر فوسفات، وكذلك شأن تكرير النفط، ويمكن قول الشيء نفسه بالنسبة لحديد موريتانيا.

إن دراسة مشكلات الوطن العربي تقتضي التفكير الموضوعي المدعوم بأرقام، لأننا أمام حقائق جديدة، يجب النظر إليها بعيون جديدة بعيدة عن التشاؤم والإحباط، وعن التفاضل «الدماغوي» اللذين لا يقومان على أساس متين، لأن ترك الحبل على الغارب يجعل الطيبة تقرض حلولها على شكل هجرة خارجية، تصلفي الأخيار، أو ما يسمى بهجرة العقول، أو الحروب الأهلية التي يقدم لبنان النموذجيا مثالا لها، أو المجاعات التي يعاني منها السودان الذي أطلق عليه تسمية «سلة الحيز العربي»، ولكنها «سلة فارغة». □

الحقد عند «جان جاك روسو»

«إنني لا أحل حقا لأحد، ولا أفكر في إيذاء أحد، لكنني حينما أرى الظلم يتزايد في هذا العالم أسلي نفسي بالتفكير في الجحيم الذي ينتظر هؤلاء الظالمين»



في الأسواق

كتاب العرب

الكتاب الرابع والعشرون

القصة العربية أجيال.. وأفاق

عباس محمود العقاد
د. عبد السلام العجيلي
عبد الحميد بن هذوف
يوسف القعيد
زينب صادق

محمود تيمور
ميخائيل نعيمة
فتحي الدويهي
جمال انطوني
ليلى العشمان

وغیرهم



عشيق الليدي تشاترلي

رواية من تأليف : د. هـ. لورانس

بقلم : الدكتور أمين الميوطي

في الآداب العالمية روايات تحتفظ - على الرغم من مرور الأعوام - بدفنتها الخاصة ، ويبريق إنساني أخاذ ، يزداد سطوعها مع تنامي المعرفة ، وبقدرة على إثارة الجدل ، منها رواية « عشيق الليدي تشاترلي » التي ترجم أول نص منها لأول مرة إلى اللغة العربية في سلسلة روايات الهلال القاهرية هذا العام .
ويسرنا أن نقدم هذه القراءة التقديرية للرواية المهمة في هذه المناسبة .

جهاز « مذبح » يصله بالعالم صوتا دون اتصال حي مباشر ، أو إلى سيارة وحكازين يتنقل بهما إلى النجم الذي يملكه . هو منذ البداية مشهود إلى آلة ، آلة التعدين والصناعة ، أو آلة الحرب التي أقعنته ، تتحكم فيه الآلة بقدر ما يتحكم فيها ، تأثرا أو تأثيرا متبادلين ، والمظهر الخارجي ليس في حقيقة الأمر إلا لتمكاسا للواقع الداخلي الذي جفت فيه منابع الحس والقطرة ، وسيطرت فيه الإرادة والعقل . فلما كانت منابع الحياة الغريزية

لعمل كلمتي (اتصال وانفصال) كلمتان ترددان في جنبات عالم « ليدي تشاترلي » على عهده من المستويات ، بل إنها ترددان بمعاني متعارضة على المستوى الواحد ، سواء كان مستوى شخصيا أو اجتماعيا أو حتى طبيعيا . إن « كليفسورد » الذي يصود من الحرب مقصدا ، أصاب الشلل نصفه الأسفل ، يعيش مشدودا إلى مقعد متحرك أوصل به محرك يمكنه من التنقل في أرجاء منزله قصره وغابته ، مثلما هو مشهود إلى

اتصال وانفصال

وهذا الموقف العام من جانب « كليفورد » ينسحب على كل العلاقات القرينية ، بل والحميمة ، فحين يدفع حارس الصيد مقعد « كليفورد » المتحرك ، فإن كلا منهما ينظر أمامه مباشرة دون أي اتصال حي . فالحارس لا يملك إلا أن يفعل - من وجهة نظر « كليفورد » - ما يطلب منه . هوليس إلا آلة أخرى ، بل هوليس إلا حارس صيد وحسب ، وكما من اللحم الإنساني يتبع له هو الحياة ، « حيوانا نصف مريض ، به قدر من اللطف الحيواني ، وقدر من السوقية نصف الحيوانية » ، حتى أن « كونستانس » تشتاترني ، التي كانت تراودها أفكار عن الصداقة المتضمة الممكنة بين الرجلين ، لا تملك إلا أن ترى أن مثل هذه الصداقة ممكنة إذا كانت هناك صداقة ممكنة بين الماء والنار . كان هناك تعارض قطعي بين الرجلين .

هذا الانفصال لا ينسحب على العلاقات الطبقة العامة فقط ، بل إنه على مستوى آخر ينسحب على العلاقة الحميمة بينه وبين « كونستانس » . تقول كلمات الرواية :

« في بعض التواحي كانا شديدي الألفة ، قريب أحدهما من الآخر ، غاية في القرب ، حين كان يمسك يدها أحيانا في هذه المساء ، كان يبدو بينهما سلام هائل ووحدة رائعة ، كانا أقرب إلى روحين تحررا من الجسد وكل سلمه ، وحين يعضيان يدا بيد على طول الطريق العلوي الذي يحف بسياه الكمال » .

والحقيقة أن هذا الاتصال الجسدي الظاهري ليس اتصالا على الإطلاق ، ليس اتصالا حيا ، بل هو اتصال يتم عبر كلمات وتأملات فلسفية أفلاطونية أو حتى سقراطية ، تشغل العقل ولا تمس الجسد .

هي علاقة بين المد والجزر في آن واحد ، من المد العقلي المتأمل الذي يلاحق المجردات المطلقة

قد جفت فيه فإنه لم يبق له إلا عقله ، ينعم به بكل المتعة والراحة النفسية التي يعجز عنها جسده . إنه يمشى الآن إدارة المناجم وتطورها ، وإلهاب ظهرها ، حتى تنتج بأقصى إمكاناتها ، كأنه يفرض عليها إزداته ، هو رجل لا يحركه إلا استبداد الإرادة ، وسيطرة الأنا والفردية ، والاستثمار المستفز ، على الرغم من كل النعومة والتهديب « الرقيقين » اللذين يمارس بهما إزداته على الآخرين . فهو ، في حقيقة الأمر ، يعيش منفصلا عن الآخرين ، متقوقعا في ذاته المقعدة ، لا مكان في ذاته إلا لنفسه ، هو باختصار صورة لا للتفرد ، ولكن للفردية بكل معانيها وفلسفاتها التي سادت في إنجلترا منذ القرن الثامن عشر حتى الآن . إنه لا يرتبط حتى برجاله من حراس الصيد ، ورجال الغابات ، أو البستانيون والعمال إلا برابطة الأجر الذي يدفعه لهم ، وقد أدار ظهره لكل معنى إنساني يشبه إليهم ، فهم ليسوا إلا خدما مأجورين ، مجرد قطع من اللحم بلا أمل حتى في الخلود الروحي الذي يبرجوه لنفسه ، وحين ترى « كونستانس » زوجته ، في هذا نوحا من الاستثمار المستفز ، يرد عليها قائلا :

« لن يكون هناك استفزاز ، بل نظام ، إذا كنت تسمين النظام استفزازا ، فلا بد أن تدر المناجم عائدا ، ولو أدى ذلك إلى أن يموت العمال جوعا » .

« لكنك لا تفكر فيهم حقا ، ما إذا ماتوا جوعا أم لا » .

« صحيح ؟ إذا لم يكن ذلك الاعتبار الأول لدي ، فليكن هكذا لديهم ، وعليهم أن يخضعوا لسيطرتي أو أن يموتوا جوعا » .

بل إنه يرى أن الوحي بهم أسوأ ما يمكن أن يفعله سيد مع خدمه .

نحسه ولا ندركه . أما الخلود الحقيقي بالنسبة للأشئ فيها فهو الدم واللحم والجسد ، أما ذلك الخلود الآخر الخالص المجرد الممتد الطويل فهو خلود محمل . الخلود هو خلود الجسد الذي أغرست الكارثة التي نزلت بها صوته ، والذي لا تستطيع أن تخمسه إلى الأبد .

حارس صيد وحيد متفرد

وليس هذا الانفصال ظاهرة فردية ، فعلى الجانب الآخر البعيد من القصر والمتزه والغابة يعيش « باركين » ، حارس الصيد ، وحيدا في كوخه ، لا يتصل حتى بعالم قرية التجدين . أول ما نراه منه وحشته وتباعده عن الاتصال بالآخرين ، بعد أن هربت زوجته وهو في الحرب .

إنه لا يرتبط حتى بابته التي ترك أمر تربيتها لأمه التي تعيش في القرية ، وهو لا يقف ضد الزوجة الهاربة والمرارة التي خلفتها فيه ، بل ضد سارقى الصيد من عمال اللناجم ، وضد الحواجز الطبقية ، وضد العالم بطل السخط والمرارة والنفقة ، وخاصة ضد النساء . وهو يحافظ على انفصاله بفساوة ، عزولاً عن الاتصال بالآخرين . الاتصال المحي الوحيد في حياته يقيمه مع الكلب الذي يتبعه ويشاركه كوخه ، مع أصوات الأشجار وهي تترنح وتتمايل وتحتك إحداها بالأخرى ، مع أصوات السريح والمطر وهي تتردد في جنبات الغابة ، مع طيور المحجل التي يرببها ويرعى احتضانها للبيض وصغارها حين تشق طريقها إلى الوجود . وسط هذا الانفصال البارد والاتصال المحي الدافئ يقف « باركين » متميزاً حتى عن خلفيته الاجتماعية ، واضح الحضور ، متفرداً لا فرداً ، ولا ذاتاً فردية واعية ، بل طبيعة لا واعية ، تتدفق فيه الحياة وقدراته المتفردة البقطة ، مثلما يمكن أن تتدفق في كل أشكال الحياة. تفرد هو تفرد الطيور والحيوانات البرية » ، وعلى الرغم من عدم

ورحلة الروح الأثرية ، والجزر الجسدي حين تشعر المرأة ببذاء الأثنى يصرخ فيها وهو عاجز عن تلبية نذاتها . حتى هذا الاتصال يتم من خلال حوار عقلي قديم ، لا يجيب نداء الأثنى اللاعدهود ، وإن كان يبرر عقم الرجل الذي استماض عن الجسد بالعقل العاجز المملود ، حتى أن « كونستانس » تشعر ببرودة مروعة تسري في كيائها وهو يقبض على يدها ، كما لو كانت تذكر صيد سوف يجعله إلى الجانب الآخر من القبر ، ويهوج بدخاها شعور بالاكشباب والتماسة ، لأنه لا يستطيع حقاً أن يشعر بجسدها وهي تعيش معه مدفونة حتى وسطها .

وليس شلل نصف « كليفورد » الأسفل هو السبب المباشر في عدم وجود اتصال حقيقي بينه وبين الآخرين ، أوبينه وبين زوجته . فقد كان شلله رمزياً فيه . كان جزء منه مشلولاً حتى قبل أن يصاب في الحرب . كان ذلك الجزء من الرجل الذي يستطيع أن يوقظ قلب المرأة مرة وإلى الأبد ميتاً فيه . وهو ميت في آلاف الرجال من أمثاله وكل النساء السلائي لمن رجال مثله ، يعيش بقلوب لم تنووظ . وربما كانت الكثيرات منهن يفضلن ذلك ، فالقلب المستيقظ ذات أخرى ، غريبة ، ومسئولية كبرى ، « كليفورد » في نهاية الأمر ليس إلا زوجاً يمتص حياة زوجته ، ويحاول أن يمتص إرادتها ويسحقها إلى لا شيء .

و « كونستانس » تدرك هذا فيه ، تدرك رغبته الخفية في إخضاعها لإرادته وعقله ، وترسل أنانيتها الباردة وعقلانيته العاجزة تياراً بارداً فيها . هي تحيا معه ، ترعاه ، تُعنى به ، لكنها تحيا معه راحة متزوجة ، تروقها رغباتها الجسدية الملحة الثقيلة الوطأة ، ويؤرقها جسدها القوي الصحيح الذي يفيض حيوية ، وقد متى جسدها بزواج مقعد لا يمكنه أن يلبي احتياجاته . ولذا تنرفض فكرته عن الخلود الخالص المجرد ، أما فالخلود ليس إلا فكرة ندرتها بالعقل المجرد . أما بالنسبة لها فهو لا يمكن أن يكون شيئاً غامضاً

وهي يشته تقف على التقيض من بيئة الغابات ، وتلقي ظلالها عليها ، النار المتصاعدة من أفرانها تصبغ السماء بالليل ، وغبار الفحم يكسو جدرانها ويحط على أشجارها . وحيوان الحقل يسبح صاعدا إليها من جوف الأرض ، يتحسس الهواء بأنفه القرنفل . هي عالم من أشجار البلوط والصنوبر والأرز والحوخ ، وأزهار البنفسج والنرجس ، وعشببات الأزهار الزرقاء ، والأوراق البضة الطرية الخضرة والأوراق الميتة ، عالم تسمع فيه صدادح الطيور ، وتقر نضار الحشيش ، وصيحات الحجل المزهو وهو ينشر جناحه ويسرع لالتقاط الحب . كما تسمع فيه للأشجار أصواتا بلا أصوات والبراعم تفتتح فيها .

هو عالم كامل من الحياة المتشابكة المعقدة المتداخلة ، تحسه ولا تسمعه ، وترى حركة الحياة فيه دون أن تراها .

نحن ، إذن ، أمام عالمين يقفان على طرفي تقيض . هذا التناقض في غرض البيئة لا يتسم بسواقمية التفصيلات فحسب ، أو واقمية الاحساس ، بل بالرمزية أيضا . فإذا كان عالم الصناعة يتسم بالمادية ، فهو يرتبط أيضا بالمعل والفردية والصراعات الطبقية ، في حين يرتبط عالم الطبيعة بعالم الحس والإحساس والفطرة النقية . وإذا كانت البيئة الاجتماعية تفرض إحساس الفرد بنفسه ، وبالتالي عزلته وتقوقعه داخل هذه الذات ، فإن عالم الطبيعة الذي يتسم بالضرد والتلقائية هو الذي يصل ما بين الأشياء ويشدها أحدها إلى الآخر ، أو بمعنى آخر ، إذا كانت البيئة الاجتماعية لا تصرف سوى لغة الذات العليا والمعل ، فإن البيئة الطبيعية هي لغة الذات السفلى والجسد . وهي اللغة التي تتعرف « كونسنتس » ، في ومضة من ومضات اللاوعي ، حين يقع بصرها على حين غرة على جسد « باركين » ، وهو يقتسل في فناء كروعه

ومسامته ، فإن هذا الضرد فيه يعطي « كونسنتس » انطبعا بجمال في الرجل لا يوجد في كل الرجال .

هذا الانفصال بين الناس لا يتم على المستوى الشخصي فقط ، بل هو متحقق أيضا في إطار البيئة النظرية التي تجري عليها الأحداث . فنحن منذ البداية نتحرك في عالم التعدين والصناعة ، عالم تتردد في مناجه ضربات المطارق ، أصوات الانفجارات التي تؤدي بحياة بعض العمال ، قطعة الآلات الدوارة ، وصليل غرابيل القرز ، وتفسوح فيه رائحة الأبخرة والأدخنة والقسم والحديد والكبريت ، ويحط فيه الحباب على أوراق الأشجار والأزهار ، يشوه الأرض كما لو كان تحليرا من الألهة ، وتقوم فيه بيوت العمال صفوفا متعرجة ، بنيت على حبل بأسقفها الارتوازية ، عالما من الكآبة والقبح ، وتدوى فيه صفارات السكك الحديدية التي شقت لها الأنفاق وسط المرتفعات ، وتعددت شبكاتها وتداخلت وسط المدن . وسط هذا كله يجلس « كليغورد » للعقد في مقعده المتحرك ، حيث الآلة امتداد لروحه بالقدر نفسه الذي تحولت فيه روحه وعقله ويده إلى آلة بلا حس أو شعور .



● غلاف الكتاب

لغة الطبيعة

نظيرا في العالم الخارجي . فواحد من الانطباعات التي تتولد في نفس « كونستانس » ، الرجل يلغها بذرعه ، وقد راح في سيات عميق ، انطباع بالدائرة الغريبة التي تتألف من الرجل والمرأة ، إنها ترى فيها نوحا من السجن تتلاشى فيها فرديتها لتعيش داخل الرجل ، لكنها لا تلبث أن تراجع نفسها .

لا ، ليس سجننا ، قلو أن المرء فكر بتلك الطريقة لكان سجننا حقا أن يكون له جسد على الإطلاق . وإذا أراد المرء أن يكون غاية في الحرية فعليه أن يتبخر إلى لا شيء . كانت تلك الحرية القاسية الصغيرة لدى فرد منفصل ، منفصل تماما أسوأ من سجن . كانت مجرد مسمار يخترق القلب . ومن الواضح أن « لورانس » لا يعني مجرد فردية « كونستانس » ، بقدر ما يعني نظاما اجتماعيا كاملا ، يرى في الفرد والفردية ذروة حركة التطور ، ونظاما اقتصاديا تمهد في فلسفة الفردية وحرية الفرد في العمل ، بحيث ألغى الحس الخلفي والتعاطف والاتصال الحقيقي الحي ، بحيث تحول المجتمع الإنساني إلى جزر متفصلة ، فالهدف الإنساني ، لا الهدف الجسدي فقط ، هو وحده القادر على أن يعقد الصلات بين البشر ، مثل هذا الإدراك هو الذي يجعل « كونستانس » ترى أن الرجل يصلها بالحياة الحية الحقيقية ، ويعمر تدفق الحياة فيها .

و تحققة الإدراك هنا ليست إلا واحدة من الملاحظات على طريق تطور « كونستانس » الروحي ، فما تزال النزعة الطبقية التي تجعلها ترى في الرجل مجرد رجل عادي ، بل يداخلها الإحساس بالخزي أحيانا ، لأنها أقامت علاقة مع مجرد حارس صيد ، يعمل في خدمة زوجها . والرجل نفسه لا يخلو من مثل هذا الشعور : « ألا تشعرين أنك قد تدنيت بنفسك مع أمثلي ؟ » ، ويهدد هذا الإدراك من جانبيهما لصراع من نوع آخر بينهما ، صراع يماعد ولا يقرب ، بفصل ولا يصل ، فاتصالها بالطبيعة الدنيا يولد فيها خوفا

في ظلمة الغاية المتساقطة بدأت فجأة ترتجف دون قدرة على التحكم في نفسها ، كان جذع الرجل الأبيض قد بدا لها غاية في الجمال ، يشق الظلام ، الجسد المتماسك المقدس ، ذلك الجلد المتماسك الحريري ، غرض الطرف عن وجه الرجل بشاويه الضاري ، وعينه القاسيتين ، غرض الطرف عن شخصيته الغيبة ، كان جسده في حد ذاته مقدسا ، يشق الظلمة كأنه رؤيا . وهي لحظة تغلق كيانها ، تشقه ، تفتح رؤيا كانت موصدة بداخلها ، فتشتمل القوى المكبوتة ، كل ما فيها يتكلم لغة ليس بها رخص الكلمات ، مشدود إلى الارتواء الخصب . وتحين اللحظة وهي تركع على ركبتيها ترأب أفراس الحجل تتوالت نحو العشب ، دقيقة وغريبة ، ترتجف الحياة فيها وهي تلتقط الحب من راحتها ، فتبكي الخصب الذي حرمت منه ، وتحس الخواء بداخلها وحولها ، حتى يحتوي الحارس قدما المطوي على نفسه ، وبلا وهي منه أو وهي منها تبه نفسها .

وفي تلك المرة ، للمرة الأولى في حياتها ، بعثت الرغبة فيها إلى الحياة فجأة .

وبقدر ما تفتتح « كونستانس » على الحياة ، بقدر ما يفتتح « باركين » أيضا عليها بعد عزلته وانفصاله عن الحياة ، وإدراكه لشيء آخر غير ذاته الموحدة ، تحقيقه لحياته الإنسانية الفردية لا يتم إلا من خلال الاتصال الحسي الذي يصل أقصى مدى له في الاتصال الجنسي الذي يوحده لا مع الأخرى فحسب ، بل مع الحياة .

غير أن هذا الاتصال يفتح عينيهما على حقائق أخرى تمس الكيان الفردي ، والكيان الاجتماعي ، والنظام الاقتصادي والعلاقة بين الطبقات . فمن خلال هذا الاتصال الجسدي يبدأ القاريء في التحرك على الصعيد من المستويات التي تؤلف كيان الفرد ، والتي تمجد لها

يرفض إلا أن يكون في بيته ، يرفض أن يتحول إلى سيد مهذب ، يرفض أن يكون تابعا لامرأة . هي امرأة لا يمكنها أن تتكون سيدة راقية ، وهو رجل لا يمكنه إلا أن يكون عاملا . ويزداد تشبه بموقفه ، بل بطبقته حين يصبح مشغولا عن العمال ، إنه يرفض في الحقيقة عدم تقبل المرأة له على حالته .

هذا الصراع يصل إلى ذروته حين تدرك أنها حامل ، ويقبل « كليفورد » أن تعطيه طفلا ، حتى لو كان من رجل آخر ، ولدا وورثا يحارب به من أجل الإبقاء على منجمه وضيعة ، يحارب به طبقة العمال نفسها التي وهبت هذا الابن ، لمحافظة على سيادة طبقته ، وعلى إخضاع الطبقات الدنيا لإرادته الباردة القاسية ، حتى لو أدى الأمر إلى موت هذه الطبقات جوعا . هنا يدخل صراع « كونستانس » مع نفسها مرحلة حاسمة ، ويقودها هذا إلى قرار . إنها لن تأخذ طفل « باركين » وتسلمه إلى « كليفورد » ، فهي ترفض أن تأخذ على عاتقها أن تقرر للطفل حياته سلفا ، وكأنه لا رأي له ، ويساعدها على اتخاذ قرارها تباعد كليفورد عنها ، وانشغاله بتوسيع منجمه وتحديثه ، واستغراقه في عالم الصناعة . وأمام هذا « باركين » لا تملك « كونستانس » إلا أن تهجر « كليفورد » . سوف تنزح إلى « اسكتلندا » ، وتبتاع مزرعة صغيرة وتنتظر أن يغير الرجل موقفه ، وأن يلحق بها . على هذه النهاية المفتوحة تنتهي « عشيق اليندي تشارلي » ، وتفتح الباب لبصيص من أمل ، يحصل في النهاية الرسالة الأخيرة التي يوصلها « لورانس » ، حين يرفض الحارس أن يكون في بيته كلبا من السربية الدنيا ، وأن تكون « كونستانس » كلبا من الرتبة العليا .

طبقياً . فربما كانت هذه الطبقة التي سوف تدمرها وتدمر طبقتها في النهاية ، بل ربما كان الرجل يتشقى أنه قد مصر فيها شيئا حين جعلها إلى مستواه . وقد يلتقي الاثنان في صفاء اللهب الذي جمع بينهما ، لكن يداخل الرجل أيضا إحساس بأنها تزدرية في أعماقها ، ولا تبقى منه سوى لحظة الوصل . وتولد فيها هي أيضا إحساس بعدوانية كامنة في الرجل ، لكن الصلة الحميمة تظل تشدهما رغم كل شيء .

بين عاملين

و « كونستانس » ، فوق هذا ، موزعة على عاملين ، فهي لا تستطيع أن تنفصل عن طبقتها وثقافتها ، ولا تستطيع أن تتخل من الرجل ، فهي مشدودة إلى « كليفورد » وإلى أحاديثه المثقفة الغامضة ، وإلى البيئة الاجتماعية المرفهة ، وإلى الفلسفة والفن اللذين لا يمكن « لباركين » أن يشاركها فيها ، وهي مشدودة أيضا إلى تلك الصلة التي تربطها بدفع الحياة ، إنها تريد هذا وتريد ذلك .

لم تكن تريد أن تختار بينها ، بل كانت تريدها معا ، كانت تريد أن تحتفظ بكمكبتها وأن تأكلها ، كان يثير حنفها أن تضطر إلى أن تقول : سوف آخذ هذا ، وأفقد الآخر . كانت غاضبة جدا من « باركين » لوضعها في مأزق . كانت في غاية الغضب عليه ، لأنها لم تكن تستطيع أن تفقده ، أما بالنسبة « لكليفورد » فلم يكن مجرد الرجل الذي فيه ما كانت تتشبث به ، بل كان كل ما كان يمثل ، ولم تكن تستطيع أن تفقد كل ما كان يمثل .

وربما تظن في لحظة أنها قادرة على أن تشتري مزرعة صغيرة يعيشان فيها معا ، لكن الرجل

ينبغي ألا نغام التماثيل إلا للأندال ، فالشرفاء يحترزون منها .
« كليمتسو »

فدح حضرة مولانا النهر

شعر : محمود عبد الصمد زكريا

في خُفرة مولانا النهر - الراجل عتاً صوب النهر -
 ينسج الخلف
 تنسج المثل القروية ، تطليهي
 يستقي الحب ، فاجمع كل جراحات المثل القروية من كفي
 أتمد في المجرى
 يبدأ تاريخ العشق الأزلي من البحر ،
 وحتى أغلى نبضات القلب الدافق من المتع .
 يقفون الآن هرايا
 ويبعون ثياب العرس النيلية من زمن الفيضان
 بطن بطن
 في ليل لا يطلع فيه النجم
 ويشرون الوهم بأجساد تصيب هرقاً
 يثلي النوم ،
 فالمح نوبك في الساحة ، يجلني
 بسياط البقلة ، تحملني نظرتك المليكة
 تزدعني في سابع أرضي ،
 أتيت نخلًا
 ينبت كل منهم حولي نخلًا .
 نائمة كانت ،
 تحلم بالعرس الربيعي ، وكانت
 تحفت بين توابيت الوادي أصوات الغرقى
 قلبي بمصره الجوع الأبدى إلى الرّيح الأبدى



• شاعر وكاتب من القطر العربي المصري



فاحفظ من آمون المساة للحمية
 يا بني مرولة زرع
 اذهب ظهر الشمس ، اخرج قل الأكمار املني
 احذو اسطون مرايها الشمسية
 اسطع من بطن الوادي ، قللة من نور
 تستحق
 ترفل في ثوب الميخنة ، وقامر حارسها :
 يا حارس هذا الوادي الطيب
 زوتجسا
 سلمت من جوع البحر ،
 ومن جوع الظلمة بطن الوادي قل الفرقي
 امسحهم عبقا .
 في حضرة مولانا القنبر - الراجل خنا -
 قلوا عنك ، امراء التاريخ الحبل
 بالزمن المجري المبت
 لكي اسميتك
 أنق مملكة الحب
 خلقت عليك جميع الألقاب الملكية
 وثرت على أقدامك ،
 كل فصول الأرواح ،
 وطاردت بعفتك النوم
 والبستك وجها ملكيا خلوا
 يمتك شطر النهر ، وأنجستك
 - أنت الملكة - في القلب
 عدوت ، تسابقي أحلامي
 اجع أطراف الغد ،
 في كفي منسأة الملك ،
 على رأسي الناج ،
 وقدايمي قطعان الأمل
 وقلت : مؤيبي يا مولاني الملكة .



البكاء !

نظرت إليها بتعجب واهتمام :

قالت :

- كان أسمر ، أسود العينين ، وكنا ..

● كنتم ماذا ؟

- كنا نحب بعضنا .

حدقت فيها وكأنني أراها للمرة الأولى ، أي مفاجأة مذهلة لي أن أكتشف أن عمتي تحب ؟ رحت أتأمل الوجه الأسمر المفضل ، خصلات الشعر البيضاء التي تطل من تحت المنديل ، إنها في الخامسة والثلاثين من عمرها ، أتكون قد أحببت حقيقة ؟ وهل كان في زمنها حب ؟

انساب صوتها هادئا عميقا ، وكأنه يأتي من غور بعيد :

- لم يكن في البلد أجمل منه ، قمة فارعة ، عينان سوداوان كحيلان ، شاربان كثيفان ، عندما يمر في الطريق تقف الفتيات وراء النوافذ ينظرن إليه .

سرحت ببصرها بعيدا .

- كنا صغارا ، نزورهم ، ويأتون لزيارتنا ، نلعب ، نركض ، نصخب في الحارة ، حتى إذا حل المساء دخلنا إلى البيت لتكمل لعبنا فيه . كبرنا ، فصل الصبيان عن البنات ، وفرض علينا الحجاب ، ثم مات جدي فوقع الخلاف بين أبي وصيائي على الميراث ، كانت عمتي أم أحمد أشد من خصاما ، فكرهها والدي ، وحرّم علينا زيارتها ، انقطعنا سنوات عن رؤية بعضنا .

عندما رأيته بعد انتهاء القطيعة كنت في الرابعة عشرة من عمري ، وكان في السابعة عشرة ، التقت نظرانا ، فغضضنا النظر ، وعندما أعدت النظر رأيت الإعجاب في عينيه ، فحققت قلبي .

لم يكن باستطاعتنا أن نلتقي ، فكان يتحوى الفرص ليمر أمام بيتنا ، قد يرفع إليّ نظره ، وقد لا يرفع ، ولكنني كنت أنتظر هذه اللحظات السعيدة .

- ولماذا لم يتقدم ليخطبك ؟

- تقدم ، ولكن جدك رفضه .

- لماذا ؟

- لأن والده كان فقيرا ، ولأن جدك لم ينس أيام القطيعة مع أمه .

- ثم ؟

- لم يكن يصدق أن خاله قد رفضه لأنه فقير ، كان يقول لي : أيجعل خالي من مصاهرتي ؟ أينسى أنني ابن أخته ؟ ما العيب في أن أكون فقيرا ؟ إنني شاب أستطيع أن أفتت الصخر ، ليمهلني ، وعندئذ يرى ما الذي أستطيع أن أفعله .

● لماذا لم يمهله ؟

أطلقت تنهدا حزينا وقالت :

- الأيام لم تمهلنا . وذات يوم جاء العسكر التركي ، وجمعوا كل شباب البلد الذين في سن التجنيد ، وبلغوهم أن عليهم الالتحاق بالجنش ، لأن الحرب قد قامت ، ومن يتخلف أو يهرب سيعدم .

ما زلت أذكر ليلة سفره :

وغابت تسترجع التفاصيل ، وانطلق صوتها يروي ، وكان ما تحدث عنه ماثلا أمام عينيها .

- قالت أُمي لأبي : منذهب إلى أختك لتوديع أحمد .

نهرها قائلا : ما للنساء وتوديع الرجال ؟!

انطلوت أمامه ضعيفة ، خائفة ، تمنيت حينئذ أن أبكي بصوت مرتفع ، أن أتمرغ على قدمي والدي ليسمح لنا بالذهاب ، ولكن نظرة من عينيه كانت كافية لتوقع الرعب في قلبي ، ما كنت أستطيع أن أصدق أنه سيذهب دون أن أراه ، ولكن حكم أبي لا يرد .

الليل طويل ، والجميع غارقون في النوم ، ووسادتي غارقة بدموعي ، وعينيائي مفتوحتان تنتظران معجزة ، سمعت حركة تحت النافذة ، تسللت من فراشي ، وأطلت ، رأيته في ضوء فانوس الشارع الضئيل ، كاد قلبي يسكت من الفرح والخوف ، لو أن أحدا رآه لكانت نهايتي على يد أبي .

أشار إليّ أن أفتح الباب ، فخرجت من غرفتي على رؤوس أصابعي ، أمام غرفة أبي

● الفداء والحب

لو عاد ؟ لو رجعت كنت سأزوجك . في الحياة
تصنع ما نريد ، ولكن ما الذي نستطيعه أمام
الموت ؟

مرت السنوات وصورتها لا تبارح خيالي ،
تزوج إخوتي وأخواتي ، فرغ البيت ، لم يبق إلا
أنا وجدك وجدتك .

لم تهف نفسي إلى الزواج ، الزوج إما أن
يكون أحمد أو لا يكون .

تساءل الناس ، نسيتي الناس ، دب الشيب
إلى رأسي ، أخواتي أصبحن جدات ، مر على
القصة ... أه يا عمتي ، لقد مر عليها سبعون
سنة .

هذه الأغنية أرجعتني إليه ، فكأنني الآن
أراه واقفا في غيش الليل ، أرى لمعان عينيه
ونظراته المودعة . أطلقت تنهدة :

- يقولون من جرح قلبه في الدنيا يجبره الله في
الأخرة ، حيالي كانت حزينة ، فهل سأكون
سعيدة هناك ؟

أحس بأن يمتصر روحي ، أناملها غائصة في
سريرها ، تنتظر آخر أيام شتائها ، صغيرة ،
منكسرة ، أي حب وأي نيل يعيشان في هذا
الجسد المهترئ ؟

سنوات وأنا أعيش معها وأجملها ، مذ كنت
صغيرة وأنا أراها تروح وتغدو ، تعمل وتساعد ،
رعت أمها وأباها ، ربت إخوتها وأولادهم ، بنين
وبنات ، كل من وقع في ورطة يذهب إليها ،
تدافع ، تحمي ، تعطي ، وما خطر لي أنها
أحبت ذات يوم ، وأنها ما تزال غارقة في حبها
القديم المستحيل .

أذكر حبها لأختي أحمد ، تفضيلها له علينا
جميعا ، هي التي اختارت الاسم ، وهي التي
أصرت على التسمية ، وأسترجع نظراتها الحانية
إليه ، نيرتها وهي تتأدب . أنامل الوجه الذابل
وقد دببت إليه حمرة ما قبل الغروب ، ومن
العينين سرت دموع .

يا عمتي المسكينة تذكريني لأنك ذاهبة إليه ؟
ألصق وجهي على زجاج النافذة ، المطر ما زال
ينهمر في الخارج ، وفي داخلي ينبعث حنان
يتمنى أن يسمح الآم الناس جميعا . □

تعثرت وسقطت على الأرض ، وسمعت صوته
الجهوري يصرخ :
- من هناك ؟

من أعماق رعيي انبعث صوتي مرتعشا :
- أنا يا أبي ، أريد أن أشرب .

عاد إلى النوم ، سمعت غطيطة ، لكن
الذعر جمدني ، ماذا لو تظاهر بالنوم ثم خطر له
أن ينهض ويراني وأنا أفتح الباب الخارجي ؟
ولكن قوة خفية كانت تدفعني إلى الباب
دفعاً ، هبطت الدرج ، وفتحت الباب ، كان
يقف أمامي بقماته الشامخة .

- ادخل بسرعة .
وقفنا على الدرج ، رددت الباب .
- جئت لأودعك .

انخلع قلبي ، تساقطت الدموع من عيني ،
لم أكن أراه بوضوح ، ولكنني كنت أحس بوجوده
يملاً كياني ، ما زلت حتى الآن أذكر لمعان عينيه
السوداوين ، ونظرة دافئة انغرست في قلبي .

- لا تبكي ، سأعود ذات يوم ، وسوافق خالي
على أن أتزوجك .
- سأنتظرك يا أحمد .

من أعماق الليل انطلق أذان الفجر ، وسمعت
خطوات أبي متجهة إلى الحمام ، وقف الدم في
عروقي :

- أرجوك انصرف ، لقد استيقظ أبي .
- ما أقساه !

من عتقي انتزعحت مصحفني الذهبي .
- ضعه حول عنقك يحميك .
مد يده ، تناول يدي بين يديه ، قبلها .

- ادع لي .
- ليعمذك الله سالماً .

ذهب ، ولكنه لم يعد ، من كل شباب البلد
الذين راحوا لم يرجع إلا اثنان ، طرقت أحدهما
الباب على عمتي وناولها المصحف :
- هذا أمانة من أحمد .

بلعت دموعي ، ما كان يحق لي أن أبكي ،
فالحب في زماننا كان محرماً ، ولكن يعلم الله
أنني ما وضعت رأسي على الوسادة إلا ببللتها .
كنت أتساءل : أي ضمير سيلحق هذا الكون

التعرّف على حالات القلق

بقلم : الدكتور عبدالستار ابراهيم

في لحظات كثيرة تعرض للانسان بعض المواقف التي لا يملك نفسه فيها تماماً ، وتستبد به الحيرة ، ويتملكه الاضطراب ، وقد تمتد هذه اللحظات أياما ، وقد تطول فتصبح حالة نفسية مستمرة لها آثارها ، ومنفصلاتها التي يفسرها الآخرون عندما يشرحها صاحبها لهم بأنها حالة من حالات القلق .
فما هو القلق ؟ ما أنواعه وتأثيراته ؟

شكواهم بأساء متباينة ، منها « انشغال البال » و « الهضم » و « التسوجس » و « الخوف » و « التشلّوم » و « متاعب الصحة والجسد » . وسنرى فيما بعد أن كل هذه الأساء تمثل أوجها مختلفة لعملة واحدة : هي القلق .

■ أتيت لنا - بحكم وضعنا المهني - أن نلتقي بكثيرين ممن تملكهم المحن والأزمات . وما تكلمنا إلى أحد منهم إلا ووجدنا أن القلق - بين الغالبية العظمى منهم - هو مصدر المحن ورأس المشكلات . ويصف هؤلاء موضوع

يزداد القلق عندما يكون الشخص ضحية أزمة صحية أو كارثة مادية ، أو تحت تأثير أشياء تهدد أمنه أو حياته ، أو في المواقف الاجتماعية المتأزمة .

ومن العسير حقا أن نضع قائمة شاملة بالمواقف المثيرة للقلق ، إلا أن المواقف التي تثير القلق تشترك فيما بينها في الخصائص التالية :

- ١ - إنها جميعا تتعلق بالمستقبل أو بأشياء مرتقبة .
- ٢ - إنها جميعا تنطوي على شيء مهدد أو مخيف .
- ٣ - إن التهديد في بعضها حقيقي ، والتهديد في بعضها الآخر - أو المخوف - ليس شيئا حقيقيا أكيدا ، بل يراه الفرد كذلك .

ومن هنا يجب تعريفنا للقلق بأنه انفعال يتسم بالخوف والتوجس من أشياء مرتقبة ، تنطوي على تهديد حقيقي أو مجهول . ويكون من المقبول أحيانا أن نقلق للتخلف النشاط ومواجهة الخطر ، لكن كثيرا من المواقف المثيرة للقلق لا يكون فيها الخطر حقيقيا ، بل متوهما ومجهول المصدر . ولهذا فإن القلق يشيع أكثر ما يشيع بين فئة من الناس يطلق عليها العلماء اسم « العصبيين » أي الفئة المتميزة من البشر التي تتوجس سرا من كل موقف ، ويعيش أفرادها هذا في ازعاج دائم ، وخوف . ولهذا نجد من القلقين من ينزعج لأشياء غير مهددة بطبيعتها ، بل قد تثير لدى غيرهم التريل والاستحسان . كمشهد بعض الحيوانات الأليفة ، أو السفر إلى مكان جديد ، أو الدخول في علاقات اجتماعية أو جنسية مرغوبة . حتى النجاح والتفوق والحصول على شيء كان يصعب تحقيقه قد لا تثير لدى الشخص الذي تتسم حياته بالقلق أكثر من الخوف ، بأن تنقلب هذا الأشياء السارة في المستقبل إلى كارثة محتمة .

ونحن لهذا نقول : إن الخطر الذي يسبقه القلق، عادة ما يكون خطرا متوهما وخطفا ، والخوف الذي يتملك الناس في حالات القلق عصف مجهول المصدر ، وغامض ، وغير

وإذا سألت الناس عما يجعلهم يقلقون فستجدهم يتحدثون عن مصدر القلق بصورة شتى ، ويلدرك كل منهم بمناظر مختلف ، فمنهم من يراه كعدو غريب وكريم ، عرف طريقه ، بطريقة ما ، إلى نفوسنا وأجسامنا ، موجها إياها نحو التعاسة والمرض . ومن الناس من يتحدث عن القلق بأنه إرث ثقيل نقل إلهم من أسلافهم ، كما نقلت إلهم صفات جسمانية ونفسية أخرى بوراثة محتمة . وهناك من يحاول أن يطرح حل القلق مسحة فلسفية ، فيراه ضريبة ندفعها لوجودنا ومعاشتنا للعصر الحديث . ولهذا نجد الفيلسوف الفرنسي ، ألبير كامي ، يرى أن هذا العصر عصر خوف . ويصور الشاعر « أودين » هذا العصر ، في قصيدة شعرية له ، حملت الاسم نفسه ، بأنه عصر القلق والمسانة (١٩٤٧) . وهناك من يتحدث عن القلق ويصفه . بأنه تجربة ضرورية تزي الحياة كما وصفه لنا ، الأدب المصري بمجي الطاهر عبد الله الذي عاش تجربة قصيرة رائدة في الأدب والتأليف . لقد كان القلق بالنسبة لهذا الصديق الأدبي - رحمه الله - طريقة لإثراء حياته الفنية والأدبية ، وكان يقول : إنه يبحث عن القلق ، بل ويخلفه ، لتستمر تجربته في الكتابة والتأليف . فالقلق عند بعض الناس إذن تجربة وخبرة شخصية ، قد تعود عليهم بالنفع والفائدة .

القلق كجرس إنذار :

القلق كما يصوره علماء التحليل النفسي - ويتفق معهم في ذلك علماء النفس المعاصرون - ما هو إلا نذير بأن هناك شيئا سيحدث ، ليهدهد أمن الكائن وتوازنه وطمأنينته ، إنه أشبه بجرس الإنذار الذي يعد لمواجهة الخطر .

ولهذا تعرض الملاحظات العامة لسلوك الناس ، بأن القلق هو الاستجابة التي تغلب عليهم ، عندما يجد الواحد منهم نفسه مقبلا على شيء مهم أو خطير . ولهذا فمن الطبيعي أن

عقلاني . ومن ثم يجيء تعريف العلماء للقلق بأنه خوف من شيء مجهول المصدر ، وأنه حالة وجدانية غير سارة ، تمتلك الشخص وتجعله يرى أخطارا غير حقيقة ذات مصدر غير معلوم للأخوين (جريست ١٩٨٧)

درجات القلق وأنواعه :

يتملكنا التوتر النفسي والقلق عندما نعلم أننا سنقبل حل لحظة أو خبرة حاسمة (امتحان ، أو لقاء شخصي ، أو قرار) . ومن خلال هذا التوتر الذي نخشيه قبل حدوث هذه المواقف نحس أنفسنا ، ونحاول أن نتسلح بما يمكن التسلح به من خبرة أو معرفة ، لمواجهة هذه المواقف بنجاح . وإذا أتبع لنا أن ننجح في هذه المواقف (فنؤدي مثلا أداء جيدا في الامتحان ، أو أن تغلب على خجلنا وعوامل ضعفنا في اللقاءات الشخصية المهمة ، تاركين أثرا طيبا وإيجابيا في الآخرين) ، فإننا نشعر بالعرفان والشكر لمشاعر القلق السابقة لمساعدتها في الدفع الإيجابي نحو النجاح .

ويصور هذا الموقف (أو المواقف السابقة) نموذجاً طيباً لما يسمى بالقلق الدافع . وهو قلق ضروري للنمو ، وللتطور بإمكاناتنا نحو تحقيق كثير من الغايات الإيجابية . وهو قلق مؤقت ، وقليل الحدة ، ومنشط لامتكانيات الكائن النفسية والعضوية ، بعبارة أخرى ، فإن هذا نوع صحي ومحمود من القلق ، وينطبق عليه قول الصائم النفسي الأمريكي كاتل (١٩٦١) بعد عرض كثير من نتائج بحثه في هذا الميدان :

(بعض الناس يربط دائماً بين القلق والمرض . لكن القلق لا يكون دائماً علامة على المرض والعصاب . إن القلق يمكن أن يوجد بدرجات عالية دون عصاب . بل إنني أجد من نتائج دراساتي ما يؤكد أن وجود القلق قد يكون أحيانا علامة على الصحة والنضوج) .

على مثل هذا النوع من القلق الصحي قد

ينطبق وصفنا السابق للقلق ، بأنه جرس إنذار مبكر في مواجهة الخطر . لكن القلق في أحيان كثيرة قد يكون أشد حدة من المواقف التي تثيره . ولهذا نجد من العلماء من يصف القلق بأنه جرس إنذار ، ولكنه إنذار أشد ضراوة وأخطر من الحريق الذي ينذر عنه (١٩٧٨) بيسك) . خذ على سبيل المثال نموذج الطالب الذي يتملكه القلق في يوم الامتحان بصورة تعوقه عن أداء الامتحان نفسه ، وبالهروب من الموقف كله ، أو ذلك الزوج الذي يتملكه الخوف من الضعف الجنسي عند معاشرته لزوجته بصورة قد تؤدي إلى إصابته بـ «الضعف الجنسية» ، أو تلك الزوجة الصغيرة التي يتزايد خوفها من الرجال لدرجة تمنعها من التوافق الجنسي السليم مع شريك حياتها ، أو تلك الأم التي تخشى على أبنائها من أخطار الحياة لدرجة توقف نموهم وتفاعلمهم الإيجابي مع الحياة بحب وحرص مبالغ فيها ، أو هذا الطفل الذي يوقفه خوف الانفصال من الأسرة عن الذهاب إلى المدرسة بالمرض أو التمارض كل صباح . وقد راجعتني في العيادة مرة سيدة ملكها الخوف من الكلاب - ثم كل الحيوانات فيها بعد - لدرجة أعاقتها عن أداء واجباتها الأسرية والشخصية الضرورية . في كل هذه الأمثلة تتمثل صور مختلفة مما يمكن أن نسميه بالقلق المرضي أو العصبي . وهو الذي يمثل الشكوى الرئيسية للغالبية العظمى من الناس ، عندما يتجهون لطلب العون النفسي ، وهو يمثل درجة ميالاً إليها من الانفعال بالأشياء لدرجة تعوق - ولا تيسر - الحياة البشرية ، وهو أيضا أنواع .

القلق العصبي (العصاب)

كلمة عصاب مصطلح جرى على استخدامه علماء النفس والأطباء النفسيون لوصف طائفة من الأمراض النفسية التي يتميز أصحابها بالانفعال الشديد ، وعدم الاستقرار النفسي ، والتقلب



● التعرف على حالات القلق

الاجتماعي يجد نفسه ضحية لقلقه بصورة لا يحسد عليها . وتعلم أيضا أن هناك بعض الأشخاص من « يتجمد » في مواجهة الخطر بدلا من أن يستعد أو يتهاى للاستجابات الملائمة . ويأتي القلق العصبي بأشكال متعددة بحسب شدته وضروته . فيكون إما حالة انفعالية شديدة ، أو يتزايد لدرجة أن يستجيب الجسم بالقشعريرة والرعدة ، وتوتر عضلات الجسم . أو يتحول في الحالات المتطرفة إلى نوبة حادة من الانزعاج والذعر . فالذعر درجة أشد من درجات القلق .

هذه بعض التصنيفات العلمية للقلق العصبي إلا أن الممارسة العملية تبين لنا أن هذه التصنيفات قد تترك أكثر مما تقيد . فالقلق ، وتحت أي اسم أو شعار ، هو انفعال مسرف في حدته ، يملك على الإنسان مشاعره وتفكيره واستجاباته العضوية فيصيبها بالاضطراب والتوتر .

التعرف على القلق :

أقبلَ إلى شاب في الثالثة والثلاثين من العمر يعمل مهندسا ، يبدو على وجهه الشحوب والتعب ، يحيط بعينه هالات سوداء بدأ حديثه قائلا : إنني لا أنام ، وأظلم طوال الليل أتقلب في سريرى ، وعندما يأتي الصباح أشعر بصداغ حاد ، وطنين من أثر ارهاق الليل والسهر . وما أن يمتد اليوم قليلا حتى يتزايد التعب والإعياء لدرجة أنني قد أنام على مكثي .

كان واضحا أن هذا الشاب يعاني من حالة قلق شديدة ، بدأت آثارها تشمل الجسم (شعور بالاختناق وضيق النفس) فضلا عن الاحساس نفسه : اضطراب وخوف غير محدد المصدر .

وقد بدأ ذعره يتزايد مؤخرا ، ويعد محاولة تشجيعه للبحث عن الظروف الاجتماعية التي أحاطت به حديثا ، تبين أنه أعزب ، وانتقل للعمل في القطر العربي الذي تم لنا لقائه فيه ، وأنه كان قد تعرف في إحدى زيارته لبلده بفتاة

الانفعالي . ويسيطر على المصابين عادة أعراض مرضية متنوعة منها الخوف ، والقلق ، والأحزان النفسية (الاكتئاب) ، والوساوس الفكرية . ويشغل القلق العصبي الطائفة الرئيسية من الضمائر . ويعد أيضا سمة رئيسية في معظم الاضطرابات العصبية الأخرى . فنحن نجد القلق مستقلا كخاصية رئيسية في الشخصية ، ونجده مرافقا لكثير من الاضطرابات الانفعالية الأخرى كالخوف والوساوس والاكتئاب . والقلق العصبي هو انفعال شديد بمواقف أو أشياء لا تستدعي بالضرورة الانزعاج . والشخص في حالات القلق العصبي يجد حياته الوجدانية ، والفكرية ، والاجتماعية نهباً لهذا الشعور بحيث قد يجد الشخص نفسه عاجزا عن الحركة الانجابية والتفاعل العادي بالحياة .

والقلق العصبي يفتقد الخاصية الانجابية للقلق من حيث هو قوة إصداق وتعبير لمواجهة أزمات الحياة وتحدياتها . بل وقد يتدخل في تشويه نفس الغاية التي يهدف إليها فيكبل بدلا من أن ييسر التعامل مع الأزمات والاضطراب . مما يزيد من تعرض الشخص للموقف المهللك . وربما صادفنا كثيرا من الحالات التي يتدخل القلق خلالها في الموقف بصورة سيئة . فالشخص الذي يؤدي به القلق إلى التلعثم المتتالي في الموقف

وتتنبض الأوعية الدموية ، وتستثار بعض الغدد كالغدد الدرقية في حالات الحزن . . . الخ .
ونجد في حالات القلق ، أن التغيرات العضوية تمتد لتشمل : تسارع دقات القلب ، جفاف الفم ، الدوخة ، العرق الشديد ، الغصة وانحباس الصوت أحيانا ، الغثيان نتيجة لانقباض المعدة ! التنمل في اليدين والقدمين ، صعوبات التنفس التي تكون إما على شكل العجز عن التنفس العميق ، أو التنفس السريع المتلاحق ، وقد يجد الشخص نفسه في حالات القلق مشرفا على التهاوي أو الاغياض . وتحدث أيضا تغيرات عضوية عضلية لعل من أهمها تصلب عضلات الظهر والرقبة ، والتصلب على امتداد عضلات الذراعين حتى أسفل الكتفين ، وارتعاشات الأطراف والأصابع ، وزيادة اللزوم الحركية في الوجه وبالدات في منطقة الفم أو العينين نتيجة للتوتر العضلي الشديد في هاتين المنطقتين . ولهذا نجد أن كثيرا من المصابين بالقلق عادة ما يشكون من تورم العضلات ، والظهر ، وتقلبات المعدة .

وعادة ما يرتبط التعبير عن القلق بآلام الصدر ، وضيق التنفس ، مما يجعل الشخص يشك في الأمراض القلبية على الرغم من سلامة القلب . إلا أن هناك ما يبين أن الأشخاص الذين يتسم سلوكهم بالقلق المستمر والشكوى عادة ما يتعرضون فيها بعد لأمراض قلبية حقيقية ، وترتفع لديهم أيضا الحالات المرضية المرتبطة بارتفاع ضغط الدم .

من الناحية الوجدانية يكون الانفعال الغالب هو الخوف والتوجس ، وليس معروفا ما إذا كان الخوف هو الذي يؤدي إلى التغيرات العضوية التي تحدثنا عنها ، أو أنه نتيجة لها . ومن رأينا أن الخوف يدفع لإثارة التغيرات العضوية التي ما أن تحدث حتى يتزايد الخوف نتيجة لاضطراب هذه الوظائف والعجز عن التحكم فيها وضبطها ضبطا ناجحا . □

أسرع بخطبتها ، واتفق معها على أن يتم الزواج خلال زيارته القادمة . ولكنه تلقى منها قبل عودته التي كان يترقبها لإنهاء مراسم الزواج ، رسالة تغيد برغبتها في إنهاء الخطبة . لقد أوضح أنه تسلم الرسالة في عمله وما أن عرف محتواها حتى أصبح كالتائه . وعندما أوى إلى مخدعه كان من الصعب عليه أن يسترخي أو ينام ، وقام في منتصف الليل وهو يعاني من دوار شديد ورغبة في القيء ، وأخذ العرق البارد يتصبب منه . كان قلبه يدق في عصف ، ووجد صعوبة في التنفس العميق . وأخذ جزؤه يتزايد متحولا إلى ارتعاشات في الجسم والأطراف . وتذكر أنه فكر : هأنذا وحيد وضائع . وتذكر أيضا مشاعره هذه الليلة ، كانت خليطا من الغضب والحزن ، والشعور بالامتهان ، والخوف من مواجهة الأهل والأصحاب . وأضاف وهو يسرد لنا أعراضه ومخاوفه . لقد فكرت في اليوم التالي أن أذهب إلى المستشفى ، لكنني كنت أعلم أنني تحت رحمة نوبة من القلق الشديد الحاد . وهأنذا هنا وبعد أن مضى على هذا الحادث أكثر من ستة شهور وعلى الرغم من أنني أعرف أن تصرفي أحمق ، ولكنه أمر ليس في استطاعتي أن أتجنبه .

ذكرنا هذه الحالة لأن الأعراض فيها تعد نموذجا فريدا للتغيرات التي تصيب الناس في حالات القلق والذعر . وهي تغيرات تمس الأركان الرئيسية الثلاثة لشخصية الإنسان ، أي الجانب العضوي العضلي ، وجانب الوجدان أو الشعور ، ثم جانب التفكير .

فمن الناحية العضوية العضلية تحدث في حالات القلق تغيرات غير سارة ، يرى العلماء أنها نتيجة للاستشارة الشديدة التي تحدث فيها يسمى بالجهاز العصبي السمبثاوي (الاستثاري) . وهو أحد الأجهزة الرئيسية التي تنشط في مواقف الخطر والانفعال ، ويؤدي نشاطه إلى التأثير في الأعضاء المتصلة به ، فتجسط العيون أو تضيق ، وتقرق الأيدي أو تبرد أطرافها ، وتزيد دقات القلب وتسارع ،



سند في العربية

قصصية

بين الفكر والثقافة

بقلم : د. مصطفى النشار*

كثيراً ما نخلط بين مفهوم « الفكر » ومفهوم « الثقافة » ، ونستخدمهما كمترادفين ، فلا نميز بين الفكر والثقافة ، وبين « المفكر » و « المثقف » ، فكل مثقف ندعوه مفكراً ، وكل مفكر مثقفاً . فإن جازت الثانية فهل تجوز الأولى ؟

عل موضوع معين ، وغلب عليها في التعريف السابق الصيغة الأخلاقية .

دائرة المعارف الحديثة

أما « الفكر » فقد اكتفت الموسوعة بإيراد بعض مشتقات اللفظ ومترادفاته ، كالتملص والتفكير والتفكر ، ثم قالت : « إن التفكير من أبحاث علم النفس ، وهو عملية عقلية نزوعية ، تهدف إلى كشف حقيقة كل مشكلة من المشاكل التي تعترض الإنسان ، لهذا كان التفكير من الصفات التي ينفرد بها الإنسان ، إذ أن التفكير يحتاج إلى استجماع لتجارب الإنسان الماضية ، وإدراك العلاقات بينها في ضوء حقيقة ماثلة أمام الفرد ، فكل عملية تفكير هي في الحقيقة استخلاص حقيقة جديدة من ثابا حقيقة قديمة ،

لا تقدم الموسوعات والمعاجم تمييزاً واضحاً بين اصطلاحي الفكر والثقافة ، فقد عرّفت « دائرة المعارف الحديثة » الثقافة بأنها « لفظ شاع استخدامه حديثاً ، ويقصد به مجموع صفات كالصرفة والبصيرة والذوق السليم ، وعرّفت الرجل المثقف بأنه ذلك الذي « يجمع بين تلك الصفات أو يقترب منها » . وقد اعتمدت في ذلك التعريف على الاشتقاق اللغوي للكلمة ، حيث أن « الثقافة » في اللغة بمعنى التأديب والذكاء . فنقول ثقفت الحديث أي فهمته بسرعة .

وإذا نظرنا إلى ذلك التعريف فسنجد أنه ليس تعريفاً ، فهو لا يكشف عن ماهية معينة أو مدلول ثابت لما نطلق عليه اسم « ثقافة » ، بل هو نظر إلى الثقافة من حيث أنها صفة ، أو صفات ، تحمل

* كلية الآداب جامعة العين - الإمارات العربية المتحدة

طرق ومناجح عملية فكرية وروحية ، ولكل جبل ثقافته التي استمدتها من الماضي وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر ، وهي عنوان المجتمعات البشرية ، ويفرق بينها وبين الحضارة على أساس أن الأولى ذات طابع فردي وتنصب بخاصة على الجوانب الروحية ، في حين أن الحضارة ذات طابع اجتماعي ومادي .

وهنا نلاحظ أنه ربما كان القول بأن الثقافة هي كل ما فيه استنارة للذهن يشير بالفعل إلى ماهية صورية للثقافة - تشير إليها لفظة « ما » التي لم يجدد المعارف محتوى لها ، من حيث أن الثقافة تعنى كما قال « دلتاي » اتساع المعرفة والوعي . ولكن استطراد المعارف أفسد التعريف ، حيث تطرق مقديما إلى استطرادات زائدة عن الحاجة من جهة ، كما ميز في هذه الاستطرادات تمييزا غير موفق بين الثقافة والحضارة حينما قال بأن الأولى ذات طابع فردي والثانية ذات طابع اجتماعي . فهو نفسه قد قال قبل ذلك : إن الثقافة لدى الفرد أو في المجتمع ، فهناك ثقافة الفرد . وثقافة الأفراد هي التي تشكل منها ثقافة المجتمع ككل : فأي ثقافة لا تنفصل فيها ثقافة الفرد عن ثقافة مجتمعه إن كان هناك التوافق المطلوب بين الفرد ومجتمعه .

أما « الفكر » فقد عرف في هذا المعجم بأنه « بوجه عام ، جملة النشاط الذهني ، من تفكير واستنارة وإرادة وجدان وحاطقة ، وهذا هو المعنى الذي قصد (ديكاوت) بقوله : « أنا أفكر إذن أنا موجود » ، وأنه « بوجه خاص ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية . أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق » .

مخلط غير جائز

وواضح أن هذا التعريف يشتمل على دور منطقي ، فقد عرف الشيء بنفسه ، فالفكر هو « التفكير » أو « ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية » ، كما أنه حسب أن الوجدان والإرادة

أو جملة حقائق ، ومثاله محمد أطول من محمود ، وحسين أطول من محمد ، إذن حسين ولا شك أطول من محمود .

فهذا الاستنتاج الأخير هو حقيقة اكتشفها العقل بالتفكير ، وذلك بمقارنة الحقيقتين السابقتين ، وإذا شاهد إنسان البرق وسمع الرعد وقال : إن السماء سوف تمطر ، فإن هذا الاستنتاج وصل إليه من مقارنة هذه المشاهد الحسية بالحقيقة العامة ، وهي أن البرق والرعد مقدمة لسقوط المطر . « فالتفكير في جميع صوره ما هو إلا محاولة العقل لحل مشكلة من المشاكل التي تواجهه » .

وهذا ليس تعريفا للفكر أيضا ، فقد تطرق المرفون إلى تحليل لبعض العمليات الفكرية ، وتركوا الحديث عن « الفكر » وماهيته ، واستدلوا عليه بالنظر في أمثلة من العمليات الفكرية ، كعملية الاستنتاج أو الاستنباط ، فهذه عمليات فكرية ، وليست هي « الفكر » في ذاته . لقد فعلوا ما فعله (أوطيخون) حينما سأله (سقراط) عن ماهية التقوى ، فقال : إنها في التقرب إلى الآلهة بممارسة الطقوس وتقديم القرابين لها . فكان رد (سقراط) أن ذلك مثال سلوكي على ما نسميه التقوى ، لكنه يريد أن يعرف من (أوطيخون) ما الذي يجعل التقوى تقوى ؟ إن هذا هو أساس التعريف .

المعجم الفلسفي

وإذا تركنا هذه الموسوعات العامة ، وانتقلنا إلى المعاجم المتخصصة ، فسنجد الشيء نفسه ، وإن كنا نتقرب هنا من التحديد المطلوب فالمعجم الفلسفي الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد عرف « الثقافة » بأنها « كل ما فيه استنارة للذهن ، وبهيب للذوق ، وتنمية للملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع ، وتشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه ، ولها

يقدمه لهم من أفكار جديدة - إلى آفاق أرحب وأفضل .

وبالطبع فإن كل مفكر مثقف ، ولكن العكس غير صحيح كما قلنا في البداية ، فالمثقف يتلقى نتائج فكر عصره ويفهمه ، وإذا نجح المثقف في أن يزيد وعي معاصريه ، من خلال نقل هذا الفكر إليهم ، يكون قد أدى دوره كاملا ، وليس معنى ذلك أن نلقبه بالمفكر .

بين الثقافة والحضارة

وإذا ما أدركنا ذلك الفرق بين « المفكر » و « المثقف » يمكن أن نتصور علاقة الفكر والثقافة بالحضارة ، إذ أن كثيرا من الناس يتصورون خطأ أن الثقافة هي التي تصنع الحضارة ، أو هي علامة عليها ، وأن المثقفين هم روادها ومبدعوها ، ويقسبون تخضر المجتمع بما فيه من مثقفين !!

إن الحضارة بمظاهرها المتعددة ، من فلسفة وفنون وآداب وعلوم ، يبدعها الفلاسفة والفنانون والأدباء والعلماء . وفي كلمة واحدة يبدعها الأفراد في كل ميدان من تلك الميادين . ولا شك في أن ظهور الفكر الجديد والمنهج الجديد هو نقطة البدء لأي حضارة ناشئة أيما كانت . وانظر في حضارات العالم كافة قديمها وحديثها ، فستجد أنها قامت أول ما قامت على فكر جديد ومنهج جديد ، قدمه مفكروها ، وكان أن ساد هذا الفكر وذلك المنهج ، فأصبح هاديا للعلماء والأدباء والفنانين ، ثم صار حياة يحياها المثقفون أولا ، فالرجل العادي ثانيا .

ولكني تتمثل ما سبق يجب أن يقر في أذهاننا الفرق بين « الحضارة » و « المدنية » ، والفرق بينهما يكمن في أن الحضارة هي في ازدهار تلك المظاهر التي عدناها من قبل دون التساؤل عن منفعتها وما تحققة لنا من إشباع مادي . أما المدنية فهي ليست تلك المظاهر الحضارية في ذاتها ، بل هي تبدأ وتبوء حينها تتسارع عن تلك المنفعة

والعاطفة من الفكر ، وكم من فروق بينها وبين الفكر مما يعلمه التخصصون جيدا . كما أن المعروف قد استبدل على معنى « الفكر » بمبارات شعورية أطلقها أحد المفكرين . وكل ذلك خلط لا يجوز .

وعلى أي حال فنحن لم نذكر هذه التعريفات لمجرد تقديمها ، بل ذكرناها لتوضح أننا كثيرا ما نستخدم الكثير من الألفاظ بمعنى واحد ، على الرغم من اختلاف مدلولاتها فعلا ، وكثيرا ما تختلط أماننا المفاهيم ، لعدم دقتنا في استخدام الألفاظ ، بحيث يترتب على ذلك أن نستخلص نتائج خاطئة نتيجة لذلك اللبس في معاني الألفاظ المستخدمة .

جوهر الثقافة

وربما يكون من المناسب بعد ذلك أن نطرح ما نراه عيذا بين « الثقافة » و « الفكر » ، فإن الثقافة هي جميع المعتقدات والأفكار التي يتوصل إليها الفرد نتيجة اطلاعاته المختلفة حول طبائع الأمور ، سواء كانت طبيعية أو سياسية أو أخلاقية أو دينية . إذ أن الثقافة - في اعتقادي - تابعة للفكر ، وليس العكس كما يتصور البعض ، هي تابعة له منطقيا ، حيث أن الثقافة التي تتشكل لدى الأفراد والجماعات في أي عصر من العصور يصنعها مفكرو هذا العصر أو ذاك ، وينقلها هؤلاء الأفراد ، فيشكل بناء عليها وعيهم ، وتتسع مداركهم ، وتنمو أفكارهم وتتجدد ، ومن ثم يلقبون بالمثقفين .

وإذا أردنا في ضوء ذلك أن نحدد معنى « الفكر » فهو كما في تعريف « المعجم الفلسفي » أسمى صور العمل الذهني ، حيث يرتبط الفكر بالإبداع ، فالمفكر هو المبدع الذي يستطيع بتأملاته الخروج عن دائرة التألف ، ويرى ، من أبعاد أي موقف (ما لا يراه) بقية الناس ، ومن ثم فهو يتحمل تبعه امهاض معاصريه وإيقاظ وعيهم باستمرار ، والاتجاه بهم - عن طريق ما

النفعي وهو ليس مسئولية المفكرين والمبدعين ، بل هو مسئولية رجال التخطيط والتنفيذ . ففرق كبير إذن بين أن يكون لدينا « فكر » و « حضارة » ، وبين أن يكون لدينا « ثقافة » و « مدنية » ، فالأولى علامتها الإبداع ، والثانية علامتها الاتباع .

وقد يكون الأمر هنا ويمكن تداركه إذا ما كنا نتبع في ثقافتنا فكرا ، وفي مدنيّتنا حضارتنا . ولكن الواقع يقول إننا نتبع في ثقافتنا فكر غيرنا وثقافته ، وفي مدنيّتنا حضارة غيرنا ومدنيّته . □

المادية التي نجنيها من تلك المظاهر ، فكان لمظاهر الحضارة كافة ، جانبها الحضاري ، وجانبها المدني التقني النفعي .

وكثيرا ما نبه الفلاسفة - ومنهم شبنجلر - إلى أن الحضارة إذا ما وصلت المدى النهائي في إبداعاتها ، وتحولت إلى مدنيّة كان في هذا بداية انحلالها فكان « المدنيّة » تمثل مرحلة انحلال « الحضارة » وانهارها ، وما ذلك إلا لأن التركيز في تلك المرحلة المدنية يكون على الجانب المادي



سنة العرب

تحقيب

طه حسين في ميزان النقد العلمي

بقلم : د. محمد الدسوقي

جاء عن الاستشراق ، وموقف العميد من الأحزاب ، ونقصه للمنطوطي ، والحبكة القصصية في أدبه .

وقد ورد كلام الدكتور أحمد عن الاستشراق في مستهل حديثه عن إسلاميات طه حسين ، فذكر أن منهجه فيها يعد أسلوبا تمهيديا في البيئة العربية ، تلك البيئة التي سادها الركود والتقليد والغيبيات ، وفي هذا إفراط في مدح العميد ، يحذر الدكتور علي منه ، كما أن فيه حكما قاسيا على البيئة العربية ، وهو حكم تأباه الموضوعية والأمانة العلمية ، ثم ربط بين منهج العميد في

كتب الدكتور أحمد علي في عدد ديسمبر ١٩٨٨ من « المري » مقالا بعنوان « طه حسين في ميزان النقد العلمي » ، تحدث فيه عن أربع قضايا ، تتناول أهم الجوانب الفكرية في حياة العميد الراحل ، وهذه القضايا هي : إسلاميات طه حسين ، ومصادر الفكر التاريخي لديه ، وموقفه من الأحزاب ، ودوره في كتابة القصة والرواية المعاصرة .

وهذا المقال حل إجمازه الدقيق ، وما اشتمل عليه من لمحات نقدية طيبة ، يثير بعض القضايا التي تحتاج إلى مناقشة أو تحقيب ، ومن أهمها ما

حسون ص ٥٣) . ويكفي في هذا الإحالة على ما كتبه الدكتور طيب تيزيني بعنوان « من الاستشراق الغربي إلى الاستشراق الشرقي » الذي نشر بعدد يناير ١٩٨٨ من « العربي » ، فيه تأكيد على أن الفكر الاستشراقي تلي صحته الإجمالية العامة تمير عن مصالح الاستعمار الرأسمالي الغربي تجاه بلدان الشرق ، وأنه من هذا المنطلق حاول أن ينفي عن الحضارة الإسلامية أصالتها وعقائنها ، وأوماً الدكتور طيب إلى أن بين العرب مفكرين يسرون في ركاب ذلك الفكر على نحو من الاتهام .

ويعمل الدكتور أحمد انتاه العميد إلى حزب الوفد ، وتركه حزب الأحرار بالظروف السياسية والاجتماعية التي اكتوت فيها مصر بالاستبداد والجهل ، فضلاً عن التطور الفكري للعميد .

والحقيقة التاريخية أن تحول العميد إلى حزب الوفد لا يرجع إلى أنه رأى في هذا الحزب تحرراً وسعياً لتحقيق العدالة ، وإنما كان ذلك لأن العميد - كما أخبرني - تعرض في عهد صدقي سنة ١٩٣٢ م لازمة اقتصادية شديدة ، بسبب موقفه من الحكومة ، وعدم الاستجابة لها في منح بعض

الساسة درجة الدكتوراة الفخرية ، ومن ثم أحاله صدقي على المعاش دون أن يكون له معاش ، ولم تكن كتاباته السياسية تدر عليه شيئاً ، فقد كان يكتب مجانا . ويقول العميد : في هذه الظروف جامعي مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، وعرضاً علي رئاسة تحرير جريدة « كوكب الشرق » ، وهي جريدة وفدية ، وكان راتبها منها مائة جنيه ، ومع هذا لم أوافق إلا بعد أن عرضت الأمر على الأحرار ، ونظراً لأن الأحرار والوفديين كانوا متآلفين ضد صدقي وافقوا على أن أتولى رئاسة تحرير تلك الجريدة .

واستطرد العميد : وكان عملي في « كوكب الشرق » بداية العلاقة بيني وبين مصطفى النحاس ، وازدادت هذه العلاقة وثيقة بمرور الأيام . وكنت أزوره كثيراً في منزله ، وكان

كتاباته الإسلامية وما قام به الاستشراق من جهد فائق في دراسة حضارتنا ، فغشاً إلى أن المستشرقين سبقونا إلى دراسة هذه الحضارة على مدى المنهج والتحقيق والموضوعية والمحبة أيضاً ، ولكنه يستدرك قائلاً :

« ولا عبرة ببعض الضالين المخرضين ، فهؤلاء نعر عليهم في صفوف المستشرقين كما نجهدهم بين ظهرانيها » .

فالمستشرقون ، كما يرى الدكتور علي ، درسوا حضارتنا دراسة علمية موضوعية ، وأهل الأهواء منهم قلة ، وأصبحوا معروفين ، وهذا الرأي لا يأخذ به إلا للمستشرقون ، ومن تتلمذوا عليهم ، وأمنوا بأرائهم ، ولا مجال لتشقيق القول في هذا الموضوع الذي تحدثت فيه الدراسات المعاصرة التي أكدت في مجموعها أن الاستشراق لم يدرس حضارتنا على مدى المنهج والتحقيق والموضوعية والمحبة ، وإنما على مدى المصالح الاستعمارية والهيمنة الفكرية ، وكان العميد على الرغم من إعجابه بالمستشرقين يرى أن الاستعمار اعتمد عليهم في تحقيق أغراضه بطريقة علمية ، وأن هذه حقيقة لا شك فيها (انظر أبهام مع طه



● طه حسين

استحي بما كتبه ضد المنفلوطي ، لأن ما كتبه لم يكن أنقذاً بالمعنى الصحيح ، وإنما كان بحثاً في صحة المفردات التي كان يستعملها المنفلوطي من الناحية اللغوية ، وكنت أنشر هذا تحت عنوان « نظرات في النظرات » .

وأما الحكمة القصصية في أدب العميد فهي في نظر الدكتور علي تنقصها الدقة الفنية ، وأرجع هذا إلى أن أدب القصة في الربع الأول من القرن العشرين كان يخطو خطواته الأولى ، وأرجعه أيضاً إلى أسلوب العميد في الكتابة ، فهذا الأسلوب حال دون التعبير الذي يحلل الأحداث ويربط بينها في مهارة وإبداع فني .

والذي أود قوله في هذا أن كل ما كتبه العميد من قصص حقيقة ليس فيه خيال ، اللهم إلا بعض الأحداث القليلة ، كما أخبرني بذلك ، ففعل هذا كان من عوامل ضعف الحكمة القصصية لدى العميد ، وإن كنت لا أوافق الدكتور علي على أن أسلوب العميد كان من أسباب هذا الضعف ، ومع هذا أرى أن الموضوع برتمه لا يقضي فيه إلا ناقد متخصص في أدب القصة .

ويتصل بالقصة في أدب طه حسين الرواية التاريخية لديه ، وما قال الدكتور علي من هذه الرواية قد يصلح على « هامش السيرة » ، دون « الوعد الحق » ، فقد قال لي العميد إنه كان يفترض من الشخصيات والوقائع ما شاء له الخيال أن يفترض ، ولكنه فيها يتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان يلتزم بالحقيقة التاريخية ، ولا يعمل خياله فيها . □

الرجل يستصحبني في بعض الأمور ، وكان يأخذ بما أثير عليه ، كما كان ينزل عند رأيي إذا اختلفنا .

فطه حسين لم يترك حزب الأحرار ويحصل مع الوفد ، لأن هذا الحزب أصبح في نظره أقرب إلى الجماهير من غيره - كما يذهب إلى هذا بعض الباحثين المعاصرين - وإنما كان العمل في « كوكب الشرق » بداية العلاقة بالوفد ، ثم قويت الصلة بين العميد ورئيس الحزب شيئا فشيئا ، حتى أصبح عليا مرموقا من أعلام حزب الوفد ، ووزيرا في آخر وزارة رأسها مصطفى النحاس .

ولم يكن نقد العميد للمنفلوطي طلبا للشهرة ، كما ذكر الدكتور علي في مقالته ، وإنما كان من وراء هذا النقد الشيخ عبدالمعز جابوش ، فقد نشر في يوم الخميس الموافق ٢٤ / ٤ / ١٩٦٩ في يوميات جريدة « الأخبار » مقال عن التراث الخي ، جاء في مستهله أن كاتب المقال سأل العميد عن سبب نقده للمنفلوطي ، فقال له : لأن المنفلوطي كان أدبيا مشهورا ، فأردت من وراء نقده الشهرة ، ولما قرأت هذا للعميد قال في انفعال : هذا الكاتب كذاب ، فأننا لم أقل له شيئا من هذا ، فضلا عن أن نقدي للمنفلوطي لم يكن القصد منه الشهرة بالنسبة لي ، والحقيقة أن الشيخ عبدالمعز جابوش كان يكره المنفلوطي ، وهو الذي حرصني على الكتابة ضده ، فقلت للعميد : هل يعني هذا أن تقدمك للمنفلوطي كان نقدا سياسيا أكثر منه أدبيا ؟ فقال : هو ذاك ، ولكنني

- يبلغ طول حجرة المرأة ثلاثة أرباع طول حجرة الرجل .
- النساء أقل إصابة من الرجال بعمى الألوان .
- يولد (٢١) ذكرا مقابل ولادة (٢٠) أنثى ، ولكن مع تقدم العمر عند الجنسين يبلغ من يصل من النساء سن التسعين أربعة أضعاف من يبلغ ذلك من الرجال .





إعداد : يوسف زعلاي

● تقول إحصاءات أمريكية : إن عدد الذين يتعرضون للنوبات القلبية سنوياً يبلغ (١,٥) مليوناً ونصف مليون نسمة ، وأن عدد الذين يموتون منهم يبلغ (بالتحديد ٤٥٠,٠٠٠ نسمة) ، وهذه أرقام ضخمة ، كما لا يخفى ، وإن كانت قد تقلصت عما كانت عليه قبل بضع سنين ، حين بلغ عدد الموتى من الذين يتعرضون للنوبات القلبية ٧٠٠,٠٠٠ نسمة ، والفضل في تقلص هذا العدد إما يعود للامتناع عن التدخين ، والإلتزام بقواعد الحماية السوية ، والاقبال على ممارسة المشي والرياضة ، فضلاً عن استعمال العقاقير الفعالة .

وكان عقار (اللويد) آخر تلك العقاقير وأحدثها ، وقد قوت استعماله وكالة الغذاء والدواء في ١٨/١/١٩٨٩ ، لقدرته على تكيف الشحوم أو الدهون الموجودة في الجسم ، وقدرته على الحد من احتمالات الإصابة بمرض القلب التاجي ، واحتمالات الموت بسببه .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أمراض القلب التاجية هي من أخطر أمراض القلب جميعها ، فهي أخطر من أمراض القلب الفطرية التي تصيب الأطفال ، والتي قد تكون وراثية ، وأخطر أيضاً من أمراض القلب الروماتيزمية التي تصيب الفتيان والشباب غالباً ، والتي تراجعت وتناقصت كثيراً منذ الأربعينيات عقب انتشار المضادات الحيوية ، وعقب التقدم الباهر الذي أحرزته الجراحة .

أما تسميتها باسم أمراض القلب التاجية ، فنسبة إلى الشرايين التاجية ، فقد تقصر هذه الشرايين بمد عضلة القلب بالأوكسجين ، فتكون الإصابة بمرض القلب التاجي ، أو إن شئت (الذبحة التاجية الصدرية) أو (الحناق) ، أو (قلة التروية) أو (احتباس الدم) .

فهذه أسماء مختلفة لعل واحدة ، أما الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بهذه اللمة ، فغالباً ما تعزى إلى تصلب الشرايين أو ضيقها الذي يترتب عليه غالباً الاستسداد الكامل للشرايين .

وتجدر هنا أصابع الاهتمام مشيرة إلى مادة « الكوليسترول » ، فهذه المادة يصنعها الكبد ، وهي تشبه المواد الدهنية ، وتقوم بنشاط مزدوج ، فهي

بشيرة

جندية

للمستين

مناوون

من أصابع

المشيرة

التاجية

تسهم في بنية الخلايا في الجسم ككل ، وتسهم أيضا في صنع عدد من هرموناته المختلفة . وللكوليسترول نشاط آخر سلبي ، بل هدام ، وغالبا ما يبطئ على نشاطه النافع الذي ذكرنا فهو الذي يعمل على بناء الرواسب الشمعية التي تتراكم داخل الشرايين المتصلبة ، وبخاصة الشرايين التاجية في القلب ، وتؤدي إلى التعرض للنوبات القلبية ، ثم إلى الموت .

والكوليسترول نوعان لا نوع واحد ، نوع حميد وآخر رديء ، والرديء هو العدو القلب اللدود ، يتراكم على جدران الشرايين من الداخل ، فيسبب ضيقها وعرقلة سير الدم فيها . وهكذا تتكون أمراض القلب التاجية ، والجلطات ، ويحدث الموت المفاجيء وغير المفاجيء وغير المفاجيء في كثير من الحالات .

أما الكوليسترول الحميد ، فمن شأنه أن يخفض نسبة الرديء ، ثم يخفض نسبة الكوليسترول الاجمالية في الدم ، وهو يضمن أيضا الحد من نسبة الشحوم في الجسم .

وهنا تتجلى ميزة المقار الجديد (اللويد) الكفيل بزيادة نسبة الكوليسترول الحميد في الدم ، وهو الكفيل أيضا بالحد من الكوليسترول الرديء فيه . ولكن هذه المزايا بالغة الأهمية ، مما لا يسمح بأخذها على علاتها والتسليم بتأثيرها ، لذلك كانت الدراسات الواسعة النطاق التي أجراها العلماء في فنلندا ، والتي شملت نحو (٤٠٠٠) مريض ، واستمرت خمس سنوات ، وقد استهدفت تلك الدراسات المركزة أمراض القلب التاجية فحسب ، وأثر عقار (اللويد) فيها ، هلياً بأن هذه الأمراض أكثر انتشاراً في فنلندا منها في أي بلد آخر من بلدان العالم . وفلت الدراسات وتجاربها الميدانية على أن اللويد يزيد نسبة الكوليسترول الحميد بنسبة ١١٪ ، ويحد من نسبة الكوليسترول الاجمالية في الدم بنسبة ١٠٪ ، أما محتويات الشحوم في الجسم فيحد منها بنسبة (٣٥٪) . وهكذا ثبت للعلماء أن (اللويد) يقلل عدد الذين يموتون بسبب أمراض القلب التاجية بنسبة لا تقل عن ٣٤٪ .

والجدير بالذكر أن هذه الدراسات الفنلندية قد بلغت من العمق والدقة والشمول ما جعلها موضع ثقة في الأوساط الطبية والعلمية جميعها ، حتى وكالة الغذاء والدواء في واشنطن التي أقرت استعمال (اللويد) .

يقي أن نذكر أن (اللويد) ليس هو المقار الوحيد ، الذي يعالج أمراض القلب التاجية التي أقرتها وكالة الغذاء والدواء ، وأن الحمية والامتناع عن تناول الأطعمة الدهنية (لا سيما الحيوانية) ، وتخفيف الوزن ، فضلاً عن التمارين الرياضية ، تعد العلاج الأول الذي ينبغي لمرضى القلب أن يتبعوه بإيديء ذي بدء ، حتى إذا لم يجد هذا العلاج صمداً إلى تناول العقاقير التي أقرتها وكالة الغذاء والدواء ، لا سيما (اللويد) .

الجراح العربي مجدي يعقوب الذي يحتل مكانة بارزة بين مختلف الجراحين في بريطانيا ، ويتمتع بشهرة عالمية في جراحة القلوب وزراعتها ، ينوي إجراء عملية رائدة من عمليات زرع القلوب ، وذلك في أواخر السنة الحالية (١٩٨٩) .

وتتميز العملية المرتقبة في أنها تستهدف زرع قلب اصطناعي ، لكنه قلب مصنوع من لحم وعضلات لا من مواد بلاستيكية أو ما إلى ذلك ، ومن عضلات المريض نفسه الذي تجرى له العملية .

والجدير بالذكر أن العضلة التي يصنع منها القلب تؤخذ من العضلات الهيكلية التي تتكون ملاصقة للعظام ، حيث أنها عضلات قوية للغاية ، بل أقوى بكثير من عضلة القلب الطبيعي .

غير أن عضلة القلب الطبيعي تتميز على كل ما سواها بأنها مقاومة للتعب أو الإرهاق ، وحسبك أنها تمكن القلب السليم من النبض ١٠٠,٠٠٠ مرة في ٢٤ ساعة ، أي ما يعادل ٢٥٠٠ مليون مرة على مدى عمر الإنسان . وحسبك أيضاً أنها كفيلة بضخ ما يقارب ٢٠٠٠ جالون من الدم في اليوم الواحد .

ولا ريب في أن العضلات الهيكلية أو العظمية لا تستطيع أداء هذه المهمة ، ولو قامت بها لأصبحت بالتقلصات الحادة وتوقفت عن العمل ، لكن الجراح مجدي يعقوب لم يزمز على إجراء العملية المنتظرة لولا يقينه من نجاح العلماء الانكليز في معالجة هذه العضلات العظيمة ، لتصبح مقاومة للتعب كعضلة القلب .

□□□

● كثرت استعمالات هذه الأشعة طيباً ، وتنوعت في المدة الأخيرة ، وكان آخرها محو البقع والتشوهات الخلقية أو أزالتها . تلك التشوهات التي تظهر على وجوه بعض المواليد أو على أجسامهم وهم في الأرحام قبل الولادة . وقد أصبح في الإمكان معالجة هذه البقع في الأطفال ، بحيث ينمو هؤلاء دون مضاعفات قد تسببها لهم تلك التشوهات . يقول الدكتور (أوون تيان تان) ، أحد رؤاد الاستعمال الجديدي لأشعة الليزر ، وهو بروفييسور في كلية الطب في جامعة بوسطن : حققت أشعة الليزر نجاحاً متقطع النظر ، إذ يستعمل على الإنسان اكتشاف مكان البقعة بعد محوها ، فالجلد يعود كما كان أصله في ذلك المكان ، وفي أي مكان آخر قريب منه أو بعيد عنه .

وتشمل تلك التشوهات البقع والرحمات واللطعات الحمراء الحمرة اللون التي كثيراً ما تغطي كل الوجه أو جزءاً منه .

قلوب

اصطناعية

ولصقتها

عضلية

لا بلاستيكية

ت

ت

ت

ت

سَلَامَةُ الْبَشَرَةِ فِي سَلَامَةِ الْبَيْتَةِ



أبرمت اتفاقية مونتريال بين (٣٠) دولة سنة ١٩٨٧ ، بقصد إنقاذ طبقة الأوزون بحظر صنع الفلوروكربونات ، واستعمالها بنسبة ٥٠% ، وذلك قبل حلول القرن الحادي والعشرين ، ذلك أن المستحضرات الكيميائية المذكورة هي السبب المباشر لتلف طبقة الأوزون الواقية ، وللتعب الذي اكتشفوه في تلك الطبقة في أجواء القارة القطبية الجنوبية . وقد ثبت لجمهور العلماء وجود تلك العلاقة السببية عندما قاموا بدراساتهم الميدانية ، سواء في أعالي الجبل ، حيث يوجد الأوزون ، أم على سطح اليابسة . وقد توجهت الشركات الأمريكية التي تصنع الفلوروكربونات إلى البحث عن بدائل لهذه المستحضرات ، تؤدي مهمتها دون أن تلحق الأذى بالأوزون ، وقد نالت النجاح بعض تلك الشركات في ذلك الاتجاه .

والظاهر أن التلف الذي لحق بطبقة الأوزون كان أعظم مما تصور الناس ، فمع أن الثقب الذي ظهر في تلك الطبقة في أجواء القطب الجنوبي كان ثقباً موسمياً ، يظهر حيناً ويختفي حيناً آخر ، إلا أنه كان يزداد سوءاً ، فقد ثبت للعلماء أنه ثقب أكثر تفاقماً في كل مرة يظهر فيها عما كان عليه في المرة السابقة . والأهم من ذلك ما ثبت لعلماء البيئة الانكليز وغيرهم من أن طبقة الأوزون فوق القطب الشمالي أيضاً آخذة بالتلف ، وأن ثقباً شبيهاً بثقب أوزون القطب الجنوبي سيظهر في طبقة الأوزون الشمالية في فصل الربيع القادم . ولما كانت الشعوب الأوربية هي أول من يتضرر تبعاً لتلف طبقة الأوزون الشمالية جاءت المبادرات الأوربية التي ظهرت في شهر مارس الماضي (١٩٨٩) ، والتي اقتضت أثر اتفاقية مونتريال ، إن لم نقل ناستها ، ونحطت الحدود التي وقفت عندها .

وكانت أولى تلك المبادرات الاجتماع الذي عقده وزراء البيئة لدول السوق الأوربية المشتركة ، في بروكسل في مطلع شهر مارس الماضي ، وقرروا فيه الحد من صنع مستحضرات الفلوروكربون بنسبة ٨٥% ، وذلك في أسرع وقت ممكن ، حل أن يستكملوا حظر صنعها نهائياً قبل نهاية القرن العشرين . ثم كانت للمبادرة الثانية مؤتمر لندن الموسع ، وقد عقد للغرض نفسه ، وفي الوقت نفسه تقريباً ، وفاجأ العالم بما لم يكن في الحسبان ، ذلك أن رئيسة الوزراء البريطانية التزمت فيه بسياسة خضراء ، تهدف إلى وقاية طبقة الأوزون ، وحماية البيئة على نطاق واسع . وقد احتضنت السيدة تاتشر هذه السياسة الجديدة بنفسه فائق يذكرنا بمواقفها البيئية القديمة التي طالما خلب عليها البرود ، واشتهرت باللامبالاة .

وهكذا بدت أوروبا متقدمة حل أمريكا في حلبة حماية البيئة ووقاية طبقة الأوزون ، ولكن تقدمها هذا ما لبث أن تعرض لنكسة برد فعل سريع مفاجيء ، صدر عن واشنطن ، وبخاصة عن الرئيس جورج بوش ، فقد أعلن البيت الأبيض قرار أمريكا القاضي بوقف صنع الفلوروكربونات نهائيا قبل سنة ٢٠٠٠ . وصرح أحد أعضاء الكونجرس عن الماضي في سن قانون يقضي بالتخلص من كل الفلوروكربونات في غضون خمس سنوات .

ألا ترى - عزيزي القارئ - أن الولاء للبيئة إنما هو ولاء للبشرية ككل ، وأنه يرتفع فوق كل ولاء آخر ، سواء كان للقومية أو للاشتراكية أو غير ذلك . ولعل ذلك يصبح خطوة رائدة لظهور حكومة عالمية شاملة ، قد تتخطى النزعات ، وقد تضع حداً للحروب من أجل الصالح الإنساني العام ، بدءا بوقاية الأوزون وحماية البيئة من شتى المخاطر التي تهددها .



● القمعية نبات أو عشب ذو زهر ناقوسي الشكل ، وقد يكون أرجواني اللون ، انتشر استعماله لأغراض طبية عديدة ، منذ أكثر من (١٠٠٠) عام . وقد استعمله الانكليز في معالجة السعال وتورم الغدد ، وانتشر استعماله أيضاً لمعالجة الصرع . ويقال : إن الفنان الهولندي فان جوخ استعمل القمعية عند اصابته بالصرع ، وأن تعلقه باللون الأصفر في لوحاته جاء نتيجة استعماله القمعية التي تسبب الاصفرار في الرؤية . وقد غلب استعمال القمعية في معالجة أمراض القلب عل سائر استعمالاتها الأخرى ، وذلك منذ سنة ١٧٨٥ ، حين ظهر كتاب الدكتور ولیم وفرنغ الذي كشف عن مزايا هذه العشبة في معالجة أمراض القلب ، وهي مزايا فريدة . وقد أجريت دراسات جديدة في الولايات المتحدة ، أكدت فاعلية القمعية وفوائدها الطبية الفذة ، وبخاصة فيما يتصل بالقلب .



● انتشر إدمان المخدرات في الولايات المتحدة ، وانتشر معه التسمم بسبب الجرعات المضاعفة التي قد يقدم علي تناولها المدمنون . وقد بلغ عدد الذين ماتوا بسبب التسمم (٢٤٩٢ شخصاً) ، أي ما يعادل ٥٨٪ من مجموع وفيات التسمم إجمالاً . هذا ما تؤكده إحصاءات سنة ١٩٨٠ ، أما إحصاءات سنة ١٩٨٦ فقد تضاعف فيها هذا الرقم ، حتى بلغ ٤١٨٧ شخصاً ، وتضاعفت فيها النسبة حتى بلغت ٧٣٪ .

القمعية

عقار

القلب

المشالي

الدم

يسبب

لموت

مطاييف العراق

الطبيعة والتاريخ !



استطلاع : سليمان الشيخ
تصوير : فهد الكوحي



في فصل الصيف ، وتحت لفحات القيق ، يلمس الجميع في
الأشجار وشواطئ البحار ، من أجل نسيات تلتف الجو وتحد من الحر .
ومن هنا كانت انطلاق «بئة العربي» الى مصايف العراق التي تجمع
بين جمال الطبيعة ، وعراقة التاريخ ، لتنتقل للقارئ صورا من هذا الجمل
الذي لانتبه له كثيرا في أحد اقطار وطننا العربي .

(الكثير) حقه من التعريف ، فلنختار بعض
 الأمثلة ، نجس فيها تنوع ما هو موجود .
 - قال : هو كذلك ، فلنختاروا ما تشامون .
بابل تتجدد

فتوجهنا توأ إلى بابل التي يعني اسمها «باب
 الإله» باللغة الأكديّة . وبابل الآن اسم
 لمحافظة ، كانت تُعرف بمحافظة الحلة من
 قبل ، وهي ما زالت مركزاً للمحافظة حتى
 الآن ، وتقع بالقرب من بابل الأثرية .
 ومدينة بابل كانت من أهم مدن العالم في
 زمانها ، وقد شهدت أحداثاً كثيرة منذ إنشائها
 في الألف الخامس قبل الميلاد ، فتألفت وسادت
 أحياناً ، وأُهملت وخُبا بريق مجدها في أحيان
 أخرى .

نالت شهرة واسعة زمن المشرع الملك
 حورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) ، وأعيدت لها
 الشهرة والمجد زمن الملك نبوخذ نصر (٦٠٥ -
 ٥٦٢ ق.م) الذي كان أبرز ملوك العصر البابلي
 الثاني ، والذي ينسب إليه كثير من مبانيها المهمة
 التي تم ترميمها ابتداء من سنة ١٩٧٨م حتى
 الآن . تبعد عن بغداد حوالي ٩٠ كيلومتراً ،
 تلوح بجانب الطريق بساتين نخيل وحضبات ،
 فيذكر مراقبنا أن مشروع المسيب الزراعي الذي
 أقيم بين نهري دجلة والفرات لا يبعد كثيراً عن
 الطريق ، وهو غني بزرعة الحمضيات
 والنخيل ، ويزرع في المنطقة أيضاً الحنطة
 والشعير والخضروات .

«المصايف هي الأماكن التي يرتادها
 الناس في فصل الصيف» .

هكذا أجاب مرافق بئة مجلة «العربي» عندما
 سألتها عما يعنونه بكلمة المصايف في القطر
 العراقي .

• عندما سأله : وهل يشمل ذلك كل
 الأماكن بغض النظر عما إذا كانت في منطقة
 جبلية أو سهلية أو صحراوية ، أو قائمة على
 بحر أو نهر ؟

- أجاب : حسب ما أعرف فإن أماكن
 الاصطياف لا تنحصر في أماكن مرتفعة أو
 منخفضة ، إنها كثيرة ومتعددة ومتنوعة ، فقد
 تجمع بين جمال الطبيعة والأثر التاريخي .

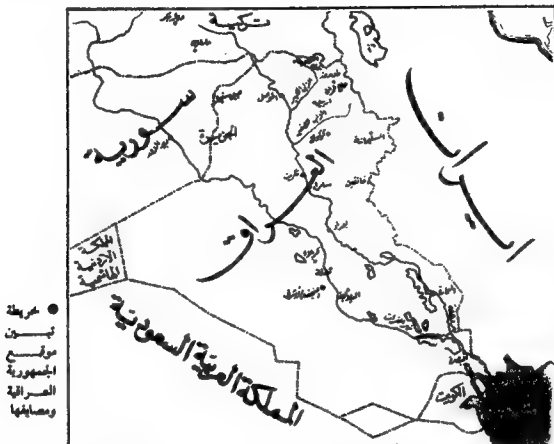
• تمسكنا بالتعبير الأخير ، وسألنا : وهل
 تتوفر هذه الأماكن بكثرة في القطر العراقي ؟

- أجاب وضحكة الارتياح تحت عياله : أن
 توجهت في هذا القطر الفسيح - مساحته
 ٤٣٨،٤٤٦ كم - فستجد فيه أثراً تاريخياً ،
 وستجد مناظر طبيعية جميلة أيضاً ، تجمع بين
 روعة الجبال وبيائها وشموخها ، وتنجس
 الصحراء وانسيابها ، وتدفق الأنهار وعطائها
 المستديم خصباً واخضراراً وجماء ، ثم لا تنس
 البحر ، ففيه جمال ووقّة على الرضخ من فوران
 زبله أحياناً .

• علقت : إذن هناك تنوع في أماكن
 الاصطياف والسياحة .

- أجاب : تنوع غني وكثير .

• علقت : لا نستطيع أن نعطي كل هذا



حيث توجد نقوش بارزة لحيوانات خرافية . وذكرت السيدة شقيقة أن جداريات أخرى مزججة لامعة جميلة كانت بالجدران ، استولى عليها الألمان الذين كانوا يقيمون في الموقع ابتداء من سنة ١٨٩٩ حتى سنة ١٩١٧ بقيادة العالم غولدي ، وقد نقلوا أجزاء من بوابة عشتار أيضاً ، وهذه الآثار معروضة في متحف برجمون في ألمانيا الديمقراطية . ثم وصلنا نجوانا في الموقع ، فشاهدنا على يميننا معبداً تحت صيانه ، كان مخصصاً للإلهة (نن - مانخ) ، أي السيدة العظيمة ، ثم شاهدنا عموداً أسطوانياً على يسار طريق الموكب ، ثم وصلنا إلى ما أطلق عليه الأثريون اسم القصر الشامي ، شاهدنا بعض أجزائه ، حيث يروض في ساحة أهم أثر في بابل ، ويعد هذا الأثر رمز عظمتها ، ويمثل في أسد منحوت من البازلت الأسود ، يروض على

تبلغ مساحة بقايا مدينة بابل ٤١ كيلومتراً مربعاً ، ومن معالمها اللافة للنظر التي تم ترميمها نموذج لبوابة عشتار ذات اللون الأزرق ، وهي بنصف حجم البوابة الأصلية ، كما ذكرت لنا السيدة شقيقة محمد جعفر ، أمانة متحف نبوخذ نصر .

وقد رأينا في المتحف حوالي ٥٠٠ لوحة ، تمثل تصورات الفنانين من مختلف أنحاء العالم لكيفية بناء برج بابل (زقورة) الذي كان يستعمل للأغراض الدينية والفلكية ، ويبلغ ارتفاعه ٩١ متراً ونصف متر ، ويتكون من سبع طبقات ، وفي أحل البرج معبد صغير للإله مردوخ . وقد راقتنا السيدة شقيقة للاطلاع على ما تم ترميمه من بقايا المدينة ، كشوارع الموكب ، والقصر الجنوبي للملك نبوخذ نصر . ثم نصل إلى الأجزاء السفلى لبوابة عشتار ،



(١) صورة لحي من أحياء مدينة
أرييل
(٢) بيوت مدينة الحايطة السياحية
بين الأشجار وعلى حافة
البحر
(٣) موسم سباحة ومسبح من
خشب شجر الاسفندار من
الصناعات التراثية في محافظة
دهوك



دينار عراقي ، أي ما يعادل حوالي ١٥٠ مليون دولار أمريكي .

• وكما يرتفع هذا البرج الذي يكشف لنا جميع وحدات الجزيرة ، وأجزاء كثيرة من مدينة بغداد ؟

- علوه حوالي ٦٠ متراً ، نصف كرتة السفلي فيه المياه ، والنصف الآخر مفتوح للمجمهور للاطلاع على معالم الجزيرة .

• أرى شاباً وشابات يتراشقون بالمياه قرب إحدى النوافير ؟

- في الجزيرة عشرات النوافير الصغيرة والكبيرة ، وبما أن السنة الدراسية في نهايتها - كانت الزيارة في الأسبوع الأخير من شهر أيار « مايو » - فإن الجزيرة مليئة بالطلبة الذين يستمدون لامتعاتهم ، وبينهم طبعاً من يرحل أو يستروح .

• ما الطاقة الاستيعابية للجزيرة من الناس ؟

- يمكن أن تستوعب الجزيرة حوالي ٢٠ ألف زائر يومياً ، ويصل عددهم في الأعياد إلى ثلاثين ألف زائر في اليوم .

هذا وقد أشار السيد سعد إلى بعض منشآت الجزيرة ، كالقسم الخاص بالألعاب الأطفال ، والمسرح الصيفي الذي تشبه مظلة الشارع الذي أطلق عليه اسم فنان المسرح الراحل حتي الشبلي ، ويستقبل هذا المسرح نشاطات مسرحية ، وعروضاً فنية أخرى ، وفي الجزيرة عشرات المطاعم الصغيرة والكبيرة ، منها مطعم خاص بالسلك « المسكوف » المشهور في بغداد .

وفيها قاعة للمؤتمرات ، وقاعة للأفراح ، ونادٍ لرياضة (البولينغ) ، وعدة مراكز رياضية ، وعدة أحواض للسباحة ، ومرسى للزوارق في القسم الجنوبي من البحيرة ، ودار للسنيما ، وفندق صغير ، وموقف كبير للسيارات .

نخطط من البرج فتستقبل رائحة الزهور أنوفنا ، وأرى عدة أنواع من الأشجار المثمرة

شكل إنسان ، ويبلغ طول الأسد حوالي متر ونصف متر ، كما أنه قد تم اكتشاف معبد لعشتار ، إلهة الحب والجمال ، ومعبد آخر يعد من أكبر معابد تلك الفترة ، وهو معبد نابو شخاري ، إله الحكمة .

جزيرة بغداد

لا يمكنك أن تدرك أهمية النخيل في حياة بغداد ، ودورها في توفير حزام من الخضرة الباسقة الشاذة ، إلا إذا ارتقيت برج جزيرة بغداد .

فسوف تفاجأ بالمنظر ، وتصبح بدشة : كل هذا النخل ؟ وكل هذا الجمال !

يعلق السيد سعد محمد الزركة ، مدير وحدة جزيرة بغداد السياحية ، ونحن نراقب المنظر من البرج : ليس كل هذا نخيل ، فإن زراعة الحمضيات أيضاً مما تشتهر به منطقة الفحامة التي أقيمت فيها جزيرة بغداد .

• عقلت : لولا النخيل والحمضيات لكان ما يحيط ببغداد صحراء جرداء إذن ، كالصحراء المحاذية لبساتين النخيل حسب ما أرى ؟

- حلق السيد سعد : ما دام الماء موجوداً ، وما دام دجلة دائم الجريان ، فإن اللون الأخضر لم ينقطع عن ترصيع الصحراء بمساحاته .

• ومتى تم إنشاء هذه الجزيرة ؟

- قد لا تصدق أن هذه المدينة التي تصل مساحتها إلى ثلاثة كيلومترات مربعة ، وربما فيها إنشاءات ، قد تم إنجازها في فترة تقل عن ثلاث سنوات ، بدأت سنة ١٩٨١ ، وانتهت سنة ١٩٨٣ . وهي تجدد مركز مدينة بغداد حوالي عشرين كيلومتراً ، وكان نهر دجلة يجري في مكانها نفسه ، فحولناه ، وجعلناه يحيط بالجزيرة من جميع الجهات .

وقد رُبطت الجزيرة بطرق المدينة العامة بثلاثة جسور ، وتحيط بها أشجار النخيل والحمضيات ، وقد كلف إنشاؤها ٣٢ مليون

● مصابف العراق الطليمة والتاريخ

ما زال النخيل يبارك ، وإن كان بأعداد أقل ، مساحة خضراء من الخضراوات تستلقي على جوانب قنوات المياه وجوانبها التي تعلن عن وجودها في قلب الصحراء .

توغل في الطريق أكثر ، فلا تجد نفسك إلا والصحراء تحيط بك من جميع الجهات ، انهدام واسع على يمينك ، يدخل زرقة على لون الصحراء ، فتخال أنه الأفق البعيد للسهل ، تقترب أكثر ، فتظهر بعض المباني العالية ، وتعود إليك ألقة اللون الأخضر حول المباني ، ثم تكشف أن الزرقة ما هي إلا بحيرة كبيرة ، إنها الحبابية ، تبعد عن الموصل حوالي ٢٠ كيلومتراً . أقيمت على أطرافها مدينة سياحية ، فيها حوالي ٥٣٠ داراً ، وفندق فيه حوالي ٣٠٠ غرفة .

يستقبلنا السيد محمد علي العاني ، مدير المدينة السياحية ، ويزودنا ببعض المعلومات عن المدينة :

- تم افتتاحها سنة ١٩٧٩ ، وبلغت تكاليفها ٣٠ مليوناً من الدينار العراقي في ذلك الزمان ، وتبلغ مساحتها حوالي كيلومتر مربع . تحتوي إضافة إلى الدور (الشاليهات) والفندق على عدة مطاعم من مختلف المستويات ، وبها مدينة ألعاب للكبار والصغار ، وتحتوي على عدة مسابح ، وأقيم فيها نادي للزوارق واليخوت على ضفاف البحيرة .

وفيها عدة ملاعب رياضية ، وقاعة اجتماعات كبيرة ، ومسرح مكتشف ، يستوعب ٨٠٠ شخص ، يمكن أن تعرض على «شاشته» الأفلام «السينمائية» ، وكانيزو على البحيرة ، اسمه كانيزو الخيمة - كانت الخيمة موجودة فعلاً سنة ١٩٧٩ ، إلا أنها تمزقت ، بقي المبنى الذي تحول إلى مقصف - وفي المدينة مكتبة ، وعيادة طبية ، وناد ليلي ، وغير ذلك من منشآت .

● سألت السيد محمد : هل صحيح أن بحيرة الحبابية اصطناعية ؟



● السيد خليل اسحاق خضر .

كالنخيل ، والرمان ، والشمش وأشجار الزينة والزهور والحشائش ، موزعة في أماكن عديدة من البحيرة ، ثم أرى عناق الشجر للنحت . أبيات من الشعر القديم والحديث متداخلة مع منحوتات تمهيدية أو واقعية ، رخام المنحوتات أبيض ، والفنانون مبدعون حقاً في تقديم تمازج خلاق بين الملكة الإبداعية الأولى عند العرب ، أممي الشعر ، وبين النحت الذي أصبح طابعاً مميزاً في القطر العراقي .

كي لا تهلل المياه

توجه إلى غرب بغداد ، لا يتركك النخيل ، ولا غرير المياه ، بل يترافقان معك ، ويحكيان لك قصصاً عن الصحراء التي لولا الفرات ودجلة، ربما لم يبت فيها عرق أحضر . توغل في توجهمك ، فيسلمك دجلة إلى الفرات ، ها هي مدينة الفلوجة التي تبعد عن بغداد حوالي ستين كيلومتراً ، تستلقي على ضفاف نهر الفرات ، تودعها أسرارها ، وتأخذ من النهر سر الخصب فيه ، تشرب منه الماء ، وتسقي نخيلها وأشجار فواكهها الباسقة الريانة .

نمة إشارة مكتوب عليها الحبابية ، فتأخذ منعطفاً على يسار الطريق ، ونغضي في طريق معبد بعناية .

● سيد السمك واحد
من أهم تشايفات
السكان وهو يبيع





٢٥

١

(١) شبان وشابات من الأكراد
يسرحون ويصليكون في
الحديقة
(٢) الليلة التي تصمر، إياها
العمادة



- علق : إنها خزان مياه كبير ، فهي أرض منخفضة ، تم تحويل مياه نهر الفرات الزائدة إليها ، وإذا ما زاد منسوب مياهها فإنه يتحول إلى بحيرة الرزازة ،
 • ما معدل زوار المدينة يومياً ؟
 - المعدل اليومي للزوار في فصل الصيف يصل إلى ثمانية آلاف شخص ، وفي الشتاء إلى ثلاثة آلاف شخص .
 • وما نسبة تشييل مرافقها خصوصاً الدور والفندق ؟

- تصل النسبة في الأعياد والمناسبات الرسمية إلى ١٠٠٪ ، وأحياناً تزيد على ذلك .
 نخرج من قاعة الاستقبال ، ونتجول في المدينة ، ونذهب إلى الدور «الشاليهات» ، بعضها ذو غرفة نوم واحدة وتوابعها - حمام ومطبخ وحديقة - وبعضها ذو غرفتين للنوم . أشجار البرتقال والنخيل والسرو والرمان تتداخل وتحيط بالمكان . الساحون والسباحات مملأون شواطئ البحيرة ، وبعضهم يسبح في مائها أو يستريح تحت المظلات . تركب زورقاً ، نجول به على البحيرة ، فيتولى زميلي المصور تصوير المدينة ومعالمها .

ثم نخرج ونوالي نجهولنا في مرافق المدينة ، ونصل إلى كازينو الخيمة العربية ، فنجلس على صخور البحيرة ، وفي مكان فسح مقابل لمشرب الكازينو تماسكت مجموعة من الصيالي والشبان الأكراد ، وطققوا يفتون ويهزجون ويرقصون ويدبكون ، وعندما هدمهم التنب وزان الهدوء حل المكان ، يبرز صوت كركرة الموج وارتطاماته الخفيفة بالصخور ، عندئذ أطلق الخيال عتانه بالملى الأزرق ، ولم يصح إلا على أصوات الزملاء وهم يتأدون بعد أن سالت المتعة المكان .

محاسن مرأى في العالم

لكي نصل إلى (المراى) علينا أن نسير جنوب شرق بغداد مسافة تصل إلى حوالي أربعين

كيلومتراً ، ودجلة يرافقتنا ، والنخيل والحمضيات وأشجار شجرة أخرى تلوح وتلمع بأسفة خضراء .

نصل إلى بلدة المدائن ، فتوجه إلى حيث يرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي ، ونقرأ الفاتحة على روحه ، وعلى بُعد أمتار قليلة نشاهد (طلق) إيوان كسرى ، فللمدائن كانت عاصمة له في زمن مضي . (والطلق) كان جزءاً من قصر كبير ، يعود عهده إلى منتصف القرن الثالث الميلادي ، وبعد أكبر طلق مشيد بالأجر في العالم ، وأعلها حسب ما تذكر المصادر التاريخية ، وهو يقع بالقرب من نهر دجلة ، وارتفاع (الطلق) الحالي يصل إلى ٣٧ متراً . وقد أقامت المؤسسة العامة للسياحة بالقرب من بقايا الإيوان خيمة عربية كبيرة من الشعر ، تم تجهيزها بكل ما هو عربي الصنعة ، وفرشت أرضها بالبيسط العربية أيضاً .

كما أقامت المؤسسة العامة للسياحة مجمعاً سياحياً بالقرب من المكان ، يشمل فندقاً وهدوراً وشققاً ومسيحاً ومطعماً وكازينوا .

وعلى بُعد أمتار قليلة من المكان أيضاً نرى بناء ضخماً ، يشبه شكله شكل «الزقورة» القديمة أو البرج القديم . إنه مرأى القادسية أو «باتوراما» القادسية . وهو أحدث مرأى في العالم



• السيد محمد العالي .

● مصاليف العرامل الطيبة والتاريخ

المدينة العربية العريقة ، وهي تبعد عنها حوالي ٤٠٠ كيلومتر . الطريق الذي سلكناه عهد تمهيداً جيداً ، وهو ذو انجهاين . تتوالى مشاهد صفراء وخضراء ، وبينها الماء أحياناً ، تارة تغلب الصحراء ، فتراها مترامية الأطراف ، واسعة ، وتارة أخرى يبرز الماء ، فتلازمه الزراعات الخضراء .

لم يتغير تكرار هذا المنظر إلا عندما وصلنا إلى بلدة ييجي القريبة من مدينة تكريت ، حيث أخذت تبرز سلسلة من الجبال القرماء . قال مرافقنا : إنها سلسلة جبال جرمين . نوالى سيرنا ، فتردد مشاهد التلال والجبال حضوراً ، وتأخذ ألوان الطبيعة بالاكسفاء بثوب أصفر ، إنه موسم حصاد القمح والشعير ، حقول تم حصادها ولم يبق منها إلا السيقان القصيرة الصفراء ، وحقول قليلة لما يتم حصادها بعد ، سنابلها صفراء قصيرة ، تنتظر المناجل ، أو سكاكين الحاصدات الحديثة . بعض الفلاحين يلرون محاصيلهم ليفصلوا الحب عن التبن ، والنوارج تدرس ، تقودها الحيلول ، وتوالى دوراتها الرتيبة حول أكوام المحاصيل . تلوح الموصل على تلال ، حرارة الجو مرتفعة ، تجاوزت ٣٥ درجة مئوية ، سور المدينة مازال شاهداً على الأهمية التي احتلتها المدينة في الأيمل الماضية . وينبؤى أهلي آثار نينوى عاصمة الآشوريين لا تبعد كثيراً عن المدينة .

نتجه إلى غرب الموصل ، زراعات القمح والشعير ما زالت تحتل التلال الحاذية ، لون التربة أسمر أو أحر أحياناً . يلوح تجمع كبير لمياه زرقاء لامعة تحت أشعة الشمس .

● أمي بحيرة ؟

- يجب مرافقنا : نعم البحيرة الناتجة من بناء سد صدام ، حيث أقيم على غير درجة .
- نوالى سيرنا ثم ندخل في انهدام بين تلال .
تتوالى أمام أعيننا بيوت جاهزة متشابهة ، تحيط

بعد مرآتي (بانورامات) موسكو وليننغراد وبلغيكا وكوريا الشمالية .

افتتح سنة ١٩٨٠ ، وأقيم على مساحة ٢٥٠٠ متر مربع ، بكلفة وصلت إلى سبعة ملايين ونصف مليون دينار عراقي . ارتفاع البناية يصل إلى ٢٨ متراً ، وإذا ما كانت الأبراج القديمة يمكن الوصول إلى أعلاها بدرج متتال ، فإن المصاعد الكهربائية قد تولت الأمر في هذا البناء الحديث .

وقد رسمت مشاهد معركة القادسية التي قامت بين العرب المسلمين ، وبين الفرس سنة ٦٣٧م ، ووزعت مشاهدتها على لوحة أو شاشة دائرية من الكتان ، طولها ١١٠ أمتار ، وارتفاعها ١٥ متراً ، وتوزعت تفصيلات المعركة على مساحة تقدر بـ (١٦٤٠) متراً مربعاً . ويمكن الصعود لرؤية المرمى أو «البانوراما» بواسطة مصاعد كهربائية .

وتبلغ المسافة بين السياج والشاشة حوالي عشرة أمتار . ويشترك الصوت والضوء و«الديكور» في تجسيد المرمى . وبعض الأشكال والشخصيات تم تنفيذها بالرسم أحياناً ، وأخرى تم تنفيذها بالنحت والديكور في أحيان أخرى .

ومعركة القادسية من المارك الفاصلة في تاريخ العرب ، حيث إنها فتحت أبواب العراق ، ثم فارس وما يليها أمام الجيوش العربية .

أحدث مجمع سياحي

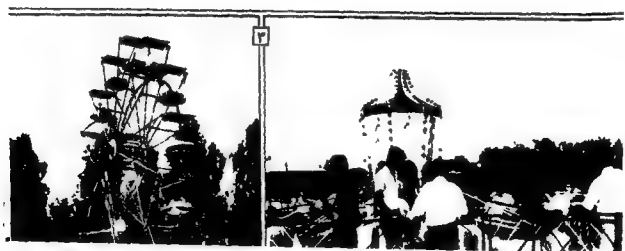
الاماكن التاريخية كثيرة متنوعة في مدينة بغداد وحولها ، وربما تحتاج إلى مؤلفات كثيرة للحديث عنها ، وما أننا اتبعنا اختيار بعض النماذج فقط ، فإننا نكتفي بما نقلنا ، لننتقل إلى شمال العراق ، حيث أن للتاريخ حكاياته ومواقفه ، وحيث للطبيعة جمالها وحضورها الأخاذ .
ننتقل من بغداد متوجهين إلى الموصل ،

(١) وجه من العراق
هرب من القبط إلى
المصايف
(٢) شنان يرحون في
حديقة بغداد
السياحية
(٣) ألبان وصغار
وكبار في مدينة
الحامية السياحية





Y



Y

في محافظة دهوك

تغادر البلدة في صباح اليوم التالي ، ونتجه ثانية إلى الموصل ، وبعدما نتجه إلى مدينة دهوك ، مركز محافظة دهوك ، وهي تبعد عن مدينة الموصل حوالي ٧٣ كيلومتراً . مازال اللون الأصفر يحلّ التلال السمراء الحمراء ، إذ أن زراعة القمح والشعير من الزراعات الأساسية في الشمال .

ازداد الحيز الأخضر في التلال والجبال ، وبدأت أشجار الصنوبر وكروم التين والعنب والرمان تتكاثر كلما اقتربنا من المدينة . دهوك مدينة قديمة ، ربما يعود زمن وجودها إلى ما قبل الآشوريين ، وتقع في منحدر بين جبلين ، هما الأبيض والأسود . وهناك عدة اجتهادات في تفسير اسم المدينة ، منها ما أورده حميد المطبي ، في كتابه «رحلتي إلى شمال العراق» ، جاء فيه :

«إن طائراً أسطورياً ، ضخم الحجم ، وغريب الشكل ، استهوته المنطقة ، فحط فيها ، وفي المكان الذي أقام فيه الطائر ، وفي صخرة كبيرة ، وجدت يعضتان ذاتا حجم هائل ، وقد أقيمت مدينة دهوك في المكان الذي عاش فيه الطائر ، ولذلك سميت بهذا الاسم الذي يتكون من مقطعين : (دو) بمعنى (اثنين) ، و(هيك) بمعنى (بوصة) .

توجها من دهوك إلى القرى والبلدان التابعة لها ، الطرق هنا تخترق الجبال ، وهي متعرجة تلف حينا ، وتبسط في أحيان أخرى ، وتكثر على تلالها وجبالها أشجار الصنوبر ، والبلوط ، والاسفندار - خشب أبيض ، تصنع منه المسابح الطويلة - وغيرها .

نصل إلى بلدة زاوية ، بعد أن نسير ما يقارب ١٧ كيلومتراً من دهوك . وزاوية بلدة قديمة ، ينسبها بعض الناس إلى الآشوريين ، في حين أن اسمها يقترح من إيقاع اللغة الآرامية ،

بها أشجار السرو والجوز والصنوبر . يعلق مراقبنا : ذلك هو مجمع سد صدام السياحي ، وهذه هي بيوتهم ومرافقهم . السيد غانم الشيباني ، مدير البلدة - أحيانا يطلقون عليها اسم مدينة - السياحية ، ذكر لنا أنها تبعد عن مدينة الموصل حوالي ٢٠ كيلومتراً ، وأن ارتفاعها يصل إلى ٨٥٠ متراً فوق سطح البحر ، وقد تم افتتاحها سنة ١٩٨٧ ، وتحتوي على ٤٥٠ وحدة سكنية متنوعة ، بأحجام مختلفة وأسعار مختلفة ، وهناك وحدة سكنية تحتوي على غرفة وصالة ومطبخ ، يدفع ساكنها إيجاراً مقداره (١٥) ديناراً يومياً ، وأخرى تحتوي على غرفتين للنوم وصالة ومطبخ ، يدفع ساكنها إيجاراً مقداره (٢٥) ديناراً ، وثالثة تحتوي على ثلاث غرف للنوم مع صالة ومطبخ ، وفيها ستة أسرة ، يدفع مستأجرها ٣١ ديناراً في اليوم ، كما أن هناك غرفاً ذوات سريرين .

والطاقة الاستيعابية للبلدة تصل إلى ١٢٠٠ سرير ، وتحتوي ، إضافة إلى الدور ، على مطاعم متعددة ، وسوق مركزي ، وركن لألعاب الأطفال ، ودار للسينما ، ومسرح صيفي ، وملعب رياضية عديدة ، ومحلات للخدمات الأخرى ، ومسبحان ، أحدهما للكبار والآخر للصغار .

وذكر السيد غانم أنهم بصدد تطوير ساحل البحيرة ، وتجهيز أماكن للسباحة ، وللزوارق واليخوت ، وبناء مطعم عائم ، وبناء مدينة ألعاب للكبار والصغار ، وبناء قاعة كبيرة للاجتماعات والحفلات تستوعب ٥٠٠ شخص .

وذكر أن الموسم الحالي لتشغيل البلدة الذي يصل إلى ١٠٠٪ يبدأ في شهر حزيران (يونيو) ، وينتهي في أوائل شهر تشرين الأول (أكتوبر) ، كما ذكر أن مرتادي البلدة عراقيون بالدرجة الأولى ، وبعض العرب ، وقلة من الأجانب ، خصوصاً ممن يحملون في المنطقة .

● مصافى العراق الطيبة والتاريخ

بينها فندق صغيرة أقامته مصلحة المصافى .
ثم نوالى السير ، فتمر ببلدة «أشاشة» ، وهي
مصيف جميل ، اشتهر بشلاله الماهر ، يبعد عن
مصيف سرسك قرابة ٥ كيلومترات .

ثم نصل إلى سرسك التى تعد من أشهر
المصافى العراقية وأجملها ، ويستقبلنا في مكتب
الناحية السيد خليل اسماعيل خضر ، مدير
الناحية ، والمهندس تيدي عوديشو يوخايس ،
مدير المصافى في الناحية ، والسيد زهير صديق
فتاح ، معاون مدير السياحة ، ويتولون الشرح
والإحابة عن أسكتنا . كلمة «سرسك»

بالكردية تعني رأس الصدر ، وهي تقع بين
سلسلة جبال كاره ، وسلسلة جبال متينة .
وترتفع ١٠٥٠ متراً عن سطح البحر ،
وتعمل أعلى درجة حرارة فيها إلى ٣٤ درجة
مئوية في الصيف تقريباً ، وتشتهر بزراعة
العنب ، والرمان والخوخ والمشمش والأجاص
والجوز واللوز ، وتزرع فيها الخضراوات أيضاً .
وتصعب وديانها في غري الزاب والمجاور . عدد
سكانها حوالي أربعة آلاف نسمة ، في حين
يصل عدد سكان الناحية كلها إلى حوالي تسعة
آلاف وخمسمائة . تبعد عن دهوك ما يقارب ٤٢
كيلومتراً . وفي هذه البلدة مؤسسات سياحية
عديدة ، بينها فندق سرسك ، وهو قديم ،
مبنى من الحجر ، يعود بناؤه إلى الأربعينيات ،
وهو مشيد على سفح جبل ، يطل على البلدة
ويكشف معالمها ، وبواجهته على تلة مقابلة فندق
شليز السياحي الماهر .

وبالقرب من هذا الفندق دور عديدة ،
و«كاينيات» متنوعة مؤتمة ، وهناك أيضاً قرية
نموزجية سياحية ، تحتوي على ٥٨ داراً ، وفي
البلدة مسح دولي أولمبي ، وتوجد قرية «كارة»
السياحية المؤلفة من بيوت جاهزة ، بناها
الفرنسيون وتضم ٥٦ داراً . وفيها كذلك صالة
سينما ، ودور عرض مسرحي ، وبعض المنشآت
السياحية الأخرى ، منها منشآت سياحية أهلية



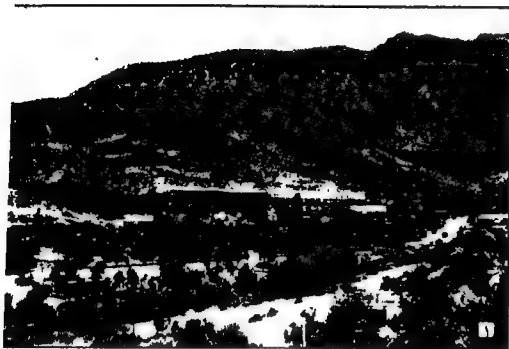
● السيد محمد أمين البرزنجي .

وعني زاوية . تكثر فيها الأشجار المثمرة ،
وتحيط بها وتنمو بتلالها أشجار الصنوبر ، وترتفع
حوالي ٨٥٠ متراً عن سطح البحر
وفي البلدة دار استراحة ، وفندق سياحي
صغير ، ومطاعم عديدة . وتجدر الإشارة إلى أن
في المحافظات التابعة للحكم الذاتي منشآت
تتبع المؤسسة العامة للسياحة - وهي مؤسسة
حكومية مركزية - وأخرى تتبع الإدارة العامة
للبلديات والمصافى ، وهي تتبع إدارة الحكم
الذاتي في بعض محافظات الشمال .

يتابع وشلالات

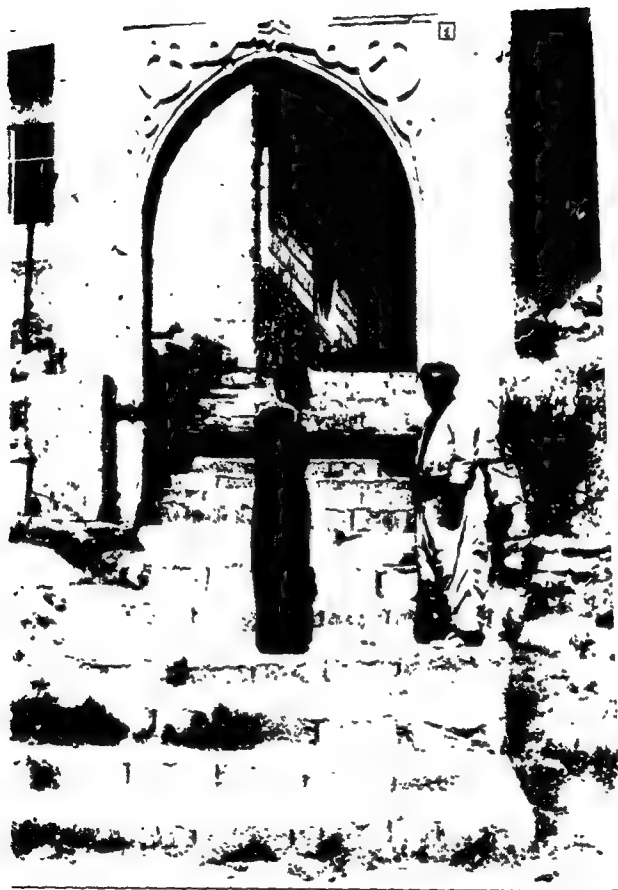
ثم نوالى السير ، فنصل إلى بلدة «سواره»
توكاه التى تعد ١٥ كيلومتراً تقريباً عن زاويته .

والوصول إليها عبر طريق لولبي جبلي ، وترتفع
١٥٠٧ أمطار عن سطح البحر . وأقصى درجة
حرارة في فصل الصيف تصل إلى ٣٣ درجة
مئوية . تطل هذه البلدة على وادٍ سهيق ، تكثر
فيه أشجار الفسكاكة والسرو والاسفندار
والصنوبر . وفي البلدة مؤسسات سياحية مناسبة
للسائحين . وقد أقامت المؤسسة العامة للسياحة
٣٩ داراً ، سمّتها ٢٠٠ سرير ، كما أن فيها
«كاينيات» سياحية ومنشآت سياحية أخرى ،



١) مسرسلك في
حظير الجبال كانيا
حديقة
٢) طاق كسرى في
بلدة المدائن
٣) حاتم من سور
مدينة بابل بعد
توحيده
٤) بوابة ديسار في
بلدة العمادية





أحدهما اسمه باب الزيلار، والثاني باب الموصل، وفيها منارة المسجد الذي بناه عماد الدين زنكي، والمنارة منحوتة من صخر الصوان، كما أن درجها منحوت من الصخر نفسه.

هذا وتشتهر «العادية» ببعض الصناعات التقليدية، كعباسم التدخين الطويلة، والمسايح المصنوعة من خشب الاسفندار. ونحن في طريقنا للموعدة إلى سرسك، شاهد زميلي المصور مجموعة من نساء الأكراد يلبسن الملوثة البراقة، فطلب منهن أن يلتقطن لمن بعض الصور، فأبى بعضهن، فوافق بعض آخر.

● سألت السيد خليل: الملقبة بحبيب المرأة الكردية الألوان الحارة الرقيقة، خصوصاً الحمراء؟

- أجب: أعتقد أنه لا يوجد في الأمر خصوصية ما، فالوان ملابس المرأة في مختلف الخليج العربي - خصوصاً الملابس التقليدية - من الألوان الحارة، كالأحمر والوردي والبنفسجي والأخضر وغيرها. ثم أضاف: ولا ينبغي أن هذه الألوان الحارة تستهوي معظم سكانها، لأنها بصريح العبارة تلفت نظر الرجال.



● السيد غاثم الشيباني

أيضاً. والجدير بالذكر أن سرسك شهدت أحد اجتماعات الجامعة العربية في بداية قيامها. وفي بلدة «أينشكي» التي تبعد عن سرسك قرابة ١٥ كيلومتراً مجموعة من الشقق السياحية والمؤسسات السياحية الأخرى، وتشتهر هذه البلدة بشلالها وهوائها العليل، وفيها كهف طبيعي حوّل إلى مطعم.

وإذا ما رغب الإنسان التوجه إلى بلدة «العادية» فإن عليه أن يمر ببلدة أراذن، فيها مؤسسات سياحية أيضاً، وهي تقع بالقرب من «أينشكي»، يلبها سولاف التي ترتفع ١٥٥٠ متراً عن سطح البحر، وفيها شلالات جميلة، ومؤسسات سياحية، أشهرها فندق سولاف، وشقق سولاف السياحية.

البلدة التي تصغر

يلفت نظرك العلو الشاهق للبلدة، وشكلها البيضاوي، فتقول إن اختيار مكانها كان بقصد التمتع، وإنه موقع عسكري ممتاز، فيجيبك السيد خليل مدير الناحية: إنها العادية التي بناها عماد الدين زنكي سنة ٥٢٧هـ، حل صخرة محدودة المساحة، تبعد عن سولاف ٥ كيلومترات، والوصول إليها يقتضي المرور بطرق ملتوية، ترتفع تدريجياً حتى تصل إلى ارتفاع ١٩٨٥ متراً عن سطح البحر، هو ارتفاع هذه البلدة التي يصل عدد سكانها إلى ما يقارب ١٨ ألف نسمة.

● علقت: إن انهيار أي صخرة من هذه البلدة يسد الطريق العام، ويقتل من مساحتها.

- قال السيد خليل: لقد انهارت صخرة فعلاً في الشتاء الماضي، وسدت الطريق.

● علقت: هل يمكن القول عنها بأنها البلدة التي تصغر من حيث المساحة.

- قال: نعم، إنها كذلك.

من آثارها الباقية بابلان عليها نقوش،

● مصايف العراق العتيقة والغروب

وفيها، فنلق صلاح الدين ، وهناك عشرات الفنادق والمؤسسات السياحية التي تتبع القطاع الخاص ، وفيها دار للسنيما ، ودورسرحية ، ومؤسسات سياحية أخرى .

وعلى بعد تسعة كيلومترات ، وعلى جبل مرتفع يطل على أودية خصبة خضراء بأشجار: الفاكهة ، بنيت قرية «سرى» و«سراجستان» ١٩٧٦ ، و«سرى» و«سراج» : القصة السوداء ، وتحتوي على فنادق وبيوت جاهزة ، وشقق سكنية ، وعدة مطاعم ، وعدة صالات للألعاب ، وسوق مركزي ، وعدة كازينوات . ومسجدين ، وصالة احتفالات كبيرة ، وفلر للضيافة ، ومنشآت سياحية أخرى . وتوزع بين بيوت القرية أشجار مشمرة ، وودود ، وأشجار زيتنة .

وعلى بعد ١٨ كيلومتراً من مصيف صلاح الدين يقع مصيف «شقلارة» ، حيث تتوزع بيوتها بين جبل «سفين» وجبل «سورك» (الأحر) وترتفع حرماء فعلاً .

ويرتفع مصيف شقلارة ٩٦٦ متراً فوق سطح البحر ، وتعداد سكانه يزيد على ٢٠ ألف نسمة ، يعملون بالزراعة والأعمال التجارية والسياحة و«حوي الأغنام» ، وتكثر فيه الأشجار المثمرة ، مثل العنب والتين والبلوز واللوز والخوخ والتفاح والإجاص . وفي مصيف هذه البلدة عدة مؤسسات سياحية حكومية ، وأخرى خاصة ، بينها قرية سياحية من الدور الجاهزة الموزعة بين الأشجار الوارفة الظلال ، وفندق شقلارة السحلي ، وفيها أيضاً عشرات الفنادق التي يملكها القطاع الخاص .

سهل اسمه حرير

وإذا ما رغب السائح في المضي بالطريق للمبد والآنحاء شرقاً ، فإنه سيمر سهلاً من أنصب سهول القطر العراقي ، يطلق عليه اسم «سهل حرير» ، وهناك قرية بهذا الاسم في هذا

من صلاح الدين إلى القمة السوداء

عندنا من الطريق التي أتينا منها ، وصولاً إلى الموصل ، ثم توجهنا منها إلى أربيل التي تبعد ٨٦ كيلومتراً عنها . وأربيل عاصمة لمنطقة الحكم الذاتي لأبناء القومية الكردية الذي أعلن عن قيامه سنة ١٩٧٥ م ، وهنا ثلاث محافظات في منطقة الحكم الذاتي ، هي : أربيل ، ودهوك ، والسليمانية .

وأربيل مدينة تاريخية قديمة ، جاء ذكرها زمن السومريين ، وعرفت قديماً باسم «أوريليم» ، أو «أربا ايلو» عند البابليين والآشوريين . وما زالت قلعتها القديمة شاخصة بشكل دائري ، تحكي أجزاء من سيرتها . ومجدها القديمين .

وأول المصايف التي تصل إليها بعد ٣٢ كيلومتراً من أربيل هو مصيف صلاح الدين الذي يقوم على جبل صلاح الدين - بيرمام قديماً - والطريق إليها متعرج بشكل حلزوني ، وترتفع ١٠٩٠ متراً عن سطح البحر .

استقبلنا في هذا المصيف محمد أمين البرزنجي ، مدير المصايف هنا ، فذكر لنا أن عدد سكانه حصة آلاف نسمة ، يشغل كثير منهم بالزراعة وتربية المواشي ، وتكثر فيه أشجار السرو والبلوط ، ومن أشهر أشجاره المثمرة الكرمة ، والتفاح والمشمش والخوخ ، والبلوز واللوز ، وأن أقصى درجة للحرارة فيه تصل إلى ٣٣° في الصيف ، وذكر أن اسم هذا المصيف جاء من اسم القائد صلاح الدين ، حيث تذكر بعض المصادر أنه عاش فترة في قرية ديورين التي تبعد ثلاثة كيلومترات عن مصيف بلدة صلاح الدين .

وذكر السيد البرزنجي أن بلمتصلح الدين تعد مصيفاً مشهوراً ، حيث تحتوي على مؤسسات سياحية جيدة ، منها بيوت حجرية وبيوت جاهزة ، وغشيات و«كبان» عديدة ،

كيلومترين شق طولي بين الجبال يصل امتداده إلى حوالي عشرة كيلومترات ، اسمه وكي علي بك . (وكلي) كلمة كردية تعني : مضيق ، وعلى بك هذا ، حسب ما هو متداول في المنطقة ، أحد الرجال الكبار الذين عاشوا فيها . والمضيق محاصر بين جبلي (كورك) و (نوافذين) ، ويبعد ٦٠ كيلومتراً عن شقلاوة ، وتتصجر في جنباته المياه ، خصوصاً شلاله الشهير (شلال كلي علي بك) الذي ينبع من عين (الأنام) ، وارتفاع ضغط الشلال يصل إلى ١٢ متراً ، وقد أقيم حوض دائري تحت الشلال ، عمق مائه يصل إلى مترين ، كما ذكر لنا السيد نوزاد عزيز قادر مدير كازينو الشلال ، وهذا الكازينو أنشأته إدارة المصايف منذ سنة ١٩٥٨

ويصب الشلال في نهر الزاب الأعلى ، ويبلغ ارتفاع الموقع حوالي ٨٠٠ متر فوق سطح البحر .

المعيشة الحية أفضل

ونظراً لمدير المياه الساقطة من الشلال ، فإن حل المرة أن يصمت ويثمل ، لأن هدير الماء يغطي على كل الأصوات . وفي المنطقة عدة مناطق سياحية أخرى ، مثل : شلالات بيخال ، وحيون جندبان ، وغيرهما من الأماكن السياحية الأخرى .

وتقع هذه المصايف قريبة من الحدود الشرقية للقطر ، أي قريبة من الحدود العراقية الإيرانية .

في حين أن مصايف محافظة دهوك تقع قريبة من الحدود الشمالية ، أي من الحدود العراقية التركية .

هذه حصيلة جولتنا التي قدمت ملامح من الفسيفساء التاريخية والطبيعية للقطر العراقي ، وتبقى المشاهدة والمعيشة الحية دائماً أفضل من القراءة أو الاستماع في كثير من الأحيان . □



● متحف أريل ونط العمارة القديم .

السهل ، وتتصجر فيه عدة حيون ، مما يزيده خصباً ، والزراعة فيه طوال السنة .

والبصل والثوم من أشهر المزروعات التي شاهدناها فيه ، وقد كانت ما تزال خضراء ، مما أضفى لوناً أخضر على السهل الذي يقع بين عدة جبال ، كما يشتهر هذا السهل بصله الصافي أيضاً .

ثم يأخذ الطريق بالارتفاع ، إلى أن يصل إلى جبال (سبيك) ، وهي امتداد لجبال حرير ، وتكثر فيها أشجار البلوط ، ثم يأخذ الطريق بالانحدار ، وصولاً إلى قرية خليفان ، حيث يمر بها فرع من فروع نهر الزاب الأعلى (أحد فروع دجلة) . ثم يلي القرية بعد

مدير القند الجديد

أغسطس
١٩٨٩



العرب الصغير

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

رئيس التحرير: د. محمد الرميحي



يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
مجموعة من كبار الفنانين والكتاب المختصين

في هذا العدد

- استطلاع عن سيرة الكويت الترفيهية.
- قصص بالرسوم.
- قصة "زهرة البريقال".
- ذات الامة "الحلقة الثامنة".
- "السيرة الغريبة" مسلسل تاريخي.
- مسلسل الميثاق العالمي "نباتات عملاقة".



إضافة للأبواب الثابتة

- استطلاعات
- كميونتر
- ٨ صفحات
- أغانيك الصغيرة وأغانيك الصغيرة
- والفرة معارف العربي الصغير



الاندماج النووي البارد وفتاع اكتشاف القرن

بقلم : الدكتور سعود عياش

منذ ٤٠ عاما والفيزيائيون يحاولون توليد الطاقة بطريق الاندماج النووي . ولكن في مارس الماضي أعلن كيميائيان - أحدهما أمريكي والآخر بريطاني - أنهما تمكنوا من توليد الطاقة من اندماج نووي ، بجهاز بسيط يشبه جهاز تحليل الماء في مختبرات المدارس . فهل يمكن أن يمثل هذا الاكتشاف حلا نهائيا لمسألة توفير الطاقة ، وضمان امتداداتها لحقب زمنية طويلة ؟

إمكاناتها العلمية والتقنية ، وأكثر من ٢٠ بليون دولار ، دون أن يتمكن العلماء حتى الآن من تطوير مفاعل اندماج نووي للأغراض السلمية ، قادر على إنتاج كمية من الطاقة أكثر مما يستهلك . والآن يخرج علينا اثنان من الكيميائيين ، لا النوويين ، ذوي السمعة الأكاديمية الطيبة ، بأنهما نجحوا في تحقيق ما عجزت عنه جهود مئات العلماء المتخصصين مدة أربعة عقود ، وباستخدام جهاز غامض في البساطة ، وكان علماء فيزياء الاندماج النووي قضوا الأربعين سنة الماضية يبحثون في صحراء التيه .

أدى إعلان بونس وفلايشمان إلى ردود فعل متباينة في أوساط الفيزيائيين . فقد أنكر البعض صحة الإعلان ، وأقر البعض الآخر التعليق بحذر إلى أن تتوافر معلومات أكثر . وانتقد آخرون اللجوء إلى وسائل الإعلام العامة

في ٢٣ مارس الماضي أعلن ستانلي بونس ، رئيس قسم الكيمياء في جامعة يوتا ، ومارتن فلايشمان ، بروفيسور الكيمياء الكهربائية في جامعة ساوثهامبتون البريطانية ، في مؤتمر صحفي عقد بجامعة يوتا الأمريكية ، عن نجاحهما في تحقيق الاندماج النووي عند درجات الحرارة العادية ، باستخدام جهاز بسيط يشبه ما يستخدمه طلبة المدارس الثانوية في تجارب تحليل الماء . وأعلن الباحثان أيضا أن تجربة الاندماج البارد أنتجت أربعة أمثال الطاقة المستخدمة لإجراء التفاعل . ومن الجدير بالذكر أن بونس كان يعمل أثناء دراسته للدكتوراة تحت إشراف البروفيسور فلايشمان .

كان لهذا الإعلان وقع الصدمة في الأوساط العلمية عامة ، وأوساط فيزياء الاندماج النووي بصورة خاصة . فلم امتداد الأربعين سنة الماضية استثمرت الدول الصناعية المتقدمة أفضل

للإعلان عن حدث علمي يمثل هذه الأهمية .
 فقد جرى العرف في الأوساط « الأكاديمية » على
 أن يتقدم الباحثون بتفاصيل اكتشافاتهم الجديدة
 إلى إحدى المجلات العلمية المتخصصة ،
 لمرضاها على عمكمين في مجال الاختصاص
 نفسه ، لإبداء الرأي حول صحة ما يدعونه ،
 ومدى صلاحيته للنشر . وبعد ذلك فقط يمكن
 لأصحاب الاكتشاف اللجوء إلى وسائل الإعلام
 العامة لنشر اكتشافهم وتعميمه .

قام بونس وفلايشمان بإرسال ورقة علمية إلى
 مجلة « الطبيعة » البريطانية ، لنشر نتائج
 تجاربها ، غير أن المحكمين بعد مراجعة الورقة
 طلبوا المزيد من التفاصيل ، قبل أن يتمكنوا من
 إصدار حكم على مدى صلاحية الورقة للنشر .
 وقد اعتذر بونس وفلايشمان عن تزويدهم بالمزيد
 من التفاصيل ، بدعوى ضيق الوقت وكثرة
 التزاماتها وارتباطاتها ، وأثرا بدل ذلك سحب
 الورقة . وقد تداولت أوساط الفيزيائيين مسودة
 الورقة ، وأجمع الكثيرون على أنها لا تحتوي على
 تفاصيل كافية تسمح للآخرين بإعادة التجربة
 للتأكد من صحة ادعاءات بونس وفلايشمان .
 وبذلك بقيت الأوساط العلمية تعيش المستوى
 نفسه من التشوش والارتباك اللذين أحقبا
 الإعلان الشهر .

الانشطار والاندماج النوويان

يمكن توليد مقادير ضخمة من الطاقة الحرارية
 من شطر أو دمج أنوية بعض الذرات . فأنوية
 الذرات الثقيلة ، مثل اليورانيوم ، يمكن أن
 تنشط ، ويؤدي انشطرها إلى تكوين ذرات مواد
 جديدة ، وإصدار أشعة ، وتوليد حرارة . وعند
 استخدام الانشطار النووي لأغراض سلمية
 تستخدم الحرارة المتولدة لإنتاج البخار لتشغيل
 « توربينات » مبروطة بمولدات كهربائية ، ويعد
 الطريقة يمكن تحويل الطاقة النووية إلى طاقة
 حرارية ، ثم إلى طاقة كهربائية . وبغية الحد من

الآثار الضارة ، المصاحبة لتفاعل الانشطار
 النووي ، تتم السيطرة على التفاعل في قلب
 المفاعل النووي ، لضبط معدل التفاعل ، وكمية
 الحرارة المتولدة ، ومنع الإشعاعات النووية من
 التسرب . أما في الأغراض العسكرية فيتمثل
 أهم استخدامات الانشطار النووي بالقنبلة
 الذرية .

من جانب آخر يمكن لأنوية الذرات الخفيفة
 أن تنصهر أو تندمج معا ، مكونة عناصر نظرية
 (أنوية تحتوي على العدد نفسه من البروتونات
 وأعداد متباينة من النيوترونات) أو عناصر
 جديدة . وتذكر بعض المصادر أنه يمكن من
 الناحية النظرية إجراء أكثر من ١٠٠ تفاعل
 نووي اندماجي بين أنوية العناصر الخفيفة
 كالهيدروجين والهيليوم والليثيوم والبريليوم
 واليورون . وعند بداية أبحاث الاندماج النووي
 وقع الخيار على الديوتريوم كمادة أولية للتفاعل .
 والديوتريوم نظير للهيدروجين ، ويحتوي نواته
 على بروتون واحد ونيوترون واحد ، بينما تحتوي
 نواة ذرة الهيدروجين على بروتون واحد فقط .
 ومن الجدير بالذكر أن البروتون والنيوترون
 جسيمات دقيقة ، توجد في أنوية الذرات ، ولها
 الكتلة نفسها ، غير أن للبروتون شحنة موجبة ،
 بينما النيوترون متعادل الشحنة . وقد وقع الخيار
 على الديوتريوم بسبب وفرته الكبيرة في الطبيعة ،
 حيث توجد ذرة ديوتريوم واحدة بين كل ٦٥٠٠
 ذرة هيدروجين . ونظرا لمخزون الهيدروجين
 الهائل في الطبيعة ، المتمثل بكميات مياه البحر
 الضخمة ، يمكن القول بأن موارد الديوتريوم
 وفيرة جدا ، واستغلالها أمر سهل .

إن فكرة الاندماج النووي بسيطة ، لكن
 تطبيقها العملي غاية في الصعوبة ، فالفكرة
 الأساسية في التفاعل هي تقريب نواتي ديوتريوم
 الواحدة من الأخرى ، بحيث تنصهر أو تندمج
 إحداها بالأخرى . أما الأمر الصعب في التفاعل
 فهو أن اللواتين الشحنة الكهربائية الموجبة

مستوى الطبيعة فإن أشهر تفاعلات الاندماج النووي تلك التي تحصل في قلب الشمس ، ومنها الشمس التي تزود الأرض باحتياجاتها الأساسية من الطاقة .

إن الاهتمام بالاندماج النووي ينبع من وفرة المادة الأولية - الديتروم - وكمية الطاقة الضخمة التي يمكن توليدها من التفاعل . فالحسابات تقول بأن دمج أنوية « الديتروم » الموجودة في متر مكعب واحد من ماء البحر ينتج كمية من الطاقة ، تعادل الطاقة الناتجة من حرق ٢٠٠٠ برميل نפט ، وأن كل كيلو متر مكعب من ماء البحر يحتوي على طاقة ، تعادل طاقة كل خزون النفط العالمي المعروف . وإذا أخذنا في الاعتبار أن بحار العالم ومحيطاته تحتوي على أكثر من بليون كيلو متر مكعب من الماء ، يمكن القول أن طاقة الاندماج النووي تشكل مصدرا لا ينضب من الطاقة .

انطلاقا من الحقائق السابقة يمكن فهم (لماذا أثار إعلان بولس وفلايشمان اهتماما شديدا في الأوساط العلمية والحكومية والاقتصادية ؟) فبالنسبة للمعلماء يعد الاكتشاف اختراقا في أصعب جبهات العلم وأحقدها ، وحللا لواحدة من أصعب المشكلات . فليس غريبا أن يقول البعض : إن هذا الاكتشاف إذا ثبت صحته سيكون « اكتشاف القرن » . أما بالنسبة للأوساط الحكومية فإن تحقيق الاندماج النووي البارد يعني تقديم حل لإحدى المسائل الاستراتيجية المهمة ، وهي ضمان موارد الطاقة وإمداداتها على المدى الطويل .

مسارات تفاعل الاندماج النووي

يقول الفيزيائيون النوويون : إن التفاعل الاندماجي لنواتي ذرتي ديتروم يتخذ أحد ثلاثة مسارات هي :

(١) تندمج النواتان لتكوين التريتيوم وإطلاق بروتون وحرارة . والتريتيوم هو أحد نظائر

نفسها ، مما يعني أنها ، تحت الظروف العادية ، تتنافران . وكلما قصرت المسافة بين النواتين ازدادت قوى التناثر والطرود . وللتغلب على هذه القوى يقوم العلماء بتزويد الأنوية بطاقة حركية ضخمة ، تسمح لها بالاصطدام والاندماج . وكان هذا الأمر يتم حتى الآن عن طريق رفع درجة حرارة الأنوية إلى ما يقارب ١٠٠ مليون درجة . ويعد مضي أربعة عقود من البحث والتجارب لمّا تنجح حتى الآن أي من محاولات الاندماج النووي بهذه الطريقة في إنتاج طاقة أكثر من الطاقة المستخدمة لإجراء التفاعل . وربما كان الاستثناء الوحيد هو القنبلة الهيدروجينية التي تعمل على أساس الاندماج النووي . ويذكر في هذا الصدد أن تحقيق الاندماج النووي عند تفجير قنبلة هيدروجينية يتطلب تفجير قنبلة نووية أولا ، لتوفير الظروف اللازمة لحصول الاندماج النووي . إن صعوبة توفير الشروط اللازمة للاندماج النووي هي العائق الأساسي أمام استخدامه في الأغراض السلمية . وأما على



● فيزيائيان من جامعة ييل الأميركية يشاهدان إجراء تجارب الاندماج النووي البارد .



● مارتن فلايشمان (اليسار) وستانلي بونس (اليمين) يعرسان اكتشافهما أمام لجنة الكونجرس الأمريكي ، وقد طلبا مبلغ ٢٥ مليون دولار لمواصلة أبحاثهما حول الاندماج النووي البارد

الرأى لما ثبت بعد ، وما زال يتظر التأكيد النظري والعملي .

التجربة المثيرة

ذكر بونس وفلايشمان أنها أجريا تجربة الاندماج النووي البارد في أنبوبة اختبار . فقد وضعا في الأنبوبة ماء ثقيلًا ، يحتوي على بعض أملاح الليثيوم (ماء يتكون من الأوكسجين والهيدروجين) ، وغمرها فيه قضيبا من معدن البلاتيوم ، لفّ حوله سلك من البلاتين ، ثم ربط قضيب البلاتيوم بالقطب السالب لمصدر كهربائي ، كبطارية السيارة ، وربط البلاتين بالقطب الموجب . وبالمنااسبة يشبه هذا الجهاز ما يستخدمه طلبة المدارس الثانوية في تجارب تحليل الماء إلى مكوناته من الأوكسجين والهيدروجين .

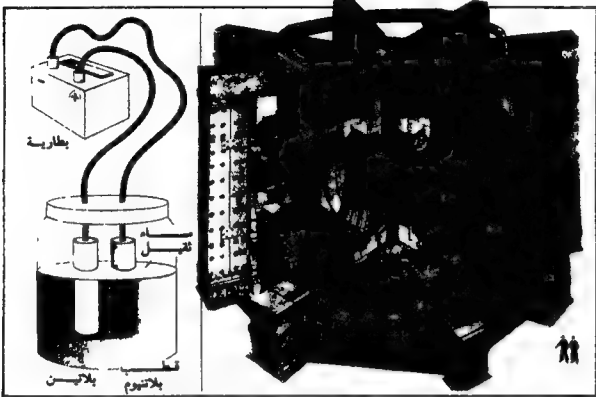
ترك الجهاز جانبها أياما عديدة والتيار الكهربائي يمر في القطبين المغمورين ، ونتيجة مرور التيار الكهربائي تحلل الماء في الأنبوب إلى الأوكسجين والهيدروجين . وقد تجمع الهيدروجين ، ذو الشحنة الموجبة ، على قضيب

الهيدروجين ، وتحتوي نواته على بروتون واحد ونيوترونين ، وهو عنصر مشع ، ويمكن التعرف عليه بقياس الإشعاعات الصادرة منه .

(٢) تندمج النواتان لتكوين نواة الهيليوم - ٣ التي تحتوي على بروتونين ونيوترون واحد ، وينطلق من التفاعل نيوترون واحد بطاقة محددة . ويمكن الكشف عن وجود النيوترونات ومعرفة عددها باستخدام أجهزة خاصة بذلك . والهيليوم - ٣ نظير عنصر الهيليوم - ٤ الذي يحتوي في نواته على بروتونين ونيوترونين . والمعروف أن الهيليوم - ٣ عنصر نادر في الطبيعة .

(٣) تندمج النواتان لتكوين الهيليوم - ٤ ، ويصاحب التفاعل إطلاق أشعة جاما . وهذه يمكن الكشف عنها باستخدام أجهزة خاصة أيضا .

إضافة إلى التفاعلات الثلاثة السالفة التي تقبلها الأوساط العلمية هناك رأي آخر يقول - اعتمادا على إعلان بونس وفلايشمان - : إنه يمكن للنواتين أن تندمجا لتكوين الهيليوم - ٤ وإطلاق حرارة بدل أشعة جاما ، غير أن هذا



● مقطع في جهاز الاندماج النووي الحار شديد التحديد (يمين)
مقابل جهاز الاندماج النووي البارد شديد البساطة (يسار)

الفيزياء ، عجز عنها أفصل عقول الفيزيائيين
ومما زاد الأمر حرجاً أن الفيزيائيين يقرون بإمكانية
إحداث اندماج نووي بارد من الناحية النظرية ،
لكنهم يدركون أن تحقيقه على مستوى عملي
لإنتاج الطاقة غير ممكن ، لعدم توافر الشروط
اللازمة لحصول التفاعل

بين التأكيد والتفني

عقب إعلان بونس وفلايشمان مسارع
الباحثون ، في أكثر من ١٠٠ مختبر في دول العالم
المختلفة ، لمحاولة إعادة تجربة الاندماج النووي
والتأكد من صحتها ، غير أن النتائج التي أعلنت
عملت على زيادة التشوش والارتباك السائدين
في الأوساط العلمية . فعلى مسافة قصيرة من
جامعة يوتا ، في جامعة بيرجهم يونج ، أعلن
الفيزيائي ستيفن جوتز أنه يعمل في موضوع
الاندماج النووي البارد منذ سنين عديدة ، وأنه

البلاذيوم المتصل بالقطب الكهربائي السالب .
وللبلاذيوم تركيب بلوري شبكي ، ومن
خصائصه أنه يتمتع الهيدروجين ونظائره .

يقول بونس وفلايشمان : إن البلاذيوم امتص
الدوتروم داخل تركيبته الشبكية ، وأنه حين
ازدادت أعداد أنوية الدوتروم داخل التركيبية
أقرب بعضها من بعض بصورة شديدة ، بحيث
اندمج بعضها ببعض ، وأدى الاندماج النووي
إلى إطلاق حرارة ، بلغت - حسب ما ذكره بونس
وفلايشمان - أربعة أضعاف الطاقة الداخلة في
التفاعل .

لم يكن من السهل على الجماعة العلمية ،
وبخاصة الفيزيائيين النوويين ، القبول بأنه يمكن
التجاوز والاختزال لجهود أربعين سنة من
الأبحاث والجهود المفضية بتجربة بسيطة ، كما لم
يكن من السهل على الفيزيائيين التسليم بأن اثنين
من الكيميائيين قد حققا إنجازات في حقل

بونس وفلايشمان . ففي مختبر ارجون القومي في الولايات المتحدة ، قامت مجموعات بحثية بمحاولة تكرار تجربة الاندماج النووي البارد ، غير أنه بعد مضي شهر على بدء التجربة لم يجد الباحثون أي أثر يمكن أن يمسزى للاندماج البارد . وقالت مجموعة أخرى : إنها لم تتمكن من اكتشاف أي زيادة في عدد النيوترونات فوق المستوى الموجود غالباً في البيئة . وفي مختبرات هارويل النووية ، في بريطانيا ، لم تتمكن المجموعات البحثية المختلفة من اكتشاف أي نيوترونات أو حرارة يمكن أن تعزى إلى ظاهرة الاندماج النووي البارد ، علماً بأن التجارب في هارويل أجريت بمساعدة مارتن فلايشمان .

الخلاصة

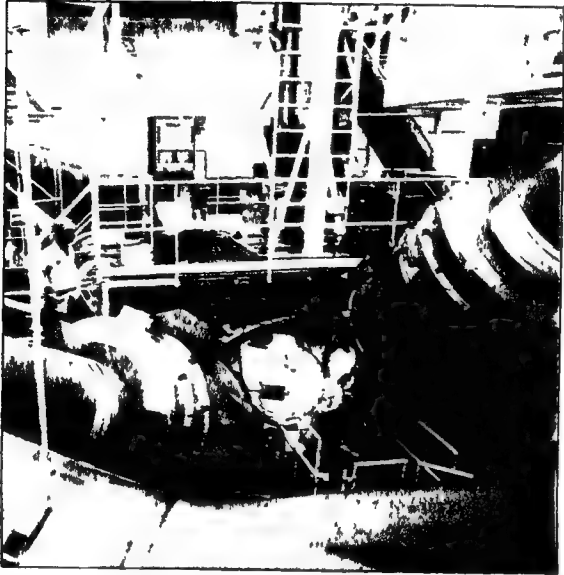
بعد مضي وقت ليس بالقصير على إعلان بونس وفلايشمان عن نجاحهما في تحقيق تفاعل الاندماج النووي البارد ، لم تتمكن أي من المجموعات البحثية في العالم من تكرار نتائجها بالكامل ، وإنما ذكرت مجموعات مختلفة أنها لاحظت زيادة في عدد النيوترونات التي يفترض أنها صدرت عن التفاعل . غير أن أيما من مختبرات الأبحاث النووية الرئيسية في العالم لم تتمكن من تأكيد أي من نتائج بونس وفلايشمان .

إن قصة الاندماج النووي البارد ما زالت على المستوى نفسه من الارتباك والتشوش منذ الإعلان عنها في ٢٣ مارس الماضي . فمقابل تأكيدات العديد من بعدم نجاحهم في تحقيق التفاعل ، يصدر بونس وفلايشمان على صحة تجاربها ، وأنها سيكشفان المزيد من التفاصيل بعد الانتهاء من تسجيل حقوق براءة الاختراع . ومما يزيد من الارتباك والحيرة أن بونس وفلايشمان يتمتعان بسمعة طيبة ، وأن آراءهما ، في مجال اختصاصهما ، تؤخذ على محمل الجد ، فكيف يمكن أن يخاطرا برصدهما « الأكاديمي »

كان قد اتفق مع مجموعة بونس وفلايشمان على أن لا يبادر أي من الطرفين إلى الإعلان عن أبحاثها بصورة منفردة . ويقول جونز : إن التفاعل الذي أجراه أدى إلى إطلاق النيوترونات ، لكنه لم يؤد إلى توليد أي مقدار يذكر من الحرارة .

في معهد جورجيا للتقنية أعلنت مجموعة بحثية أنها تمكنت من تكرار تجربة بونس وفلايشمان ، وأن التجربة أدت إلى إطلاق النيوترونات ، مما يشكل دليلاً على حصول الاندماج النووي . وبعد أيام من هذا الإعلان بادرت المجموعة إلى إصدار تصريح صحفي ، تراجعت فيه عما ذكرت ، وعزت النتائج إلى خلل في جهاز اكتشاف النيوترونات . ثم أعلنت مجموعة أخرى من جامعة تكساس أنها تمكنت من تكرار التجربة التي نتج عنها إطلاق نيوترونات وتوليد حرارة . وبعد أيام تراجعت المجموعة البحثية عما ذكرته ، ثم تراجعت عن التراجع . وقد جاءت تأكيدات أخرى عن النجاح في تكرار التجربة وقياس زيادة في عدد النيوترونات أو الطاقة الحرارية المتولدة من جامعات ومراكز أبحاث أخرى في الولايات المتحدة والمهند والبرازيل والصين والاتحاد السوفيتي واليابان والإمارات العربية المتحدة . وفي إيطاليا أعلنت مجموعة بحثية أنها تمكنت من تحقيق الاندماج البارد دون استخدام الماء الثقيل ، إذ تم بدل ذلك استخدام معدن التيتانيوم وغاز الديوتريوم لإحداث تفاعل الاندماج النووي تحت ضغوط ودرجات حرارة مختلفة . وقالت المجموعة الإيطالية : إنها لاحظت إطلاق أعداد كبيرة من النيوترونات من التفاعل ، لكنها لم تتأكد بعد إن كانت الطاقة المتولدة كافية لتسويخ التطبيقات العملية مستقبلاً .

من جانب آخر ، لم تتمكن أي من المجموعات البحثية في مراكز الأبحاث النووية الرئيسية في العالم من تأكيد أي من ادعاءات



● جهاز ليرر شديد المعقد مسحوم في إجراء معاملات الاندماج النووي الحار

الشهير لتحقيق مكاسب مادية الأمر المؤكد هو أن المسألة لن تستعرق الجماعة العلمية طويلا قبل إصدار تقييم علمي صحيح لحقيقة النتائج التي أعلن عنها بوس وفلايشمان وقد تؤدي حملة التطورات التي صاحبت الإعلان عن الاندماج البارد إلى بحث الاهتمام به مرة أخرى وإلى أن تتحقق إنجازات ملموسة في حقن الاندماج النووي الحار والبارد ، سيستمر العالم بالاعتماد على مصادر الطاقة الحرارية لتلبية معظم احتياجاته □

بالإعلان عن مثل هذا الكشف الخطير بطريقة استعراضية ؟

تختلف الآراء في الرد عن السؤال ، فمن قائل بأن إدارة الجماعة صعفت على الباحثين للإعلان عن الكشف ، لتأكيد حقوق براءة الاختراع ، ومن قائل بأنها « العبارة المهيبة » والبحث عن الشهرة والمجد ، ومن قائل بأن الهدف هو حثيرة سويل ولا يستبعد البعض أن تحاول بعض المصالح الاقتصادية الاستفادة من الإعلان

النيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



■ موسيقا الرحم .. والحياة اللغوية للطفل



مُوسيقا الرَّحِمِ وَالْحَيَاةِ اللُّغَوِيَّةِ لِلطِّفْلِ

بقلم : الدكتور سامي محمود علي

لا تبدأ حياة الطفل عندما يخرج مولوداً من رحم أمه ، بل قبل ذلك بكثير ، فليست الولادة سوى مرحلة من مراحل حياة الجنين التي تبدأ داخل الرحم ، وهناك يستمع الطفل إلى الأصوات الأولى التي تشكل إيقاع حياته بعد أن يخرج إلى الدنيا .

تعود بالذاكرة في رحلة عبر الماضي البعيد . لقد وجد أن هذه الأصوات الحنينية التي يطلق عليها اسم « موسيقا الرحم » تأثيراً مهدئاً وملطفاً على الأطفال الذين يظهرون اضطراباً بعد الولادة ، لذلك فقد طبع بعض الشركات هذه الموسيقا

صغيرة مظلمة ، تصميمها يشبه رحاً كبيراً . في هذه الحجرية يسمع المرء نفس الأصوات التي يسمعها الجنين ، من دقات قلب الأم ، وصوت هضم طعامها بامتصاصه ، وغير ذلك من أصوات . إنها تجربة غريبة ، تجد وقمها على الوجوه التي

كل منا يعيش حياة قبل الحياة ، حياة لها خصائصها وطبيعتها ، إنها الحياة داخل الرحم التي لها امتداد في الماضي له تأثيره - دون شك - على الأيام التالية لما بعد الولادة . يستطيع من يزور متحف التاريخ الطبيعي في لندن أن يدخل حجر

لكن ما يثير الدهشة في كل ذلك أن الطفل الرضيع قد لا يهتم بأي أصوات حوله في الوقت الذي يستجيب بشدة لصوت أمه ، ويبدأ ويكف عن البكاء إذا داعبته أمه بصوتها الحنون الرتيب . إن ذلك يبدو كأن هناك حبلا سريا آخر لم يقطع بعد الولادة ، لكنه متصل ، والطفل لا يستمد من هذا الحبل الغذاء والأكسجين كما كان جنينا ، لكنه يستمد منه الآن ذكريات الدفء والسلام المرتططين بحنان الأم وعطمها . إذ فالجنين يعيش في عالم من الأصوات ، يعايشها ويألفها ، ويمكن اعتبارها التجربة (بروفة) لحياته بعد الولادة في عالم الضوضاء . لكن ما العلاقة بين ما يسمى « موسيقا الرحم » وبين تعلم الطفل الكلام واللغة ؟ هل يولد الطفل مزودا بالاستعداد الفطري لعملية

طفلا بعد ولادته مباشرة في ظروف مشابهة لحياته داخل الرحم ، وتركنه دون لفائف أو ملابس فإنه يتخذ الوضع نفسه الذي كان عليه في رحم أمه بشنني رجلية ويديه ووصع أصبعه في فمه . كما أظهرت الأبحاث بصورة قاطعة أن الأطفال حتى سن الثلاثة أشهر الأولى من أعمارهم يتأهبهم الخوف والاضطراب إذا كانت أمهاتهم قد تعرض أثناء الحمل لحوادث اليمية أو صدمات نفسية ، أما الأطفال الذين ولدوا لأمهات عوملن بلطف ورعاية أثناء حملهن فإنهم أقل تأثرا بالخوف ، كما أنهم يبدون استعدادا أكثر للهدوء . وليس من سهل المصادفة كذلك أن الطفل المولود يميل إلى النوم والراحة إذا وصع في سرير متأرجح ، وهو ما يعود به إلى حياته داخل الرحم ، حيث كان يتأرجح مع حركة الأم

الرحمية على أشربة « تباع ، حيث ثبت أن لها تأثيرا يفوق فعل بعض الأدوية المهدئة للأطفال الذين لا يكفون عن الصراخ أو الهياج في شهورهم الأولى .

إن لذلك معنى آخر ، فالطفل الذي يولد لم يصادف الأصوات والضوضاء حوله لأول مرة ، بل إنه تعرف عليها وهو ما يزال جنينا لم ير النور . والحقيقة أن الأصوات الداخلية المتمثلة في دقات قلب الأم وضوضاء الهضم ليست هي التي يتأثر بها الجنين فقط لكنه يتأثر في الوقت نفسه بالضوضاء الخارجية التي يمكن أن تتعرض لها الأم وتتضاعف معها ، فنبضات قلب الجنين تزداد ، كما تضطرب حركته عند تعرض الأم لكل ما يثير فزعها أو اضطرابها .

وهكذا يعيش الجنين حياة الأم مثلها تماما ، وعبر الحبل السري تنتقل هرمونات الأم التي تؤثر بدورها على أجهزة الطفل وأنسجته . لكن السؤال الذي يطرح هو : هل هذه الضوضاء الداخلية أو الخارجية التي يتعرض لها الجنين تؤثر على حياته بعد الولادة ؟

إن طفلنا البشري يولد ولديه حنين غريب لحياة الرحم . ولعلنا نقول بطريقة أخرى : إن الحياة الجنينية التي تمتد تسعة أشهر تبدو كأنها كانت غير كافية ، فإذا وضعنا



إن صوت الأم يمد الطفل إلى حياة الهدوء والسلام في الرحم .

شيء أو كراهيته له ، ويختلف - دون شك - إيقاع الصراخ أو حدته في كل حالة ، فهو هاديء إذا كان مسرورا ، والثاني على عكس ذلك . واعتياد الطفل على الصراخ يجعله يشعر أنه يمكن أن يأتي به - أي بالصراخ - بإرادته ، فيعتاد منه التعبير الصوتي وتقليد الآخرين فيها بعد . وقد وجد أن تطور ملكة الكلام عند الطفل تتوقف على نمو الصراخ وكثرته ، خاصة الصراخ الدال على السرور .

من هنا نجد امتداد تأثير الطفل بضوضاء الرحم ، أو ما يسمى « موسيقا الرحم » ، فالطفل قد اعتاد على الأصوات جنينا ، واعتاد أن يفعل معها - كما وضحنا - وهو في شهور حياته الأولى ويظل متأثرا

الحضارة ، عن طريق تطور لغة التفاهم والاتصال عبر الأجيال في عمر تاريخنا كله . إن ما نريد أن نقوله هو أن الأجهزة المستولة عن عملية الكلام عند الطفل ، سواء كانت بشفيتين ولسانا وأسانا وحنجرة ، أو مناطق البصر والسمع واللمس والكلام في المخ ، يجب أن تعمل كلها معا ، ولعل هذا يفسر لنا سبب تعقيد عملية الكلام لدى الطفل .

والطفـل الوليد يبدأ بالصراخ ، وقد يمضي صراخ المولود حتى الأسبوع الخامس من عمره بلا مدلول ، إلا أن الخطوة الأولى في التطور تأتي بعد هذه الأسابيع إذ يأخذ الصراخ عنده معنى وله ، إنه يصرخ ليعلى عن سروره ، أو يصرخ معرا عن نفوره من

النطق ، أم أن عوامل البيئة هي وحدها التي تهيء الطفل لنطق الحروف وإخراج الألفاظ ؟ إن هذه الأسئلة تثير قضية طال فيها الجدل ، لكننا الآن أمام مفاهيم جديدة ، يمكن أن تضيف أبعادا أخرى لهذه القضية .

عملية الكلام

إن عملية الكلام عند الطفل ليست من العمليات السهلة ، بل هي من أعقد ما يجب أن يتعلمه الطفل في سنوات حياته الأولى . وطريقة إخراج الألفاظ ترتبط بصورة مباشرة بالشفيتين واللسان والأسان والحبـال الصوتية ، لكنها تتصل بصورة غير مباشرة وبأهمية أكثر بمناطق الترابط في لحاء المخ ، أو ما يسمى قشرة المخ . ومناطق الترابط هي المراكز المستولة عن البصر والسمع واللمس ، وارتباط كل هذه المراكز في المخ بمركز الكلام الذي يقع - غالبا - في النصف الأيسر من المخ .

والحقيقة أن مناطق الترابط هذه تضم مساحة واسعة جداً من سطح المخ البشري ، بما لا يمكن مقارنته بأماخ أي من المخلوقات الحيوانية ، إضافة إلى أن مركز الكلام لا يوجد إلا في المخ البشري فقط . ولعلنا بذلك نكون قد اكتسبنا حفتنا الإنسانية التي مكتنتنا من خلق

على هذه الشاشة تتحول الأصوات إلى أشكال لمساحة الطفل المصـب بالمصم على فهم معنى الكلام .



الكلام ، تكون جاهزة في مخ الطفل ، لكنها تأخذ شكلها مع نمو الجهاز العصبي للطفل ، وتطوره وتفاعله مع عوامل البيئة المحيطة به . وقد لا يتفق هذا تياما مع ما جاء به « تشومسكي » فيما يعرف بالنظرية اللغوية التي يقول فيها : إن الأطفال يولدون ولديهم نفاذ جاهزة للتركيب اللغوي ، أو بمعنى آخر ، أن الطفل يرث اللغة في رايه عن طريق أنظمة لغوية ترثها الأجيال جيلا بعد جيل .

إن القضية كما نرى - قضية الوراثة أو البيئة - لا يمكن القطع فيها بهذا أو بذلك ، بل إن المتفق عليه علميا أن لكل من الوراثة والبيئة تأثيرها على الفرد وتكوينه ، لكن ما يمكن أن يقال : انه قد يكون لاحدهما تأثير يفوق الآخر ، وبذلك نستطيع أن نقول : إن الطفل يولد ولديه استعداد « موروث » لتعلم الكلام واللغة ، ثم يكون للبيئة اليد العليا في تحقيق هذا التعلم أو عدم تحقيقه ، فالطفل يولد ولديه « مشروع » لتعلم الكلام ، لكن البيئة ، بعواملها المختلفة ، هي التي تنفذ هذا المشروع .

إن هذا يعطينا صورة واضحة عن أهمية البيئة ، ليس في تعلم الكلام واللغة فقط ، بل في تعلم السلوك الإنساني نفسه . □

ليست عملية قائمة بذاتها ، بل ترتبط بنمو حواس الطفل وتطورها ككل ، وتطور الكلام عنده يختلف مع اختلاف عمره ، ويمكن تحديد هذا التطور مع ملاحظة أن هذا التطور يختلف بين طفل وآخر ، وهذا في أغلب الأحيان لا يعني مرضا أو قصورا ، فطاقة الطفل المحدودة قد تميل إلى نمو يختلف عن سواء ، فالطفل الذي يتكلم مبكرا - مثلا - يمكن أن يتأخر في قدرته على المشي ، والعكس صحيح كذلك .

والحقيقة أن هناك سؤالا ما يزال بلا إجابة : هل تعلم اللغة عند الطفل يخضع لعوامل البيئة أم للوراثة ؟ قد لا يكون من السهل الإجابة بشكل قاطع ومؤكد ، إلا أن عدة حقائق يمكن أن تعطي المرء صورة كاملة لحقيقة هذه القضية .

فلنلاحظ أن الأطفال ، في جميع أنحاء العالم ، وبصرف النظر عن جنسياتهم ولغتهم الأصلية ، يخرجون الأصوات نفسها في الشهور الأولى من أعمارهم ، ثم تتخلب عوامل البيئة ونوعية اللغة المحيطة بهم في اكتسابهم لغة البلد الذي ينتمون إليه . إن ذلك يعني أن الطفل يولد ولديه استعداد فطري أو « بيولوجي » لتعلم اللغة بالتفاعل مع البيئة ، فهناك « برمجة » كاملة لعملية

بذلك ، فهو يفعل لأي تغير حادث في الوسط حوله أو في جسمه بالصراخ ، فالتغير في البيئة المحيطة به هو الفعل ، وصراخه هو رد الفعل ، وبعد وقت قصير يجد نفسه قادرا على إحداث 'صوت' ، كما أن اللبب التي تقدم إليه مثل « الشخايل » يمكن أن تصدر صوتا . إن تألفه مع الصوت وقدرته على إحداثه ، سرعان ما يتحولان إلى وسيلة لتلبية رغبة أو مطلب ، وخطوة بعد أخرى ، يتحول الصراخ إلى إيقاعات منتظمة ، ذات مقاطع صغيرة مثل : با - أو - ما - دا ، وهذه في الحقيقة أول مراحل الطفل لنطق الحروف وإخراج الألفاظ .

وسعادة الأسوين الظاهرة بنطق طفلها لأحد حروف الهجاء تشجع الطفل على التكرار ، كما أنه يستشعر سرور المحيطين به عندما يحاول تقليد أحد هذه الأصوات ، وهو إن كان في شهور عمره الأولى يعرف من نبرة صوت الأم وحدته ما الذي ترغبه أو تشعر به ، إلا أنه عندما يكبر قليلا يحاول أن يفهم معنى ما تقول ، ويرتبط ذلك في ذهنه بمفهوم معين .

ويمكن لتطور اللغة عند الطفل أن يسير في خطوات تأخذ في النمو مع تطور حالته « الفسيولوجية » بشكل عام ، لأن عملية الكلام - كما قلنا -

أجيال

لا تعرف صحبة الابوين

بقلم : نادية يوسف

اثنان زائد واحد ، هكذا يصف الأوروبيون عائلاتهم التي تتكون من أب وأم وطفل أو طفلين على الأكثر . ولكن ماذا عن العائلة الكبيرة ، هل انتهى عصرها مع تعقيد أساليب الحياة وارتفاع مستوى المعيشة وغير ذلك من التغيرات ؟

المقال التالي للقاء للضوء على مشكلات الأسر الكبيرة .

الضخم ، وكتب عليها أن تظل مطاردة بأسئلة عرجة : هل كل هؤلاء الأطفال ابنائك ؟ كيف أنجبتهم ؟ انظروا إلى هذا الجيش ؟ أين الوقت والتقود والصحة لرعاية كل هؤلاء ؟ وقد كان لزاماً على هذه

عدم قدرتهم على الحصول على شربة ماء . وعلى الرغم من أن قضية الأسرة الكبيرة قد حسمت منذ زمن ، خصوصاً في بلدان العالم المتقدم ، فلكل قاحدة دلتها شواذ ، فالأمر هناك لا يخلو أيضاً من عدد من العائلات التي اختارت ، بإرادتها أو بغيرها ، أن تكون من الأسر ذات العدد

لسنا في حاجة إلى إبراز أهمية أن تكون الأسرة الجديدة في حدود طفلين أو ثلاثة ، حيث صار طبيعياً أن يتكرر مشهد طفل في يد الأب وطفلة في فراع الأم . أما غير المؤلف اليوم فهو أن نرى صورة الأم التي تمشي في الطريق وتجر خلفها سبعة أطفال أو أكثر ، وإذا كان هذا للمنظر يتكرر كثيراً في الدول النامية ، فإن الأجيال الجديدة قد روجت حين استيقظت ذات صباح ، فوجدت الأطفال الأبرياء في أفريقيا يموتون بسبب



العدد - هكذا أوضحت الدراسة - وعلى سبيل المثال ، فالأباء لا يستطيعون تذكر أسماء الأطفال وأعمارهم ، وأن كل الأطفال في الأسر الكبيرة غير متفوقين في مراحل التعليم المختلفة ، أو يتعثرون في التعليم على الأقل واحد أو اثنان . ، وأن وجود الطفل في عائلة كبيرة يؤدي به إلى استعمال ملابس إخوته الكبار على الدوام ، وأنهم يعيشون في منزل جدران ملوثة وقذرة ، ولا يأكلون سوى الخبز ، والحبوب ، والمعكرونة .

وفي الواقع أن هذه الشائعات صحيحة إلى حد ما ، وهذا لا يمنع أن عدداً كبيراً من العائلات الكبيرة العدد يعيشون في محبوبة من المعيش ، وأفضل حالاً من الأسر الصغيرة العدد ، وأنهم مهتمون بأولادهم ، قلقون عليهم ، غير أن هذا يكلفهم الكثير من الوقت والجهد والمال .

إن الدراسات الحديثة تثبت ، بشكل ما ، أن عدداً قليلاً من الأسر التي تخطط لكي تصبح أسرة كبيرة العدد ، ولكن الأمر في معظم الأحيان يسير حسب الأحوال ، وإن كانوا لا يأخذون جهداً في سبل إسعاد صغارهم .

والغريب أن كتب التربية الحديثة والعناية بالطفل لا يقرؤها إلا الأسر التي تنجب طفلاً أو طفلين ، وحتى لو حاولت الأسر الكبيرة الاستفادة من هذه الكتب فإنها لن تتمكن من ذلك ، لأن هذه الكتب صنعت خصيصاً من أجل الأسرة الصغيرة .

إن الأشخاص المشتغلين بالفكر يكتفون دائماً بطفل أو طفلين ، لذلك اختارت المؤسسة ٥٠ أسرة ، ممن أنجبوا أربعة أطفال فأكثر ، وتتراوح أعمار الأمهات فيها بين ٣٨ و ٤٠ سنة ، وكلهن بلا استثناء أجمعن على أن أمنيتهن الكبرى هي أن تخففت حدة الضوضاء التي يحدثها الأولاد في المنزل ، وأنها عادة لا تخففت إلا ساعة الطعام ، ليحل محلها ضوضاء الأطباق والملاعق .

قالت الأمهات أيضاً : إنهن ينصحن ٦٧ ساعة في الأسبوع لمسؤوليات البيت والأولاد . بعض الأمهات يعملن خارج المنزل في مهنة مختلفة ، محاضرات أو مدرسات أو في مهنة كتابية ، أما الآباء فيعملون عمالاً ومهنيين ، وفي أحيان أخرى بمناصب إدارية متوسطة .

إن عدداً من الشائعات تخضع لها الأسرة الكبيرة

العائلات ، لندرتها وغرابتها ، أن تخضع للدراسات الاجتماعية شاملة متعددة ، وأن تحجب عن كل التساؤلات التي تدور حول « سيكولوجية » الإنجاب ، وكيف تحسن رعاية أبنائها ، وما تعانيه من مشكلات .

أم البنين والبنات :

منذ سنوات قليلة قررت إحدى المؤسسات التي تعمل في طب النفس أن تستثمر هذه الظاهرة ، لكي تعرف عن يقين كيف أمكن للأسرة الكبيرة أن تصبح كبيرة ، وما دوافعها إلى ذلك .

كل الإحصائيات الحديثة تشير إلى أن إنجاب عدد كبير من الأطفال أمر غير مرغوب فيه في المجتمعات المعاصرة ، حتى أن ٤٪ فقط من الأسر هي التي أنجبت أكثر من ثلاثة أطفال .



آباء ومهات :

« سوزان » أم لثمانية أطفال وهي في السادسة والثلاثين من عمرها ، تعمل ممرضة بقسم العناية المركزة في مستشفى كبير . تقول : إنني أواجه مشكلة أطفالتي بقدر كبير من النطق والعقل وسرعة الحركة في مواجهة المشاكل والتحديات ، إنني أسعد دائماً لأنني أستطيع عمل أكثر من شيء في وقت واحد ، وتؤكد : « ... تنظيم الوقت مهم جداً لسير الحياة اليومية العادية ، ولكنني كثيراً ما أسامح نفسي إذا أهملت في إنجاز شيء لأطفالي » .

ولكن الأمير ليس بهذه السهولة دائماً ، فلقد أثبتت الدراسة أن ٩٦% من الآباء في الأسر الكبيرة العدد يشعرون في أيام عديدة أنهم سيتحولون ، في وقت ما ، إلى مجانين ، إنهم يصرخون في وجوه أطفالهم ، أو يخرقون أنفسهم في حمامات ساخنة ، أو يجلسون منفردين مدة ساعات وراء أبواب مغلقة .

وتقول أم خمسة أطفال ، تصف نفسها : إنني عصية وفيضورية وعاطفية إلى أبعد الحدود ، أما زوجي فهو الهاديء في العائلة ، إنه من

الرجال الأذكاء ، يعرف كيف يقي نفسه من عذاب الأولاد ، إنه من فلك النوع الذي يتقاضى للمشاكل ، حل العكس مني ، فأنا أحب مواجهة التحديات والصعوبات ، أما هو فعندما تتأزم الأمور في المنزل ، بسبب الأولاد ، فأنه ينسحب في هدوء ، ليخرج أو لينام ، ولاذهب أنا وأولادي إلى حيث نشاء .

الدراسة تقول : إن الآباء - عموماً - يتميزون بالهدوء والنظام والحزم ، ويعيدون أنفسهم مشولين تماماً عن الإنفاق على الأسرة ، إنهم يعملون ساعات إضافية خارج المنزل ، ولذلك فإنهم عندما يعودون يطلبون الهدوء والراحة

من عناء العمل ، ولا شيء غير ذلك .

والحق أن الأسرة الصغيرة أيضاً لها مشاكل ، فإن « آن » مثلاً لديها طفلتان جميلتان ، وهي فخورة بذلك طبعاً ، لأنها تشعر أن لديها الوقت الكافي للعناية بالصغيرتين وبفضها ويزوجهما أيضاً ، ولكن - والكلام لأم الطفلتين - الصعوبة الحقيقية تكمن في كيفية تسلية إحدى الطفلتين أثناء غياب الأخرى .

وعلى الرغم من صحة المقولة التي تؤكد أن الصداقة بين الإخوة شيء له قيمة كبيرة ، فإن الوقت والمال يحسبان من الأشياء المهمة التي يجب وضعها في الحسبان دائماً ،



العائلة الكبيرة ، هل ولي عهدنا ؟

فقد أكدت ٤٦٪ من الأسر الكبيرة العدد أن عليها أن تكافح للمشاكل الصحية لأطفالها . وقالت ٢٤٪ من الأسر بأن لديهم طفلاً مصاباً بتعثر واضح في التعليم . ونحو نصف هذه الأسر لديهم طفل أو أكثر مصاب بمشاكل نفسية وعصبية ، أما ٤٥٪ من الآباء فيؤكدون أن أحد أطفالهم يعاني من حساسية شديدة ، ويحتاج لمزيد من الحب والرعاية أكثر من الآخرين .

إن الصورة ليست بهذه القاتمة دائماً ، ولكن هناك عدداً من الأسر الكبيرة العدد قد منحه الله طفلاً أو أكثر من الموهوبين في أي فرع من فروع العلم أو الفن .

الأطفال والمسؤولية :

والغريب في الأمر أن الأطفال الكبار في هذه الأسر يتحملون المسؤولية في وقت مبكر جداً ، ربما أكثر مما تتحمله أعمارهم الصغيرة ، ذلك ما تقوله أم لسبعة : «ماذا أفعل ؟ إنني أفترض الصدق والأمانة والتصرف السليم من أولادي ، وأدعو الله أن يكون افتراضي صحيحاً ، بحيث لا أضطر لمراقبتهم في غيبتهم ورواحهم ، لأنني لا أستطيع

بأي حال من الأحوال أن أفعل ذلك مع سبعة أطفال » .

إن التفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة لا بد أن يتم بدرجة ما ، فإذا كنت أباً لطفلين فإن هناك طريقاً واحداً فقط للتفاعل مع الطفلين ، وإيجاد وسيلة للتفاهم بينهما ، أما إذا كانوا ثلاثة أطفال فأكثر فإن هناك أكثر من طريق لإحداث هذا التفاعل . هكذا يرى أصحاب الأسر الكبيرة العدد ، أما الدراسة فتري أن إمكانية التعاون والمشاركة والعراك أيضاً فموجودة بدرجة كبيرة ، ولهذا فإن الأطفال في الأسرة الكبيرة العدد لهم سياسة خاصة بمشاعر الحب بينهم . وتظهر هذه المشاعر على هيئة تقارب بين طفلين بحكم السن أو الجنس أو الاشتراك في غرفة نوم واحدة ، أو بين طفلاً كبير يعد نفسه مسؤولاً عن أخيه الأصغر . أياً كان الأمر فإنه من المحال أن يظهر الأطفال الحب بعضهم لبعض بشكل متكامل تماماً ، ولكن الآباء يستغلون فرصة التعلب هذه ، للاستفادة منها في تهيئة جو مناسب للمذاكرة أو اللعب أو الطعام أو النوم ، ومنهم من يستغلها بطريقة أكثر فاعلية ، عندما يكلف الأخ الأكبر بتوضيح بعض الدروس لأخيه

الصغير . . وهكذا يفلت الآباء من هذه المسؤولية .

والحق أن هناك نوعاً من المساعدات لا يستطيع الطفل الكبير أن يقوم بها ، وهذه حالة أم لخمسة أطفال ، كتبت تقول : إن صغيرتنا ولدت معاقة ، برأس صغير وحجم مخ غير طبيعي ، ونظرها ضئيل أيضاً ، وهي تبلغ من العمر ٢١ شهراً ، لذا تحتاج لمساعدة منتظمة ، ونحس بالراحة مع شقيقتها الفتيات ، إنهن يقدمن لها كل مساعدة ممكنة ، ولكنني - وهذا هو المهم - أحس بالذنب لأنني أحملهن فوق طاقتهن بالنظر إلى أعمارهن الصغيرة .

وتبقى المقولة المهمة هي أن اختيار عدد من الأطفال الذين ستجهم الأسرة ، مهم جداً لكي تستطيع التصرف على أفضل الطرق لتشتتها ، وإمكانات الوالدين النفسية على الأقل لرعاية الصغير ، لأن طفلاً قوياً ومتعلماً يضيف قوة وشموعاً لمجتمعنا الخلاق الذي يحتاج لأن تفكر مرتين ، كي نعرف ما هو العدد الذي نستطيع أن نرعاها نفسها واجتماعياً وليس مادياً فقط ، دون أن نتعرض - نحن - لضغوط نفسية لم تكن في الحبان . □

هو.. هي

الشريك المخالف

لون ونوع . وإذا اقترحت عليه الذهاب لتناول العشاء في أحد المطاعم قال : إنه لا يجب التجمعات الكبيرة والأماكن الصامتة ، بل يفضل عليها الجلوس مع عدد محدود من الأصدقاء ، وإن أثرت تجنب المشاكل وجلست أشاهد التلفاز قال : إنني أمله وأعطى للتلفاز اهتماما أكبر . وإن تصفحت مجلة أو قرأت كتابا قال : إن هذا منزل وليس مكتبة عامة ، فدعينا نتحدث !

إنني أختشئ التحدث مع أحد حول هذه المشاكل ، لأنني أعلم كم هي صغيرة وثافئة ، ولكنها على الرغم من صغرها تشيع في منزلنا الصغير تؤثرنا لا يبدأ إلا عند ذهابنا إلى العمل . وكل ما أرجوه هو أن تكون هذه الفترة مرحلة عابرة من حياتنا الزوجية التي كانت خاتمة قصة حب تحللت صعابا كبيرة .

يكن لنا أن نتوقعها لبساطتها ، وسخفها أحيانا ، فقد لاحظت اهتمام زوجي ببعض التفاصيل الصغيرة ، وإعطائها أهمية أكبر بكثير من حجمها الحقيقي ، فقد بدأ يوجه لي الانتقاد ، لأنني مثلا أتأخر في النوم أيام العطلة ، على الرغم من أنه قد قرر البقاء في المنزل وعدم الخروج ليمارس « راحته التامة وحرية المطلقة » كما يقول . ثم بدأ بافتعال مشكلات صغيرة أخرى على هذا النحو ، فإذا قلت له : إن الطقس اليوم جميل ومناسب للخروج إلى البحر قال : إن الشاطئ سيكون مزدحما بأناس من كل

يقال : إن أبهام الزواج الأولى هي التي تحدد مصيره ، فإذا تم اجتياز الأشهر الأولى للزواج بسلام فإنه سيصمد ويستمر . وإلا فالنهاية غير سعيدة لحدث يفترض أن يكون سعيدا . ومنذ تزوجنا ، وأنا حريصة على عدم إثارة أي مشكلة مع زوجي ، خاصة أنني عرفت ما يغضب ويزعجه ، كما عرف هو ما يثيرني ويكدرني قبل الزواج . ولكن يبدو أن وجهة النظر التي تقول : إن الخلافات جزء أساسي من الحياة الزوجية صحيحة تماما ، فقد ثارت بيننا مشاكل لم نتوقعها قط ، ولم



هي..

اختلافات زوجية

التجمعات الصغيرة ، حيث يمكن لكل الجالسين التعبير عن أنفسهم ، واستماع بعضهم الى بعض بوضوح ، مما يجعل الجلسة أكثر قرباً وحميمية . وهكذا .

إن زواجنا ما زال في شهوره الأولى ، ونحن لما تنجب أطفالاً بعد ، وأعترف بأنني لا أواجه مشكلات كبيرة ، وكثيراً ما أقنع نفسي بأنني سأعتاد حل هذه الأمور في المستقبل عندما تواجهني المشكلات الحقيقية للحياة الزوجية ، حينذاك ستصبح لي الفرصة لاكون حكيماً بالفعل .

.. هو

من الأعمال ، أما زوجتي فلأنها تفضل النوم حتى ساعة متأخرة ، مما يزعجني كثيراً . وأنا مثلاً أحب أن أقضي وقتي بالحديث معها ومناقشتها ، وهي تفضل مشاهدة التلفاز بمسلسلاته السخيفة المملة . وهي تحب الخروج إلى شاطئ البحر أو إلى البر أو إلى أي مكان آخر ، فأنهم عندها هو الخروج من المنزل وكفى ، أما أنا فأحب أن أظل داخل منزلنا الهادئ ، الوادع ، حيث يمكنني الحصول على الراحة التامة والحرمة المطلقة . هي تحب ارتياد الأماكن العامة والمتزهات والحفلات التي تبدو لي صاخبة لا تحتمل . وأنا أفضل

كثيراً ما سمعت من أصدقائي الذين سبقوني للزواج أنه - أي الزوج - « حالة » جديدة بالبحث والدراسة والتأمل ، ولأنني لست دارساً أو باحثاً ، فأنني أتوقف لأتأمل حياتي الزوجية التي بدأت أخيراً ، لعلني أخرج باستنتاج ما ، أو خلاصة معينة حول هذا الأمر أو ذاك من شؤون الحياة الزوجية ، يزيد خبرتي ويثري معرفتي .

وأخيراً ما وقفت لأتأمله ، تلك المشكلات الصغيرة التي لا يتبها لها أحد ولا يكثر لها الأزواج ، وقد توصلت إلى ما يشبه اليقين بأن هذه المشكلات الصغيرة هي التي تحسم أمر الزواج نحو النجاح أو الفشل ، فزوجتي امرأة ناضجة مهيبة لبقة ، وأهم من هذا كله أننا تزوجنا بعد قصة حب طويلة . لكن هناك أشياء لا يمكنك اكتشافها في زوجتك إلا بعد الزواج . فأننا مثلاً تعودت أن استيقظ مبكراً لأبداً يسومي نهيلاً ، وأنجز أكبر عمل يمكن





طبيب الأسرة قضايا منزلية

الطبيب مريض

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

فيهم ، ويشكك في كفاءتهم العلمية ، لهذا نجدهم يكابرون ويجهلون في إخفاء العوارض الأولى ، إلى أن يعجزوا عن الاحتمال ، ولكن بعد فوات الفرصة في الكشف المبكر ، وبعد أن يتمكن المرض منهم ويصبح علاجه صعباً بعد أن يستفحل ويتفاقم .

وغالباً ما يلجأ بعض الأطباء في بادئ الأمر إلى تقمص شخصية مزرعوبة ، هي شخصية الطبيب إلى جانب شخصية المريض ، ولهذا فإن الطبيب المريض عادة ما يفقد التسلسل المنطقي المتبع في التشخيص والعلاج على السواء ، فنرى الطبيب يقوم بعملية عد تنازلي مع نفسه ، بدلاً من العد التصاعدي

الإصابة ، بما يعرف اصطلاحاً ببديل العدوى أو بديل طبيعة العمل ، بل إن بعض الولايات الأمريكية قد ذهبت إلى سنّ القوانين التي تحكم هذه الظاهرة ، وتنظم قواعد التعامل فيها عرف عندهم بتشريعات الطبيب المريض .

كما قام المجلس الطبي في بريطانيا بوضع قواعد قفوتية ، تحكم أسلوب التعامل مع الطبيب المريض ، بما لا نجده في أي مهنة أخرى .

كثير من الأطباء الذين مارسوا الطبقة سنوات عديدة أصبح صعباً عليهم أن يتمصوا شخصية المريض ، ويصعب عليهم الاعتراف بجزئتهم أمام المرض ، فتاعة منهم أن اعترافهم هذا يبرز الثقة

يؤكد رأي شائع أن أسوأ المرضى هم الأطباء ، في وقت تسود فيه قناعة متناقضة بين الناس بأن الأطباء لا يمرضون ، لهذا تملك الدهشة عاصمة الناس ويسودهم الاستغراب إذا ما علموا يمرض طبيب ، لأنهم يفترضون فيه العلم بخفايا الأمور وأسرار الصحة والمرض ، مما يستطيع معه الطبيب أن يتفادى كل حلة ، وأن يتفادى كل مرض ، متغافلين عن الحقيقة بأن بعض الأمراض لا حيلة لأحد في تفاديا ، بل ربما كانت طبيعة العمل في الحقل الطبي تجعل الطبيب أقرب إلى الإصابة بالمرض والعدوى ، بدليل أن المؤسسات والمؤسسات الطبية تموض الأطباء عن خطر

الإشعاع :

الاشعاع ، وابتكار أساليب الوقاية التي نجد من أبرزها حماية الصاملين بموازل من الرصاص ، والزامهم بحمل عدادات خاصة تقيس مدى تعرضهم للإشعاع ، حتى يمكن عزل من زادت نسبة تعرضه له ، وأصبح احتمال ضرره قائما ، في الوقت المناسب قبل استفحال الخطر .

أمراض القلب :

حتى عهد قريب كانت أمراض القلب التاجية شائعة بين جمهور الأطباء ، وتفق في معدلاتها معدلات انتشارها بين عامة الناس . وربما كان التعليل المقبول لهذه الظاهرة هو انتشار عادة التدخين بين الأطباء ، قبل أن تعرف أخطاره

منذ أن ابتكروا وتجن أشعته السنية ، والطب هو المجال الأرحب لاستعمالها في التشخيص ، غير أن أخطار هذه الأشعة على الكائن الحي لم تكن معروفة في أول عهدها ، فأسرف الأطباء في استعمالها دون حرص منهم على الوقاية ، فكان الثمن هو حياة الكثيرين من كانت هذه الأشعة مجال عملهم . وحتى عهد قريب كان تأثير هذه الأشعة المدمر على خلايا الدم والمتسبب في سقوط الشعر وسرطان الجلد أمراً شائعاً مألوفاً بين الأطباء ، ومن يعمل معهم في مجال الإشعاع ، غير أن هذا الأمر قد انحسر خطره مع إدراك مخاطره

للتشخيص ، بمعنى أن الطبيب يفترض في أسباب العلة التي أصابته أسوأ الاحتمالات ، بدلا من أن يبدأ بالأسط ، وهو لهذا يتعاطى أقوى العقاقير وأشد الأدوية تأثيراً ، مما يعقد الأمر ، فطبيب ما ، قد يلاحظ عند السعال بصاقاً فيه دم مثلاً ، فيقفز إلى ذهنه احتمال الإصابة بسرطان الرئتين ، بينما الاحتمال الأولي أنه مجرد احتقان في الحلق .

من هنا كانت التقاليد الطبية تقضي بعدم تولي الطبيب علاج نفسه أو علاج أحد أفراد أسرته المقربين إليه ولكن الظاهرة السائدة هي أن يقصد الطبيب المريض - بعد أن يفشل في علاج نفسه ، ويضع الفرصة الذهبية في تشخيص مبكر لمرضه ، وعلاج بسيط - إلى الاستماعة بطبيب صديق أو قريب ، وهو أمر يؤدي بالتالي إلى معاملة خاصة ، لأنه مريض متميز ، يستأثر بعناية خاصة ، مما أدى إلى ظاهرة غريبة في عالم الطب ، أطلقوا عليها اسم « مرض التوصية » الذي يتميز بحدوث كثير من المضاعفات والإشكالات التي يخشاها الطبيب المعالج على مريضه ، ويبررون هذا بزيادة الحرص الذي قد يدفع إلى نقيض ما نتطلع إليه ، وهو خطأ .



وأضراره على وجه التحديد ، حتى أن التدخين كان يبدو إحدى مقومات مظاهر الأطباء الشائعة ، وعادة مميزة من عاداتهم التي يتباهون بها .

طول العمر :

من المظاهر الساخرة التي سادت حتى عهد قريب أن يقدر معدل عمر الطبيب بحوالي ٥٧ عاما في المتوسط ، وهو الإنسان الذي يفترض فيه أن يدرك أسباب الصحة والمرض ، ويعمل من أجل الحياة ، بينما يصل متوسط عمر ضباط الجيش إلى ٧٥ عاما ، وهم الذين نلدروا أنفسهم للموت والتضحية . ولعل التعليل الذي ساقه بعض المختصين لهذه الظاهرة الغريبة هو أن الطبيب يقع تحت عبء الإجهاد الجسدي والتوتر النفسي ، فيما يقضي ضباط الجيش أيام العمر في ممارسة الرياضة البدنية ، وتوفر لهم إمكانيات الراحة الجسدية والنفسية دوما ، غير أن الحال في السنوات الأخيرة قد اختلف بالنسبة للأطباء ، حيث أصبح معدل العمر للطبيب أطول من معدل عمر الإنسان العادي ، نظرا للإقلال من التدخين ، والحرص على تفادي الأسباب المدمرة الأخرى للصحة ، مثل

الكوليسترول والدهنيات الأخرى وملح الطعام ، مما قلت معه احتمالات إصابة القلب أو ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين وما إلى ذلك من أمراض أخرى قاتلة .

الأمراض النفسية :

أكثر من دراسة جادة جرت في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لفهم الحالة النفسية للأطباء ، ومآحية الأمراض العقلية الشائعة بينهم ، نظرا لخطورة معاناة الطبيب من مرض نفسي أو عصبي على أسرته من ناحية ، وعلى مرضاه من ناحية أخرى .

وقد أظهرت الدراسات الأخيرة أن معدلات الانتحار والإنسان بين الأطباء الأمريكيين والانجليز مرتفعة ، لدرجة تشكل ظاهرة خطيرة ، إذ قد تصل إلى ثلاثة أضعاف معدلاتها بين عامة الناس .

ولو تناولنا قضية الانتحار التي ترتفع معدلاتها بين الأطباء بصورة مثيرة للدهشة فلنأثتؤكد سعة انتشار مرض الاكتئاب النفسي بين الأطباء .

الحياة الأسرية :

الصحة الاجتماعية دليلها الاستقرار الأسري للإنسان ، غير أنه من الملاحظ أن قضية

الانتحار أو الشروع فيه أكثر احتمالا بين المطلقين من الأسرة الطيبة ، بينما تتدنى النسبة بين المتزوجين الأسوياء السعداء في زواجهم ، المستقرين أسريا . وإذا كانت نسبة الانتحار بين المطلقين من عامة الناس تزيد بمعدل ثلاثة أضعاف معدلها عن أصحاب الأسر السوية السعيدة المستقرة ، فالأمر بين الأطباء يزيد ١٣ ضعفا ، ولعل تفسير هذه الظاهرة كما يرى علماء النفس هو :

١ - سهولة الحصول على العقاقير القاتلة بالنسبة للأطباء .

٢ - انتشار حالة الاكتئاب بين الأسرة الطيبة .

٣ - تعامل الأطباء مع الصحة والمرض أزال من نفوسهم مشاعر رهبة الموت ومواجهة قتل الذات .

والذي يشد الانتباه أن الطبييات هن أكثر ميلا للانتحار من الأطباء الذكور ، بل الأغرب أن إحدى الدراسات قد أشارت إلى أن الطبييات المتخصصات في الأمراض النفسية هن أكثر تلك الفئات انتحارا ، غير أن هذه الدوى تحتاج إلى دراسة أشمل وأعمق لقبولها أو رفضها . لا غرابة إذن أن يقال : إن أهوا المرضى هم الأطباء . □

اختيار

« كان علي أن أختار فاخترت » ، هذه الجملة ذات الوقع الأليف والمعنى الملتبس أسمى صديقي حكاية فشل في زواجه ، وهو أمر كان متوقعا منذ البداية ، لكنه أصر على إتمامه إصرار طفل على اللعب بما يؤذيه .

كان مطالبا بأن يختار ، والاختيار حرية قبل أي شيء آخر ، وبكلمات أخرى ، كان صديقي مطالبا بأن يمارس حريته ، فأي جدل هذا الذي جعله مجبرا على ممارسة أمر يفترض أن يكون إراديا تماما . وواصل صديقي حديثه ، وكأنه يمثل على مسرح الحياة بلقي « مونولوج » الأخير :

« دون اختيار تولد ، وتبسط أمامنا الحياة بعد ذلك ، بعدد لا ينتهي من الاختيارات : اختيار في الحب ، واختيار في اللعب ، واختيار في العمل ، واختيار في الصداقة ، واختيار في الاهتمامات ، واختيار في التوجهات ، اختيار فيها نقرأ وفيها لا نقرأ ، وفيها نشاهد أو لا نشاهد ، وفيها نفعل أو لا نفعل ، وفيها نقول أو لا نقول . اختيارات لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة ، ولا تتوقف إلا بتوقفها ولكن على الرغم من هذا الفضاء الفسيح من الاختيارات المتاحة ، فإنك لا تختار مستطبك ، فالمستقبل هو الذي يختارك بقدر ما تختاره ، والحياة هي التي تأخذك في دوامة من الاختيارات : اختياراتك للآخرين واختيارات الآخرين لك . فبمر هذه الفرص المتاحة يقع عليك الاختيار بقدر ما يكون عليك أن تختار .

الاختيار حرية ، لكنها ليست حرية مطلقة ، بل حرية بها شبهة القيد . والاختيار حق ، لكنه الحق المشروط بحقوق الآخرين التي لا تنتهي ، والاختيار امتياز بشري خالص ، فبر أنه في الوقت نفسه فتح لباب الحياة على حيرة تتجدد بتجدد الاختيارات ، وتعمد بتصدها ، تستمر طالما استمرت الحياة

الاختيار فرصة تمنحها الحياة لنا لاتخاذ القرار الصائب ، لكننا نكتشف أن القرار الصائب ليس هو بالضرورة القرار المناسب ، وإن القرار المناسب ليس هو بالضرورة المتوافر ، وإن توافر فاته ليس بالضرورة اختياراً مشروعا ، فيفتح باب الاحتمالات على مصراعيه نحو حيث الحياة التي تطلقك بقدر ما تقيّدك ، وتوفر لك من الفرص بقدر ما تميّلك من اختتامها ، وتتيح لك من المنع بقدر ما تحرمك منها .

إنه وهم كبير ، يقدم لنا على شكل حقيقة شبه مطلقة ، سراب يترامى لنا في عطات الحياة المصرية العديدة ، وما علينا سوى الاختيار »

استمعت إلى صديقي حتى النهاية ، لم أناقش حديثه الذي لم أتفق معه كله ولم أرفضه كله ، واكتفيت بالصمت « الصائب » الذي اشتعل بداخلي . كم هو صعب ورميب أن تكون حرا ١٩١ .

صلاح حزين

جمال العربية

□ مفعلة لغوية

□ هكذا غنى الأبناء

بقلم : الدكتور حسن عباس

متراذفات أسلوبية

كلامي هذا لجميع الطبقات أجناسا من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس .. المحمولة على الاستعارة والتلويح ، على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة ، دون مذاهب المتشددتين والمتخاصمين ... ملتقطة من كتب الرسائل وأفواه الرجال ... ومتخيرة من بطون الدفاتر ومصنفات العلماء ، فليست لفظة منها إلا وهي تنوب عن أختها في وضعها من المكاتبة ، أو تقوم مقامها في المحاورة إما بمشكلة أو بمجانسة أو بمجاورة . فإذا عرفها العارف بها وبإمكانها التي توضع فيها كانت له مادة قوية وهونا وظهورا .

ومن أمثلة ما تخيره المحدثان في كتابه من الألفاظ والعبارات المترادفة ما جاء بمعنى إصلاح الفاسد ، تقول : لم فلان الشعث ، وضم النشر ، ورم الرث ، وسد الثغر ، ورقع الحرق ، ورتق الفتق ، وأصلح الفاسد ، وأصلح الخلل ، وجمع الشتات ، وجبر الوهن . وكل هذه العبارات تدور حول معنى الجمع بعد التفريق والإصلاح بعد الخلل . فإذا صلح الفاسد قلت استقام المائل ، واتشعب الصدع ، وانجبر الوهي ، وانحسم الداء ، وارتقى

اشتهرت مدينة همدان في تاريخ الثقافة والفكر العربيين بأسسها عدد من الأعلام ، منهم من ولد فيها واتخذها دار إقامة ، ومنهم من توسد ثراها ولم يكن من أبنائها . أما الأعلام ممن ولدوا فيها فهي مقدمتهم بديع الزمان الهمداني الذي توفي في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، وكان شاعرا أديبا من أئمة الكتاب ، وقد اشتهر بكتابه « الرسائل » و « المقامات » . وأما من توفوا فيها ولم يكونوا من أبنائها فهي مقدمتهم ابن سينا أبو علي الفيلسوف الطبيب ذو الشهرة الواسعة .

عل أن هناك كاتباً وشاعراً من همدان أيضاً ، لم يترك من المصنفات إلا القليل ، ولكنها - على قلتها - كثيرة النفع وعظيمة الفائدة ، أفضلها كتاب « الألفاظ الكتائية » . وهذا الكتاب الشاعر هو عبد الرحمن بن عيسى الهمداني الذي توفي في القرن العاشر الميلادي . وفي هذا الكتاب عكف الهمداني على ألفاظ كان يتداولها كتاب الرسائل والدواوين ، فعمد إلى المترادفات منها أو للتشابهات في المعنى ، وتبني استعمالها ودورانها في لغة أولئك الكتاب وأساليبهم ، وجمع أعدادا كثيرة منها ، وصنفها في أبواب بحسب المعنى . وفي ذلك يقول : « فجمعت في

السير الشديد) ، وتتلبع في حياته ، وتله في ضلالتة ، ولج في خلواته ، وسدر في فيه ، وسعى في حياته ، وترقى في جهاته ، وجمع في غوايته ، وأمن في إسماته ، وشرب في عشواته .

وفي باب العفو تقول : عفت عن فلان ، وصفت عنه ، ونجاوزت عن ذنبه ، وأغضيت عنه جفني . ويقال : تغاضيت عنه ، أي تغافلت عنه ، وأقلت عثرته ، وأنبهت من كبوته ، وأنبهت من ورطته ، وكظمت غيظي ، وأبقيت عليه ، وأغضيت منه على قلبي . ومن قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : « كم أغضي الجفون على القلبي ، وأسحب ذيلي على الأذي ، وأقول : لعل وعسى » .

ويقال في باب الزلة والخطأ : كان ذلك من فلان زلة ، وهفوة ، وعثرة ، وسقطة ، وفلة ، وكبوة ونبوة . ومن الأمثال في هذا : لكل جواد كبوة ، ولكل صابر نبوة ، ولكل عالم هفوة .
ويقال في باب الغيظ : غضب الرجل غضبا ، واختاظ اختياطا ، وتضرم تضرما ، واحتدم احتدما ، واستشاط استشاطا ، وامتنع امتناعا . وتقول : ضمد فلان على فلان ، وحرد وحيد ، ولقد فار فائره ، وهاج هاتجه ، ووجدته مغيفا ، ونحنا ، ونحفا .
وخلاصة القول أن طول عمر اللغة العربية ، وكثرة التابيح عن أودعها أسرار فصاحتهم ، ونبرج قرائحهم ، قد أغناها ، ووسع مجالات التعبير فيها ، بحيث يمكن إيصال المعنى الواحد بوسائل مختلفة ، وأساليب متنوعة ، فاللفظ زينة المعنى ، والمعنى هادى اللفظ . □

الفتى ، واعتدل الليل ، وانعدل الكلام .
وفي باب اللوم ترد ألفاظ وصبارات يشيع استعمالها بين الأدباء والكتّاب ، لم ينل منها الزمن ، ولم يفسدها طول العهد . تقول : لمت الرجل لوما ، وعدلته عدلا ، وأثبته تأثيبا ، وفرعته تفرعا ، وريخته تويخا ، وبكته تبيكتا ، ولحيته لحيا ، وعنته تعنفا . فهي المعاتبه ، ثم اللوم ، ثم التقرع ، ثم التوبيخ ، ثم التائب .

ومن ضروب اللوم أيضا قولهم : استلم الرجل ، واستلام والام إذا فعل فعلا يلام عليه فهو ملوم ، وما زلت المجرع فيك الملائم . ويقال : لام فلان غير ملوم ، وذم غير مذموم ، وأنحى فلان على فلان باللائمة ، وأحال عليه بالتمنيف .

ومن العبارات الشائعة في باب التوبة قولهم : تاب الرجل من ذنبه ، وأتاب ينيب إنابة ، وأفاده يفيء فيا وفية . ويقال : غسل إسماءه ، وبها ذنبه ، وأعتب يعتب إعتابا ، والاسم المعنى وهي المراجعة ، وأقلع عنه إقلاها ، ونزع عنه نزوها . ويقال أعتب الرجل إذا تاب . ويقال استغاق استغاقة ، وأرهوى أروعاه ، وانتهى انتهاء ، ولرتدع ارتداه ، وقد أقصر الرجل إقصارا . ويقال : أقصرت عن الشيء إذا نزعته عنه ، وقصرت عنه إذا عجزت عنه قصورا ، وقصرت فيه إذا فرطت فيه . ويقال إذا رجع عن توبته : لرتد ، وانتكت ، ونكس على عقبه ، وارتنس .

وفي باب التباهي في الضلال تقول : تمادى الرجل في غيه ، وأوضع في جهله (والإيضاح :

المؤلف : لقد اكتشفت لأول مرة بعد عشر سنوات من التأليف أنني لا أصليح للتأليف إطلاقا .
الصادق : وهل تنوي اعتزال التأليف ؟
المؤلف : كيف أفعل ، وقد صرت شهيرا كما ترى ؟



جَمالُ العَرَبِيَّةِ

□ صفحــة شعــر □
□ هـكـذا غـنـى الأـنـبـاء □

بعض محاسن "اليتيمة"

وكما اختلف الرواة في نسبتها الى شاعر معين ، اختلفوا أيضا في القصة التي نسجت حولها . على أن هنالك قصتين متداولتين لا يتسع المقام للذكر أكثر من واحدة منها : وهي رواية جرجي زيدان في مجلة الهلال ، وقد نشرها في مطلع هذا القرن : «ذكروا . . أن فتاة من بنات أمير من أمراء نجد ، بارعة الجلال ، اسمها دعد ، كانت شاعرة بليغة ، وفيها أنفة ، فخطبها الى أبيها جماعة كبيرة من كبار الأمراء ، وهي تأبى الزواج إلا برجل أشعر منها ، فاستحث الشعراء قرائحهم ، ونظموا القصائد ، فلم يعجبها شيء مما نظموه . . . وكان في جملة شاعر بليغ ، حدثته نفسه أن ينظم قصيدة ، (ويذهب بها الى نجد) فالتقى في طريقه بشاعر (آخر) ، فلما اجتمعا باح التهامي لصاحبه يفرضه ، وقرأ له قصيدته ، فرأى أن قصيدة التهامي أهل طليقة من قصيدته ، وأنه إذا جاء بها الى دعد أجابته الى خطبتها . فوسوس له الشيطان أن يقتل صاحبه ، ويتحمل قصيدته ، فقتله ، وحل القصيدة حتى أتى نجداً ، ونزل على ذلك الأمير ، وأخبره بما حله على المحبي . فدعا الأمير ابنته ، فجلسه بحيث تسمع بقرى . وأخذ الشاعر ينشد القصيدة ، فأدركت دعد من

لقد سميت هذه القصيدة «اليتيمة» لأن قائلها مجهول . وقد وردت أربع روايات للقصيدة ، تبدأ كلها برواية القاضي أبي القاسم التنوخي ، وتنتهي بالشاعر المجهول ، إلا واحدة منها ذكرت أن القصيدة ربما كانت من نظم دوقلة النجبي . ولم ترد على ذلك .

وهناك من الرواة من يدعي أنها من «غفل» شعر ذي الرمة ، الشاعر الأموي المشهور . أما ناشر القصيدة المعاصر ، وهو الدكتور صلاح الدين المنجد ، فيعقب على ملاحظات الرواة بقوله : « . . أما دوقلة فلم تذكره الكتب والمصادر مطلقاً . وقد وجدنا أن اسمه في سند ابن خير الحسين بن محمد النجبي ، ولقبه دوقلة . وزعم عيسى اسكندر المعلوف أن اسمه دوقلة العبد ، وأنه أخذ ذلك من مخطوطة المكتبة الظاهرية ، وليس في مخطوطة الظاهرية هذا الاسم .

من هذه الروايات ، ومن غيرها ، يتضح الخلط والاضطراب في نسبة القصيدة ، مما يرجح إيفاءها «يتيمة» ، ليس لأنها تسيبت في مقتل ناظمها كما ذهب إحدى الروايات فحسب ، بل لأن القطع في نسبتها إلى شاعر بعينه أمر متعذر .

لهجته أنه ليس عماميا ، ولكنها سمعت أثناء إنشاده أبياتا تدل على أن ناظمها من عمامة ، فعلمت بنهايتها أن الرجل قتل صاحب القصيدة ، وانتحل قصيدته ، فصاحت بأبيها « اقتلوا هذا ، فإنه قاتل بعلي » ، فقبضوا عليه واستنطقوه فاعترف .

والقصيدة مكونة من ٦١ بيتا ، وقد يزيد هذا العدد أو يقل تبعا للمخطوطة التي ننظر فيها ، وهي في أربع مخطوطات .

تبدأ القصيدة بالوقوف على الأطلال ، ثم يلي ذلك وصف دعد وصفها حسيا جيلا ، يليه غزل رقيق ، يتم عن مشاعر فياضة ، وتختتم بأبيات في الحكمة ورفعة النفس . وقد اخترنا بعض أبيات الوصف :

تَغْفِي عِلَّ ذَهَبٍ وَمَا حَفَلَتْ
إِلَّا بِجَرٍّ تَلْهَفُنِي ذَعْدُ
بِضَاءٍ قَدْ لَيْسَ الْأَدِيمُ أَدِيمُ
الْحُسْنِ فَهُوَ جَلْدُهَا جِلْدُ
ويزينُ فُودِيَا إِذَا حَسَرَتْ
ضَائِي الْغَدَائِرِ فَاجِمٌ جَعْدُ
فَالوَجْهُ مِثْلُ الصَّبْحِ مِيزُ
وَالْفَرْعُ مِثْلُ اللَّيْلِ مَسُودُ
غِذَانُ لَمَّا اسْتَجَمَعَا حَسَنًا
وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضُّدُّ
وَجِيئُهَا صَلَتْ وَحَاجِبُهَا
شَحَتْ الْمَخَطُ أَرْجُ تَمْتَدُّ

وَكَاثِبَا وَسَقَى إِذَا نَظَرَتْ
أَوْ مُدْنَتْ لَمَّا يُقْبِ بِعَدُ
بَقْتُورَ عَيْنٍ مَا بِهَا رَمَدُ
وَيْسَا تَدَاوَى الْأَعْيُنُ الرَّمَدُ
وَتَرِيكَ عِزِّيْنَا بِهِ قَسَمُ
وَتَرِيكَ عِدَا لَوْنُهُ الْوَرْدُ
وَتَجِئُ بِسُرَاكِ الْأَرَاكِ عِلَّ
رَيْلٍ كَأَنَّ رُضَابَهُ الشَّهْدُ
وَالْجَيْدُ مِنْهَا جَيْدُ جَازِيَةٍ
تَعْمَلُو إِذَا مَا طَالَمَا الْمَرْدُ
وَكَاثِبَا سُقِيتَ تَرَائِبُهَا
وَالنَّحْرُ مَاءَ الْحَسَنِ إِذْ تَبَدُّ
وَامْتَدَّ مِنْ أَعْضَادِهَا قَصَبُ
فَعَمَّ زَهْنُهُ مِرَافِقُ فُرْدُ
وَلَهَا بَنَانٌ لَوْ أَرَدَتْ لَهُ
عَقْدًا بِكَفِّكَ أَتَكُنَّ الْعَقْدُ
وَالْمُعْصِمَانِ فَمَا يُرَى لَهَا
مِنْ تَقَمَةٍ وَبَضَافَةٍ زُنْدُ
وَالْبَطْنُ مَطْوِيٌّ كَمَا طَوِيَتْ
بِيضُ الرِّمَاطِ بِصَوْنِهَا الْمَلْدُ
وَيَحْصُرُهَا حَيْفٌ يُزَيِّنُهُ
فَلِذَا تَسَوَّاهُ يَكَادُ يَنْقُدُ
وَمَشَتْ عِلَّ قَدَمَتَيْنِ خُصْرَتَا
وَالْيَتْنَا، فَتَكَامِلُ الْقُدُ

١٤ الأديم : الجلد . أي أن جلدنا ليس جلدا آخر من الحسن .

١٥ الفودان : مثنى فود ، وهو معظم الشعر مما يلي كل أذن ١٦ الفرع : الشعر ١٧ صلت : واسع واضح . الضخت : الدقيق . الأرج : الدقيق الطويل ١٨ مدخف : المريض وقد نقل مرضه ١٩ العرتين من كل شيء أوله ، وهرتين الأنف أوله ، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين ، والششم : الارتفاع ٢٠ الأراك : جمع أراكه ، شجر يستاك بأعواده له نكهة طيبة . والرتل : الشعر الذي فيه أسنان حسنة التنسيق ، كثيرة الياض ٢١ المجازلة : الظبية ، تعطل : ترفع رأسها ، المرد : شجر الأراك . ٢٢ الترائب : موضع القفلات . والنحر : أعلى الصدر ٢٣ القسم : المقتل . الدرد : أي ليس بها تنوء عظم . ٢٤ بتان : الأصابع ، مفردا بئانة . ٢٥ الرهاط : الثياب اللينة الرقيقة . اللدد : الثياب الناعمة . ٢٦ الحيف : دقة الحصر . تنوء : تهبس . يندع : يتقطع . يقول : إن حصرها يكاد يتقطع لعظم أردالها وركه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

دعوة للترشح لجائزة الكويت لعام ١٩٨٩

لشأن مع أهداف مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وتحققاً لأهدافها في تشجيع الابتكار العلمي وتشجيع العلماء والباحثين، تقوم المؤسسة بمخصص جوائز في مجالات العلوم والآداب والفنون والآثار وذلك وفق برنامجها السنوي. وتسجل المؤسسة من خلال هذه الجوائز أعمالها بالإنجازات الفكرية المتميزة التي تقدم للتقدم العلمي وتساعد على البحوث بالمجتمعات الدولية لرفع المستوى الحضاري في مختلف الميادين.

وبموضوعات جائزة الكويت لعام ١٩٨٩ في المجالات الخمسة هي كما يلي:

١ - العلوم الأساسية: علم الأرض.

Geology

٢ - العلوم التطبيقية: الهندسة الصناعية.

Industrial Engineering

٣ - العلوم الاقتصادية والاجتماعية: دور المرأة في التنمية في الوطن العربي.

The Role of Women in Development in the Arab World

٤ - الفنون والآداب: النقد الأدبي.

Literary Criticism

٥ - التراث العلمي العربي والإسلامي: البيئة وعلم الحيوان في التراث العربي.

Environment and Zoology in Arab Heritage

وتخصص المؤسسة سنوياً في كل مجال من المجالات المذكورة جائزة مبدئية كل منها (١٠٠,٠٠٠ د.ك) عشرة آلاف دينار كويتي. جائزة لواء (أو أكثر) من أبحاث دولة الكويت وأخرى لواء (أو أكثر) من أبحاث البلاد العربية الأخرى. كما تقدم المؤسسة مع الجائزة نقدية مرموقة وشهادة تقديرية تين تميزات الابتكار بصورها خصرية.

ويتم منح جائزة الكويت وفق الشروط الآتية:

- ١ - يجب أن يكون الابتكار مبتكراً وذو أهمية بالغة بالنسبة إلى الحقل التقدم فيه مستخدماً خلال السنوات العشر الماضية.
- ٢ - لا يكون المرشح قد نال جائزة، عن الابتكار التقدم، من أية جهة أخرى.
- ٣ - تأهل المؤسسة بطلبات المتقدمين وترشيحات الجمعيات والمؤسسات العلمية كما يحق للأفراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرون مؤهلاً لنيلها. ولا تأهل ترشيحات الهيئات السياسية.
- ٤ - يحسن الترشيح تسجيل العمل التقدمي للمرشح ورؤية خصرية عن حياته وتاريخه وبيانات ترشيحه قبل الجائزة.
- ٥ - لا يعد الابتكار التقدم إلى مرسله سواء فاز بالترشيح أو لم يفز.
- ٦ - لا تقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز.
- ٧ - من المقرر أن يقدم خاضرة من الابتكار علمي نال الجائزة سنوياً.
- ٨ - تأهل الترشيحات إهداء من ١٩٨٩/٤/١ ولغاية ١٩٨٩/١٠/٣١ مغلفة بأربع نسخ من الابتكار التقدم. ترسل الترشيحات، والاعتراضات بشأن الجائزة، على العنوان الآتي:

السيد مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص. ب. ٢٥٥٧٣٣ الكويت. الصفحة ١٣٤٣. تالزون: ٢٤٦٨٨٨

- تالزون: ٢٤٦٨٨٨ (٢٤٦٨٨) - تالزون: ٤٤٦٩٠

نظرات نقدية في صناعة المعجم العربي

بقلم : الدكتور حامد صادق قنيبي *

المعجم كتاب يجمع بين دفتيه ألفاظ اللغة ، مفرداتها وتركيبها والمعالم الحضارية فيها ، بغية شرحها وإيضاحها ، شريطة أن يرتب ترتيباً معيّن . فما الجديد الذي جاء به هذا المقال ؟ .

أن شخصية اللغة العربية تتسم بالاشتقاق والقياس ، وأن اللفظة فيها جزء من بناء متكامل ، وبينها وبين الأصل وشائج وعرى لا تنفصم .

الترتيب الصوتي

أما تعدد منهجيات ترتيب المدخل له فقد كان استجابة لتحقيق غايات معينة ، لم تحل بالجوهر الأساسي لطبيعة اللغة الاشتقاقية ، وإنما كانت خلفة تعلّمية لمستعملي المعجم . فالترتيب الصوتي التقليدي نبع أصلاً من رغبة الخليل بن أحمد الفراهيدي في جمع اللغة

صناعة المعجم تقسم على دعامتين أساسيتين هما : التصريف والتصنيف ، وهما متلازمان ، تؤثر الواحدة في الأخرى . والمعجم الأوربي على الرغم من حداثة النسبة لم يحد عن الترتيب « اللفبائي » النطقي المطلق . وذلك لأن شخصية اللغات الأوربية تتسم بالإلتصاق والنحت ، والألفاظ فيها وحدات مستقلة ، كل لفظ فيها يشكل مدخلاً مستقلاً .

أما المعجم العربي ، وهو العريق في أسبقته لكثير من معاجم اللغات الأخرى ، فإن الترتيب فيه وإن تعددت مدارسه إنما يقوم على أساس من

● أستاذ اللغة والأدب بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران - المملكة العربية السعودية .

العلم حلزهم في الانصراف عن مراجعته - قلموس الفهرز أبدي - إذ كيف يعلم طالب العلم أن يوسف في (أ س ف) ، وفهرز أبدي في (ف ر ز) ؟

وإذا نظرنا إلى الألفاظ المعربة التي دخلت متن اللغة العربية وجدنا اضطراب مداخلها واختلاف نظام ترتيبها في المعجم ، بسبب محاولة إلحاقها بالأبنية العربية وتطورها الدلالي . أضف إلى ذلك عدم الاتفاق على نطق موحد لها ، وهو ما اصططلحوا على تسميته بتعدد اللغات ، قال الجواليقي : « وكذلك تجد العرب إذا وقع إليهم ما لم يكن من كلامهم تكلموا به بالألفاظ مختلفة » .

نماذج من المعرب

عند مطالعنا - مثلاً - للفظ (الأطربون) نرى تعدد لغاتها ، واختلاف المعاجم في إدراجها ، ولولا اعتمادنا على معجم (المساعد) لما استطعنا أن نقف على مفارقات وضعها في المصادر العربية ، لأن تحريكها يفضي حتماً إلى تعدد احتمالات العثور عليها ، فهي في (التاج) في مادة (ط ر ب ن) ، وفي (التهذيب) في مادة (ذ م ر) ، وفي غيرها في مادة (ط ر ب) .

وتحت مادة (ب ر س) نجد في (اللسان) لفظ (البراس) ، على اعتبار النون زائدة ، كما نجد (البرنساء) ، على اعتبار النون زائدة ، وليس هناك رابط معنوي بين (البراس) و(البرنساء) والبرس) ، فالأول للمصباح ، والثاني لابن الإنسان . يقول محقق المعرب للجواليقي ص ٣٨٨ في (البراس) : « لم يذكر أحد غيره - الجواليقي - أنه معرب ، وقد ذكره ابن دريد في (باب ما جاء على فعال ونفعال) في الجمهرة (٣٨٦/٣) . وذكره (اللسان) في فصل النون ، وأشار إلى أنه ثلاثي ، وذكره قبل في فصل الباء ، وقال : (قال ابن سيده : وإنما

وتدويرها ، درءا لطروء ظاهرة اللحن ، وتأكيدها على تميز صلة الأصوات العربية بتلاوة القرآن الكريم . وحقا لقد استحق الحليل بن أحمد القراهدي ريادة المعجم العربي ، لأنه استطاع بنظرية ترتيب الحروف ترتيباً صوتياً ، وتقليب جلدور اللغة موضعياً ، أن يستدعي ألفاظ العربية ، ويؤكد ثبات أصوات حروفها . ثم توالت مدارس المعجم العربي ، وإن ظلت حالة عليه إلا أن كلا منها حاول أن يضيف جديداً .

فمدرسة القافية ، ورائدها أبو نصر اسماعيل الجوهري (من علماء القرن الرابع للهجرة) ، هدفت إلى تزويد المتأدبين والشعراء بالقوافي والأسجاع ، ولم تخرج عن الترتيب الأصولي الاشتقاقي إلا عند اعتماد أواخر الأصول محورا لترتيب المداخل ترتيباً الفبائياً حقلياً .

أما مدرسة الترتيب الفبائي الأصولي (حسب أوائل اللفظ العربي) ورائدها محمود بن عمر جاز الله الزعشمري ، فلقد سهلت على الدارسين استخدام المعجم ، وسكنت ألفاظ اللغة في عقد منتظم الحلقات ، أسامه الأسر اللفظية التي تتجمع حول أصل اشتقاقي واحد . ثم إننا قد نرى مدارس أخرى تجمع بين أكثر من منهجية ، ولكل فيما يرى مله .

مشكلة الألفاظ الدخيلة

لقد حظيت مدرسة الترتيب الفبائي (حسب أوائل الأصول) بالنصيب الأوفر من اهتمام المعجميين ، حتى أن الاتجاه الحديث اتجه لإعادة ترتيب المدارس الأخرى على طريقة (المصباح المنير وأساس البلاغة) . ولكن ما زالت الألفاظ المعربة والدخيلة مشكلة يتصدى المعجميون لحلها ، ذلك أن إدخالها متن اللغة ، واختلاطها بالأصول الاشتقاقية ، مدعاة للبلبلة والاضطراب . يقول الطاهر الزاوي في مقدمة (ترتيب القاموس المحيط ص ٤ : ولطلاب

● نظرات نقدية في صناعة المعجم العربي

٣١٧/١ : « وقد تصرف في العرب على عادتها في تغير الأسماء الأعجمية ، حتى بلغت فيه إلى ثلاث عشرة لغة » .

أمثلة أخرى

ومثل هذا كثير في المعربات والدخيل . وانظر - إذا شئت مزهدا - مداخل ولغات الطائفة التالية من الألفاظ : المنجنيق . رستاق . الطيلسان . العربون . القالوذج . ابراهيم . بالإضافة إلى ما ورد عند ذكر معانيها من مفارقات .

وعلى أي حال ، فلقد انتهت جميع اللغة العربية بالقاهرة من انتهاز المزاجية بين النظام الالفبائي الاصولي (بحسب أوائل الألفاظ) ، والنظام الالفبائي التطقي المطلق ، لحل مشكلة إدراج الكلمات العربية والدخيلة ، وهي في ازدياد كما أوضحنا ، فاعتبر كلمات : اسبرين . وتلفون . ونيترون . ونون . وأمشالها ، كل حروفها أصولا ، ونجلدها بحسب ترتيب حروفها لا تحت جلد معين . وقريب من هذا النيج صنع الملايبي معجم (المرجع) . □

قضينا بزيادة النون ، لأن بعضهم ذهب إلى أن اشتقاقه من البرسن الذي هو القطن ، إذ الفتيلة في الأغلب إنما تكون من قطن) . وذكره الأزهرى في الرباعي ، قال : (ويقال للسان نبراس ، ويجمع النبراس) . و (الأجر) : الطوب المشوي ، فيه لغات ، قال صاحب المقرب ص ٦٩ : « وفيه لغات : أجبر ، بالتشديد . وأجبر ، بالتخفيف . وأجور وأجور ، وأجرون وأجرون . وقد دُكر في اللسان في مادة (أج ر) » .

و (الإسفط) : الخمر المعتقة . فيه سبع لغات (المعرب للجواليقي ص ٦٦) ، وذكر في أكثر من مادة : فني (اللسان) ذكر في خمس مواد : (أصفد . أصفط . أسفط . أصفند . سفط) . والمعروف أن (اللسان) ناقل عن سبقه . وفي (تاج العروس) ذكر في مادتين : (سفط وصفط) .

و (جبريل) ، قال الجواليقي في المعرب (ص ١٦١) : إن فيه سبع لغات . وقد ذكره صاحب اللسان في ثلاث مواد : (جبر . جبرل . جبرن) ، وقال في (البحر المحيط)

حلم :

● دخل أبو دلالة على الخليفة المتصور ذات يوم فأتته :

إنسي رأيتنك في المسنا م وأنت تعطيني عيارة
مسلومة دراهمكنا وعليك تأويل العبارة

فقال المتصور : « امضي فأنتي بخيارة أملؤها لك دراهم ومانير » .

فغاب قليلا ، وعاد يحمل قرعة كبيرة ، فقال المتصور :

« ما هذا ؟ »

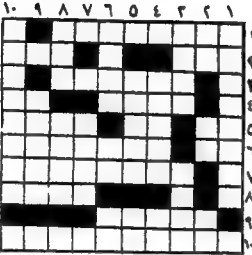
« عفوك يا مولاي ، لقد حملت بالقرعة ، ولكني نسيت ، فلما رأيتها في

السوق تذكرها .

فضحك المتصور وأجازه .



الكلمات العنقاصعة



يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالإضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بترائك الفكري والخصاري من طريق البحث الجاد المستمر في المساجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .
والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سيظهر في العدد القادم .

كلمات عمودية :

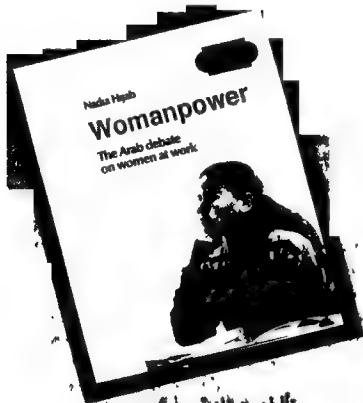
- ١ - اسم لشاعر كتب قصيدة من ٦٠ ألف بيت تعرف بالشاهنامة .
- ٢ - لُغِي وتَمَيَّز ، حَسَب ، حرفان متشابهان .
- ٣ - متصل بالنجوم ، آمن وأقوى .
- ٤ - موسيقي أندلسي أشعل الغناء عن اسحق الموصلي ، حرف جر .
- ٥ - جثن أو اثنتين ، اشتد في العداوة .
- ٦ - يسيل دماً ، صفرة البيض ، برد شديد .
- ٧ - يقضي حل ثورة أو عُمَرَد .
- ٨ - ضياء ، رقمي .
- ٩ - اسم لغروهن شهير .
- ١٠ - جغرافي عربي كبير وصاحب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » .



كلمات أفقية :

- ١ - فيلسوف ومؤرخ عربي يعد مؤسس علم الاجتماع .
- ٢ - يعتمد دون أن ينقطع ، تس جبلي له قرنان معقوفان .
- ٣ - مزار في صيغة الجمع .
- ٤ - يكرم الضيف معكوسة ، جواب .
- ٥ - اترك ، تهنئها في بياب ، يعيش زمناً طويلاً .
- ٦ - مودة ، جغرافي ورحالة عربي ولد في القدس .
- ٧ - شاعر أندلسي رقيق العاطفة ، دقيق الوصف ، طريف التشبيه .
- ٨ - من أنبياء الله .
- ٩ - من سور القرآن الكريم .
- ١٠ - الاسم الأول لفيلسوف الهند طاغور .

● حل مسابقة العدد الماضي يوليو ١٩٨٩ م .



تأليف : نادية حبيب

عرض وتحليل : الدكتور إبراهيم أبو زيد

توجه نظر مجموعة حول موضوع المرأة العاملة في الوطن العربي

ما بعد ما كنا نعتقه وهي العزلة ، والتخلف عن المجتمع

والجهد في العمل

في ظل التطور التكنولوجي



كتاب الشهر

الدائرة في المجتمع العربي حول المرأة ، وكذلك يجب النظر بجدية نحو الفلسفة الدينية ومدى تأثيرها على النساء في المجتمع .

النساء والتغير الاجتماعي

إن موضوع النساء والتغير الاجتماعي يتسارع في أهمية مع موضوع الدين والنساء ، فالتحولات الاجتماعية السريعة في كل المجتمعات الحديثة جرت على حساب النساء أكثر من الرجال . وحتى في مجتمع متقدم علميا وصناعيا كالمجتمع الأمريكي مثلا ما زالت هناك الكثير من العوائق العملية التي تمنع المساواة الاجتماعية والعلمية بين المرأة والرجل ، فالرجال عادة يتخلون القرارات المهمة في معظم مجالات الحياة . وهذا بالتالي يؤدي إلى خلق فروق اجتماعية بين الرجل والمرأة . إن هذه الفروقات بدأت بالواقع مع حلول الثورة الصناعية في أوروبا في القرنين السابع والثامن عشر ، وتشغيل النساء والأطفال في المصانع . هذا الاستغلال العملي للنساء خلال الثورة الصناعية انتقل أيضا لاستغلال نساء العالم الثالث مع التوسع الاقتصادي والعسكري للقرب خارج أوروبا بعد القرن الثامن عشر . وكما نرى فإن النساء والأطفال مازالوا يشغلون مركزا اقتصاديا مهما في كثير من بلدان العالم الثالث ، وبخاصة الفقيرة منها . ولكن مع أهمية هذا المركز فإنه يعد متدنيا مقابل مركز الرجال الاقتصادي . إن السؤال المطروح هنا هو أنه إذا كانت المرأة ، وبخاصة في العالم الثالث ، في علاقة تبعية مع الرجل ، والقرارات السياسية

إن أي تحليل علمي و أكاديمي ، للمساءة النسائية في العالم بشكل عام ، وفي المجتمع العربي بشكل خاص ، يتطلب بحثاً تفصيلياً في الدور الاجتماعي والوظيفي للمرأة ، وموقف الدين من المرأة ، والصلة بين المرأة والتغيرات الاجتماعية ، وعلاقة المرأة مع تطور المجتمع وتحديثه .

وفي عصرنا هذا أخذ موضوع المرأة حيزاً كبيراً من المناقشات ، لم تكن تطرح من قبل ، فهناك مثلاً في العالم الغربي نقاش مستمر حول مهمات المرأة الاجتماعية ، ودورها السياسي والاقتصادي ، وحقها بالانتخاب . هذه المناقشات سمحت للمؤسسات « الأكاديمية » ، وبخاصة الجامعات في العالم الغربي ، بالتخاذ الجنس (gender) مقياساً « أكاديمياً » في الدراسات الإنسانية والاجتماعية ، مما أدى إلى ازدياد نسبة الطالبات في الجامعة .

إن أحد أهم العوامل التي أثرت - وما زالت تؤثر - على حاضر المرأة في أي مجتمع بما في ذلك المجتمعات «الاشتراكية» هو عامل الدين . إن كل الأديان العالمية ، بداية بالهندوسية والبوذية وبماية باليهودية والمسيحية والإسلام ، اتخذت مواقف نظرية محددة من المرأة ، وقد أثرت هذه المواقف الدينية تأثيراً جديداً على مسألة «تحرير المرأة» في المجتمعات الحديثة ، وفي كثير من الأحيان فإن نقاش هذه المسألة لم يخرج عن حيز النقاش حول الدين وفلسفته وتأثيراته الاجتماعية والسياسية .

وفي هذا المجال فإن أي حركة نسائية عربية - باعتقادي - يجب أن تخفض الدين كنظرية وكمفلسة حياة لها ليس المناقشات العلمية والعقلية

● نقاش حول القوة العاملة النسائية في الوطن العربي

(وبخاصة المصري) في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، كالشيخ حسن العطار، والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي، والملايين تتبع أهميتهما من الاحتكاك المباشر مع الأفكار الغربية، ونقاش هذه الأفكار من وجهة نظر تشريعية وتاريخية. ولا شك أن هذين المؤلفين طرحا الأسس النظرية للفكر العربي الحديث، بما يتعلق بالشريعة، وبالقانون الوضعي والعلم والفلسفة الغربيين. في هذا السياق نرى أن ما تسميه الكتابة «الامبريالية الثقافية» في الوطن العربي، في النصف الأول من هذا القرن، ما هو إلا صورة أخرى للسيطرة السياسية والاقتصادية للعالم الغربي على الوطن العربي. إن الاستعمار قد شجع الأقليات في الوطن العربي على إشغال مراكز إدارية وتعليمية مهمة في الوسط العربي. إلى جانب ذلك فإن الاستعمار شجع النساء الأجنيات على الانخراط في الحياة الثقافية، وهذا أدى إلى خلق فجوات بين النساء العربيات، والنساء الأجنيات، في الوطن العربي.

بعد انتهاء الاستعمار، تقول الكتابة: إن الفكر القومي العربي حاول حل إشكالية المرأة في المجتمع العربي، ولكن الفكر القومي جوبه بمقاومة اجتماعية وفكرية من أفكار السلفيين الإسلاميين. تذكر الكتابة في هذا المجال أن الحركة الإسلامية جرت إعطاه صبغة جديدة لهوية المرأة وعلاقتها مع الرجل، وذلك بالاعتماد على مفاهيم إسلامية، وبحسب رأي الكتابة فإن الحركة الإسلامية شجعت المرأة بلباسها الإسلامي على الانخراط في سلك التعليم والعمل خارج المنزل. فللمرأة حسب هذا المفهوم تستطيع أن تصبح معلمة أو صحافية أو مهندسة دون أن تخسر هويتها كأمركة مسلمة.

والفلسفة الإسلامية النظرية تركز على أهمية الإنسان (الرجل والمرأة) في النظرة الإلهية للكون. وترى الكتابة أن الحركات الإسلامية

والاجتماعية العليا في المجتمع في يده فما هو دورها في تطوير مجتمعهما وتحديثه؟

هذا هو السؤال الذي تحاول الكتابة نادية حجاب الإجابة عنه. تناقش المؤلفة العديد من القضايا المعاصرة التي تخص المرأة، وهذه القضايا يمكن تلخيصها كالتالي:

أولاً: دور المرأة الاجتماعي.
ثانياً: موقف الدين - أي الإسلام - في هذه الحالة من المرأة.
ثالثاً: علاقة المرأة مع التغير الاجتماعي.
رابعاً: المرأة والتحديث.

تبدأ نادية حجاب كتابها باقتباس من المحامية الكويتية بدرية العوضي التي تقول: إن المشكلة الرئيسية للنساء في الوطن العربي هي أنهن لا يعرفن حقوقهن القانونية، والسبب الرئيسي لهذا الجهل هو أن النساء لم يشتركن في العملية القانونية أو في سن تشريعات. بعد ذلك تنتقل الكتابة للحديث عن المرأة في الوطن العربي في السبعينيات من هذا القرن.

استعراض تاريخي

تؤرخ الكتابة للمسألة النسائية في الوطن العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل الثمانينيات من هذا القرن. في تحليلها لهذه المسألة تتبع الكتابة القواعد النظرية التقليدية التي طرحها البرت حوراني في كتابه «الفكر العربي في عصر النهضة»، فتحدثت عن موقف كل من الأفغاني، ومحمد عبده، والطهطاوي، وقاسم أمين، تجاه المرأة. والكتابة تعتقد، كما يعتقد حوراني، أن هذه الشخصيات عكست فكراً «ليبرالياً» في العصر الحديث، وأكدت على أهمية تنظيف المرأة كمعصر إنساني فعال في المجتمع. وفي هذا الإطار لا تذكر أهمية مفكرين عرب آخرين، طرحوا في كتاباتهم الصراعات العقلية والعملية التي مر بها المجتمع العربي

كتاب الشهر



العربي قادرة بتفكيرها على أن تخرج عن إطار الإسلام . ولكن يجب علينا أن نتنبه إلى أن النقاش حول المرأة في الوطن العربي بشكل عام مرتبط بمسألة التحرر الوطني إلى جانب ارتباطه بالإسلام . وهذا يحتم على أبناء المجتمع العربي أن ينظروا بجديّة إلى علاقة الدين بالمجتمع ، وعلاقة الدين بالمرأة . فأي عملية تطويرية في المجتمع العربي لن تنجح - كما تقول الكاتبة - إذا لم يأخذ المعنيون بأمور التطوير في الوطن العربي بعين الحسبان الدور الحيوي والفعال الذي يجب أن تشغله النساء في هذا المجال .

المرأة العربية والعمل

ما هو الدور العملي للنساء في الوطن العربي ؟ وما هي العلاقة بين الرجل والمرأة في ميدان العمل ؟ تبدأ الكاتبة نقاش هذا الموضوع المهم بقولها : إن استيعاب المرأة في عملية تطوير المجتمع الشاملة تعد من أهم الخطوات لتحرير المرأة . ولكن من المشاكل الرئيسية أن هناك قليلا من النقاش الجدي والعام حول عملية التطوير في الوطن العربي . فمن التناقضات الرئيسية أن ميدان العمل ، وبخاصة في مصر والسودان والأردن ، لا يستطيع استيعاب الرجال للعمل ، مما يحجم دور المرأة في العملية التطويرية .

وتحذر الكاتبة من أن عملية التحديث على النمط الغربي لا تعني في كثير من الحالات تقدم المرأة في ميدان العمل ، فالتحديث قد يؤدي إلى خفض - وليس إلى إغلاء - مركز المرأة ، خاصة في المناطق الفلاحية ، حيث تشغل المرأة مركزا

الماصرة حاولت أن تميد صورة الإنسان كما يصورها القرآن إلى مركز فكرها الاجتماعي وحركتها السياسية . وبالتالي فإن المرأة مساوية للرجل في صفاتها الإنسانية ، وإن كان يجب عليها أن تتبع الرجل في الميادين السياسية والاجتماعية . إلى جانب ذلك فإن الحركة الإسلامية اتخذت الحجاب سلاحاً لمقاومة الغرب ، وبخاصة ضد الاستعمار الثقافي الغربي ونتائجه السلبية بالنسبة للعائلة والمرأة المسلمة . فالكاتبة تقتبس كلمات امرأة مسلمة من مصر بقولها : إن الغرب عرف كيف يسيطر علينا ، وذلك بالقضاء على ثقافتنا الإسلامية عن طريق اختراق العالم الإسلامي بواسطة التقنية والضياع الغربية . مما أدى إلى الاعتماد السياسي والاقتصادي على الغرب ، وفقدان الهوية الثقافية العربية عن طريق تطبيق أساليب مشوهة من نظرية التحديث . فالعالم الغربي في هذا المجال يريد من الإنسان العربي أن يكون دائما في حاجة ثقافية وفكرية له . ولا شك أن الوطنيين الإسلاميين في الوطن العربي يتفقون على ضرورة المواجهة الثقافية والفكرية للغرب ، مما يضمهم على قدم المساواة في تحقيق الاستقلالية للشخصية العربية والإسلامية ، وفي ضرورة اتخاذ منهج فكري معين لتحقيق هذه الاستقلالية .

كما رأينا سابقا فإن النقاش حول المرأة العربية ليس نقاشا عن دورها في المجتمع فقط ، وإنما نقاش عن دور الإسلام أيضا . وفي هذا المجال تذكر الكاتبة أنه من الصعوبة بمكان أن ينتقل هذا النقاش حول المرأة خارج إطار الإسلام على الرغم من أن النظم السياسية الحاكمة في الوطن

● نقاش حول القوة العاملة النسائية في الوطن العربي

الوطن العربي نفسه ، خاصة إلى أنظار الخليج العربي ، وتأثير هذه الهجرة الداخلية على النساء . إن هجرة العمال (الرجال خاصة) للفتيش عن مصادر رزق جديدة ، أدت إلى ارتفاع نسبة عمل النساء في السودان مثلاً . فالكتابة تشير إلى أن نسبة ازدياد عمل النساء في السودان في سنة ١٩٨٣ كانت ٢٣٪ ، ولكن الكثير من النساء شغلن مراكز غير مهنية ، خاصة في المصانع ، وبعضهن اشتكرن بالعملية التربوية ، مما أدى إلى احتكاك أكثر بين المرأة والمجتمع .

ومع هجرة الأزواج للفتيش عن الرزق بدأ كثير من النساء يلعبن دوراً جديداً في المجتمع ، خاصة بإدارة شؤون العائلة المختلفة . إن بروز دور المرأة يرجع إلى تنامي قوة مركزها المالي ، والكثير منهن - حسب رأي الكاتبة - يشجع هجرة الأزواج للبحث عن العمل ، لأن هذا يضمن لهن الاستقلالية المالية ، وحتى الشخصية ، لبعدهن أزواجهن عنهن ، وحسب رأي الكاتبة فإن ظاهرة هجرة الأزواج أدت إلى نتيجتين متشابهتين في حياة النساء العربيات : النتيجة الأولى رفع مستوى المرأة المالي والاجتماعي ، والنتيجة الثانية اشتراك المرأة في اتخاذ القرارات بالنسبة لحياتها وحيات أولادها ، خاصة أن الرجل في المهجر بحاجة إلى استشارة زوجية في الكثير من القرارات والمخططات التي لها علاقة بحياته وحيات العائلة بشكل عام . □

عملها يميزا من الرجل . وبالاكتفاء على هذا المفهوم فإن العملية التطويرية ، اقتصادياً واجتماعياً ، في الوطن العربي ، يجب أن تعتمد على خطة اجتماعية واعية ، بمقدورها تطوير الامكانية الانتاجية المحلية التي يمكن أن تؤدي نهائياً إلى دفع المعدل العام للدخل القومي . بالإضافة إلى ذلك يجب تطوير علاقات إنتاجية جديدة على مستوى الثقافة المدرسية والجامعية . ويرأي أن أي تقدم في وضع المرأة في المجتمع يجب أن يركز أكثر على القدرات الإنسانية ، وليس على التصنيع في المجتمع فقط .

وتذكر الكاتبة أن من أهم المعوقات أمام التطوير الإنساني والاقتصادي في الوطن العربي هجرة الأدمغة ، فحسب الكثير من الاحصائيات ، وبخاصة التي قام بها الدكتور انطون زحلان ، فإن نسبة هجرة الأطباء والعلماء والمهندسين من الوطن العربي إلى أوروبا الغربية وشمال أمريكا تساوي ٥٠٪ في حالة الأطباء ، و ٢٣٪ في حالة المهندسين ، و ٥١٪ في حالة العلماء (حسب إحصائيات ١٩٧٦) . ولا شك أن هذه النسب هائلة جداً ، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن العائلة والمجتمع والدولة يصرفون الكثير من الجهد والمال لتعليم أبنائهم ، وبخاصة في المجالات الحيوية التي لها علاقة بالعملية التطويرية .

بعد شرح العملية الانتاجية وموقف المرأة منها تنتقل الكاتبة إلى الحديث عن هجرة العمالة في

من وصايا لقمان لابنه :



حدثنا أدب التاريخ الوائق ، قال : إن من وصايا لقمان لابنه :

- احفظ قلبك في الصلاة ، واحفظ نظرك في بيوت الناس ، واحفظ لسانك

في مجلس الناس ، واحفظ بطنك من حلقومك ، وادكر اثنين ، وأنس اثنين : اذكر

الله والموت ، وأنس إحسانك إلى من أساء إليك !




من المكتبة العربية

ما مشكلة طفلي؟

تأليف : ملتون براتن ، وسيلفيا أو.
ريتشاردسون ، وتشارلز مانفل
عرض : د. عادل عبد الكريم ياسين

لا يعد كل من يرتبك من الأطفال أو يعجز عن أداء حركة ما ، أو
يعجز عن التعبير عن نفسه بوضوح متخلفا ، فقد يكون عادي الذكاء ،
لكنه « عاجز عن التعلم » . فما الفرق بين التخلف والعجز عن التعلم ؟
الكتاب الذي نعرض له فيما يلي محاولة للإجابة عن هذا السؤال .

والاضطراب في الوظيفة العقلية أو الإدراك ،
كما تشير إلى معالجة كثير منها إذا تيسر تشخيصها
في مرحلة مبكرة .
وقد يوصف هؤلاء - خطأ - أنهم متخلفون
عقليا ، وقد يكون بينهم مثل تلك الحالات ،
غير أن الدراسات الحديثة الجادة ترى أن تصف
- ضمن معايير معينة - هؤلاء « بالعجز عن
التعلم » ، فالطفل المتخلف عقليا يكون محدود
الفهم والقدرة على التعلم ، أما الطفل « العاجز

يقع كثير من الآباء في الارتباك والحيرة 
حين يلحظون عدم قدرة صغيرهم على
إمسك الأشياء بكلتا يديه ، أو يلحظون إفراطا
في حركته واندفاعه ، كما يواجه المعلمون
صعوبات في تدريس بعض الطلبة ، ممن يثيرون
الشغب في حجرة الدراسة ، أو يقومون بمضايقة
زملائهم ، أو يعملون في أداء واجباتهم ، أو
يكرهون المدرسة والدروس . وتشير الدراسات
إلى وجود ارتباط بين هذه المظاهر السلوكية

الأطفال المصابين بالعجز عن التعلم وأمهاتهم .
وعطيت لنا أن نركبه باعتباره طليلاً ممتازاً في متاعه
هذه الآراء المتصارعة في مجال العجز عن
التعلم .

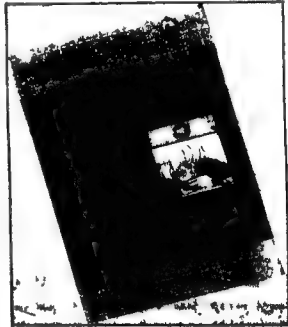
ولقد أحسن « مركز تقويم وتعليم الطفل »
في الكويت في اختياره وتقديره ، كما أحسنت
مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في نشره ، إذ
أنه يضيف إلى الحقل العام ، والحقل التربوي
على وجه خاص ، معلومات قيمة ، لا تنحصر
فائدتها في حقل العجز الخاص عن التعلم ، بل
إنما يتيح فيها أفضل للعقل ، وكيفية عمله ،
وهذا الفهم يتيح إمكانيات وضع استراتيجيات
للتعليم على نحو أوفى . ويشتمل الكتاب على
عشرة فصول تقع في ٢٢٤ صفحة .

أذكاء ولكن أضياء

هذا هو عنوان الفصل الأول الذي يناقش
الأحكام غير الدقيقة التي تصدر عن العديد من
الأطفال ، بسبب من التصنيف غير الدقيق
لحالائهم ، إذ قد يوصفون بالاضطراب
الانفعالي ، أو بالتخلف العقلي ، دون أن
يكونوا كذلك فعلاً . وتتجسد المأساة في تحويل
هؤلاء إلى مؤسسات خاصة ، لا ينبغي أن
يكونوا فيها إن وعادة العجز عن التعلم ،
لا تؤثر في الذكاء ، بل تؤثر في مناطق محددة
تختص بالتعلم والسلوك بما يتعلمه على بعضهم
تعلم القراءة أو الكتابة أو التهجي أو الحساب ،
على الرغم من قدراته في نواح أخرى . وهذا
الطفل المتسم بالذكاء يدرك إخفاقه وعجزه عن
مجاراة الآخرين بما يعجز عن إدراك كنهه ، ومن
ثم ينعكس هذا كله على سلوكه ، ليبدو مشافهاً
أو منعزلاً . ويحدد الكتاب مقارنة بين الطفل
المتخلف عقلياً والطفل الذي يعاني من عجز عن
التعلم ، إذ كثيراً ما يصف العاجز عن التعلم
كمختلف عقلياً ، فتضيق المجتمعات بعض
الذين يتمتعون بذكاء عالٍ بسبب هذا الفهم

عن التعلم ، فإنه طفل مختلف ، إذ لا يقل ذكاءه
عن المتوسط ، وتكون مثل هذا الطفل قدرة
حيية ، تتحول إلى طاقة إيجابية إذا أحسن
التعامل معها ، أو قد تتضرر عن سلوك
طائش ، إذا لم تنفهمها . ويشير الكتاب إلى أن
حوالي ١٠٪ من أطفال العالم يعانون من هذه
المشكلة ، كما أن تشخيص المعلم المبكر لهذه
الحالة قد يساعد على تقديم العون المناسب في
مجاورة جوانب العجز .

ألف هذا الكتاب ثلاثة من العلماء البارزين
في علم النفس التربوي ، تقصوا فيه أشكال
العجز عن التعلم ، وسبل البحث عن العون .
وقد حظي الكتاب بشهادات تقدير عديدة ، من
جهات تهتم بهذا المجال . تقول « مجلة الطفل »
غير العادية : « إن من بين جميع الكتب التي
صدرت على مر السنين في التربية الخاصة ،
هناك ثلاثة أو أربعة فقط تستحق القراءة
والاقتناء ، وهذا الكتاب واحد منها » . ويقول
قسم الطب النفسي للأطفال في جامعة
هارفارد : « طلع علينا كتاب عملي » . يزخر
بالمعلومات ، متين الأسلوب ، يخاطب آباء



● خلال الكتب

القاصر (ولولا حسن الحظ لجاء تصنيف اينشتاين وايسون في قائمة المتخلفين عقليا بسبب حالة العجز عن التعلم التي صاحبتهما).

إن حلة «العجز عن التعلم» ما تزال مجهولة، ولم يحسم العلم أمره فيها حتى الآن، ويبحث الكتاب بعد ذلك في كيفية تمييز الأطفال المصابين بالعجز عن التعلم، وكيفية تهيئة مصادر التشخيص والمعالجة، للمساعدة على إعدادهم لممارسة حياة الكبار بنجاح.

أربع حكايات

يورد الفصل الثاني حكايات أربعة أطفال، تثير الأمل واللوعة. فالطفل «بوبي» بدأ متقد الذهن، لكنه تجاوز بسوء سلوكه حدود الصبر لدى أبويه ومعلمته، مما دفع أمه إلى التفكير بقتله مع أخويه، والالتجاء لخلفاء من الضغط الذي عانت بسببه، غير أن أملا جاء من طريق طبيب نفسي، اكتشف حالته وهو في العاشرة، حيث حوله إلى مدرسة خاصة، أنشئت لمعالجة المصابين بالعجز عن التعلم. فلم يكن الطفل متخلفا عقليا كما صدر الحكم عليه قبل اكتشاف حالته، بل استطاع أن يتعلم، وأن يضبط سلوكه كالأسوياء من أقرانه، ووصل بعد سنوات ثلاث من الجهد إلى مستواه الطبيعي، ويخرج في المدرسة الثانوية، ثم التحق بمعهد لدراسة علم المحاسبة.

ويعالج الفصل الثالث العجز عن التعلم إذ لا تشابه أعراضه لدى مختلف الأفراد الذين يعانون منه.

فالطفلة (ريكا) تعاني من صعوبة في القراءة، لأنها لا تميز الاختلاف بين حروف الهجاء. والطفل (ملت) يجيد القراءة، غير أنه لم يستطع أن يتعلم عملية الطرح، إذ لا يستوعب مفهوم اختلاف قيمة العدد من غيره، علما بأنه في العاشرة من عمره. ويعاني

الطفل (تهم) صعوبة في استعمال الحصى في الروضة، قد يكون تحكمه العضلي قابلا للتحسن بما يتيح له تعلم الكتابة. وتبين مجموعة الأعراض الرئيسية في النقاط الآتية:

١ - الانتباه ومستويات النشاط: يكون الطفل مفرط النشاط، دائب الحركة، أو يبدو سمجا خليطا، ويرجع لاستطلاع كل حركة غريبة بما يبدد انتباهه.

٢ - الحركة ونمو الإدراك: يكون الطفل أخرق في تصرفاته، فقد يرتطم بالأشياء، ويتعثر بالسجادة، وإزاء الحليب، وقد يجد صعوبة في استعمال أفلام التلوين أو في الكتابة، أو في تزوير ملابس. وقد يعاني من مشكلات إدراكية بصرية أو سمعية. ويضطرب الإدراك عند بعض الأطفال بالنسبة للاتجاهات: فوق، تحت، يمين، يسار، أمام، خلف.

٣ - اللغة ونمو الفكر: تترافق اللغة والفكر، ولا بد لها أن ينمو معا عند الطفل العادي، لكن هذا الترافق يختل لدى الأطفال الذين يعانون من العجز عن التعلم، بسبب معاناتهم مشكلات إدراكية سمعية. ويبرز لديهم اضطراب في النطق. وينتقل الأمر إلى التجريد الذي يحتاج إلى ارتباط المفردة بالمفهوم، وبالتالي القدرة على الاستنتاج والاستدلال.

٤ - النمو الانفعالي والاجتماعي: لا يمكننا حصر أنواع المشكلات الانفعالية وتباينها. ويترسّخ الطفل عاجز عن التعلم عادة إلى تحديات تفوق قدراته، فهو قد لا يحسن الجري أو الإمساك بالكرة، أو فهم موضوع اللعبة، فينكشف عجزه أمام أقرانه، ونتيجة لذلك قد تتحطم «الآنا الداخلية» للطفل فيصبح فريسة للتوتر. ومن ثم قد يحاول تغطية عجزه بالصخب أو الجدل العقيم، مما يتسبب في عدم

تقود إلى الحيرة والاضطراب إزاء الدوافع والقوى الطائشة التي تتدفق داخل المراهقين .
وإذ تسلط هذه على المراهق العاجز عن التعلم ، فإنه يجد صعوبة أكبر مما يجده المراهقون الماديون في التعامل معها . فهو يلاقي صعوبة في التكيف مع أقرانه ، فلا بد من وضع برامج اجتماعية ، تخرجه من قوقعته الداخلية ، ليستطيع التعامل مع أقرانه في السن ، ومن الملاحظ أن هؤلاء قد يبدعون في عمليات « ميكانيكية » أو « الكترونية » بشكل غير عادي ، كما يمكنهم تشغيل « أي شيء » دون أن يكونوا قادرين على الانفصاح عن مبادئه تشغله .

ولكن هل هناك صلة بين المعجز عن التعلم وجنوح الأحداث ؟
هذا هو ما يعالجه الفصل العاشر - الأخير -
إذ يعتقد المؤلفون بوجود هذه العلاقة دون سند علمي ، غير أنهم يدعون لاستقراء بعض إشاراتنا ، فتنة طفل بمعجز عن ضبط نفسه ، وآخر يحاول استخدام سكينه ضد من وصفه « بالتخلف » . والطفل الجانح يكون قد أخفق على الأغلب في القراءة ، فلا يفهم بالتالي الكثير من الدلولات مما يعرضه إلى مردودات سلبية .
فالمدارس تفرز إلى الشوارع هذا النوع من المخفقين الذين يكونون ضحايا بأشكال مختلفة ، لعدم النضج بما قد يقدمهم إلى الجنوح . ويؤكد المؤلفون ضرورة رعاية الأم الحامل من الناحيتين الغذائية والطبية ، ورعاية جميع المواليد حتى نهاية السنة الأولى من أعمارهم ، حيث أن هذا يؤدي إلى تخفيض نسبة ما يعرف بمرض الدماغ - الذي قد يتسبب في المعجز - إلى العشر . وهم يدعون إلى مساعدة الأطفال بتقصي أسباب الجنوح ، لضمان أن يعيشوا ببدء وسلام ، من خلال فهم الأسباب التي تقودهم إلى الجنوح . وبذلك يمكننا أن نجعلهم مواطنين متجين . □

توافقه مع المجتمع ، فضلا عن اضطراباته النفسية .

دور الاختصاصي النفسي

يعرض الفصل السادس دور الاختصاصي النفسي الذي يقوم القدرة العقلية للطفل العاجز عن التعلم ، عن طريق اختبارات مقننة ، متعددة الجوانب ، لفظية وغير لفظية . كما يبحث وجود المشكلات الانفعالية والاجتماعية وطبيعتها ، ويرشد الأبوين والعمليات لاتخاذ ما يرويه صالحا لتحسين وضعه . وثمة مختصون آخرون يسعون لتقويم مدى تقدمه ، ولتعديل خطط علاجه ، ويكون هؤلاء مختصين في التربية الخاصة ، وهم الاختصاصي النفسي ، واختصاصي السمع ، (ليس في الأذن) ، والأخير يستخدم أجهزة متقدمة لمعرفة كيف تكون الترجمة الداخلية للسمع لدى الطفل .

ينتقل الكتاب في الفصل السابع إلى دور المدرسة في إعداد الطفل لمرحلة الرشاد وتنظيم تحصيله ، إذ قد لا تكون صفوف المدرسة النظامية مكانا مناسباً لعلاج الحالة . ولعل في تطبيق نظام المعلمة المتنقلة ، واستخدام غرفة المصادر ، فائدة لعلاج حالات المعجز الطفيف عن التعلم . وغير ما نجله تلك النصائح التي تقدمها الدكتورة ايليس تومسون لمعلمة مثل ذلك الطفل ، إذ تقول : « جربوا الإصرار ، جربوا الاستقلال ، وجربوا تصميم مستوى الصعوبة حسب الطفل ، جربوا أي شيء » ، عدا الأزدراء والتوبيخ » . كما أنها تستصرخ المعلمين والعمليات قائلة : « حسنا التعليم يتحسن بذلك السلوك والتعلم » .

ويبحث الكتاب مرحلة « المراهقة » التي تشمل الفترة الحرجة (١٣ - ١٩ سنة) ، حيث تصبحها تغيرات حيوية ، وضغوط داخلية ،



مكتبة العجزي

مختارات

علاقاته . وحاول المؤلف في كتابه الاقتراب من الأحداث التاريخية بقدر من الحياد الموضوعي ، ويؤكد المؤلف أن الشعوب كالأفراد ، عليهم أن يستوعبوا حركة التاريخ دون أن يقعوا أسرى له مهما كان تاريخهم يحفل بفترات متوهجة أو منطفئة ، وإلا وقع الجميع أفرادا وشعوبا أسرى خاضعين للزمن مستسلمين للتاريخ .

□□□

اسم الكتاب : العرب والعلم والثقافة
اسم المؤلف : انطوان زحان
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية
عدد الصفحات : ١٢٨ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٨ م

إضافة جديدة من سلسلة دراسات مركز دراسات الوحدة العربية ، يقدم فيها المؤلف جهدا علميا لتوضيح العلاقة بين العلم والتقنية وحركة الشعوب ومستقبلها ، وفي الوقت نفسه يقدم عرضا علميا لموقفنا في الوطن العربي من قضية العلم والتقنية والتحدي الذي يواجهنا .

وقد بدأ العلم والتقنية منذ أوائل القرن التاسع عشر في تغيير أنماط الإنتاج والعلاقات الدولية والقرى والبنى الاجتماعية ، وهذا التغيير المتسارع في العالم كله لا بد له أن يلقي بآثاره على كل الأقطار ، ولا يستطيع قطر ما ، أن ينعزل عن هذه الآثار ، ولا أن يتجنبها ، ومن هذا المفهوم العلمي الشامل ، يحاول المؤلف أن يضع التحديات العلمية والتقنية التي تواجه الوطن العربي في إطارها الاقتصادي والسياسي المناسب .

اسم الكتاب : السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث
المؤلف : الشيخ محمد الغزالي
الناشر : دار الشروق
عدد الصفحات : ١٦٠ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩ م

يتناول الكاتب في هذا الكتاب رؤية الاسلام السمحة لكثير من القضايا والمسائل الخلافية التي شاع الحديث حولها عن لا يستندون على قاعدة علمية ، ولا قدرة فقهية ، فكثير الخلط والخطأ . ويذكر الكاتب بأن كتابه لإجلالة التشويه عن صورة الاسلام ، التشويه الذي يلصقه به أنصاف أو أمشار المتعلمين الذين يتصدرون القافلة ويثيرون الفتن بدل إطفائها . ويعرض الكاتب لنماذج من سوء الاجتهاد وضيق الأفق ، في قضايا مثل الفناء وعمل المرأة وبعض العادات ، والقدر والجبر . وعطرح آراء مستقلة الى دليل يوضح فيها خطأ معظم ما يذهب اليه البعض في تحريم كثير مما حلال الله ، ومما تقبل به ساحة الاسلام .

□□□

اسم الكتاب : من الأئين إلى الثورة
اسم المؤلف : د . عبد العزيز المقالح
الناشر : دار العودة بيروت
عدد الصفحات : ٢٢٦ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨ م

إعادة قراءة لأحداث تاريخية مرت في تاريخ اليمن العريق ، وهي أحداث يرى المؤلف أن الوقوف عندها وقراءتها يثران الحاضر ، وينيران

اسم الكتاب : المكتبة العربية تاريخها -
تراثها - حاضرها .

اسم المؤلف : د . يوسف نوفل

الناشر : دار الغد - القاهرة

عدد الصفحات : ٣٧٣ من القطع الكبير

سنة النشر : ١٩٨٨ م

دراسات للمؤلف عن المكتبة العربية منذ
نشأتها وارتباطها بالحضارة العربية القديمة
والحديثة ، وهو يعرض في صدر الكتاب
للمكتبات العربية الشهيرة في التاريخ ، وأشهر
الأعمال المحفوظة فيها ، ثم يتناول ديوان الشعر
في الأدب العربي ، والمكتبة الادبية ، فيعرض
كيف تكتب الكتب ، وتاريخ العرب من الخط
والكتابة ، ودور النساخ في إثراء المكتبة العربية ،
ثم يتعرض للمكتبة الأدبية ، وأخيرا مكتبة
التراجم والسير والمكتبة الصحفية .

□□□

اسم الكتاب : تاريخ الحركة المسرحية في دولة
الإمارات ١٩٨٦/٦٠

اسم المؤلف : عبد الإله عبد القادر

الناشر : دار الفارابي . اتحاد كتاب وأدباء
الإمارات

عدد الصفحات : ٢٩٧ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٨٨ م

جهد توثيقي يقدمه المؤلف لتاريخ الحركة
المسرحية في دولة الإمارات العربية المتحدة ،
يمهد لها في البداية بفصل يعرض فيه جلور
بدايات الحركة المسرحية وكيفية ظهورها ، ثم
يقدم سجلا توثيقيا للنشاط وللحركة المسرحية

خلال الفترة من ١٩٦٠ م إلى ١٩٨٦ م ، وهي
فترة التغير الاجتماعي في أقطار منطقة الخليج
العربي . ولأن الحركة العامة للثقافة في الإمارات
لم يؤرخ لها ، ولأن الفنون وهل الأنحصر
المسرح ، قد وقعت في الهامش ، بعيدا عن مركز
الاهتمام والوعي ، فإن التوثيق الذي يقدمه هذا
الكتاب يعد خطوة ضرورية لتأريخ الحركة
المسرحية ودراستها ومناقشة تطورها وكيفية
تمضيدها .

□□□

اسم الكتاب : أطراف الغابة

اسم المؤلف : ستين عثمان - ترجمة سامي
الرزاز

الناشر : مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت

عدد الصفحات : ٣٤٣ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٨٧ م

عمل روائي ، « كلاسيكي » البناء ، يقدم
التجربة الأفريقية في وجهها الطبقي ،
فالاضراب الطويل الذي تصفه الرواية برؤية
نقدية تاريخية هو تسجيل حي للتناقضات
داخل المجتمعات الافريقية ، وقراءة للمستقبل
الافريقي ، كما يراه المؤلف ، مرسوما على أفق
التحولات الثورية في افريقيا .

والرواية لواحد من أهم الكتاب الأفارقة ،
فمؤلفها روائي ، ومخرج سينمائي سنغالي ، بدأ
حياته صياد سمك ، ومارس في « دكار » أعمالا
شاقة ، واشتغل عاملا في ميناء « مرسيلا » ،
وخاض نضالات أوصلته الى أن يغدو نقابيا ،
ومن خلال عمله النقابي خاض معارك وطنية
كثيرة من أجل حياة أفضل لأبناء وطنه . □

من طلب الأمر لم يمن عليه

● أراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا ، فبادر الرجل فطلب منه
المعمل ، فقال له عمر : والله لقد كنت أردتلك لذلك ، ولكن من
طلب الأمر لم يمن عليه .

مسابقة العربي الثقافية

١ • هليس بن فرنس عالم عربي ، و مخترع
أنفلسي ، اشتهر بمحاولته الطيران لأول
مرة في التاريخ العربي كله ، وكان متعدد
المواهب لأروب ، وقد أبدع في أحد
المجالات التالية ، فلي جال هذا ؟

- الشعر
- الموسيقى
- الرحلات الجغرافية

٢ • متى اخترع البراشوت ؟
• قبيل الحرب العالمية الثانية
(١٩٣٩ - ١٩٤٥)
• قبيل الحرب العالمية الأولى
(١٩١٤ - ١٩١٨)
• اخترع البراشوت في أواخر القرن
الثامن عشر ، وقبل اختراع الطائرة بأكثر
من مائة سنة

٣ • أول بالون للطيران طار في فرنسا سنة
١٧٨٣ ، تسمى من كان ركاب ذلك
البالون في طلعه الأولى ؟
• الأخوان مونت جولفير ، وعما اللذان
صنعا البالون .
• ديك وبطة وعرووف
• رئيس البلدية ورئيس الشرطة

٤ • الطائرات الحديثة التي نمرها في
الوقت الحاضر ، تسمى من أي الطائرات
الرائدة تم تطويرها ؟
• من الطائرات الشراعية
• من المتطارد أو البالونات

٥ • الطائرة الأولى في التاريخ صنعها
الأخوان رايت ، وأطلقا عليها اسم

ارفق اسم مع هذا الكوبون
كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٦٩

(فلاير ١١) ، وقد نجحت في الطيران
صباحة يوم ١٧ / ١٢ / ١٩٠٣ ، ترى
كم بلغت سرعتها القصوى ؟
• حوالي (٥٠) كيلومتراً في الساعة
• حوالي (١٠٠) كيلومتراً في الساعة
• حوالي (١٥٠) كيلومتراً في الساعة

أكبر مطارات العالم تبلغ مساحته
٢٢١ كيلومتراً مربعاً ، ترى هل يقع هذا
المطار في أمريكا أم في أوروبا أم تراه يقع في
الشرق الأوسط ؟ وما اسم هذا المطار ؟

أكبر شركات الطيران في العالم ، من
حيث مجموع الركاب الذين تنقلهم
سنوياً ، هل هي شركة أمريكية أم أوروبية
أم غير ذلك ؟ أذكر الدولة التي تملك هذه
الشركة !

قلعة القنابل الأولى في التاريخ ، ترى
في أي الحروب العالميتين ظهرت أول ما
ظهرت وقامت بغاراتها المدمرة على
لندن ، العاصمة البريطانية ؟
• في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ -
١٩١٨)
• في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ -
١٩٤٥)

راج السفر الجوي عبر المحيط
الاطلس اعتباراً من سنة ١٩١٠ واستمر
ر طوال ٢٧ عاماً ، وفلك بواسطة المناطيد
أو القنابل الطائرة كما سموها - ولكنه
توقف فجأة ، وطويت صفحة السفر
بالمناطيد قبل عام ١٩٣٧ م ، هل
كانت المناطيد ألمانية ، وقد أقدمت
أمريكا على شرائها بقصد المساح المجال
للقواتها .

• ألمانية النازية ، مناجبة تلك المناطيد ،
هي التي قررت وقف عملاتها بسبب
انحسارها في الاستعداد للحرب العالمية
الثانية .
• الكارثة التي حلت بمطاد هندنبرغ سنة
١٩٣٧ م .

ما هو سر قدرة الطائرة على الطيران ؟
• إنه في الدليل كما ثبت من تجارب عيسى
بن فرناس

• إنه في المرواح والمحرك
• إنه في جناحي الطائرة وفي ضغط الهواء
الذي يتضرخان له .

أي المطارات هو المطار الشغال الأول
في العالم ، من حيث مجموع الركاب
الذين يغادرون ويأتون إليه سنوياً ، ومن
حيث صعد السطائرات التي تطلع من
مدارجه ويهب عليه ؟

• مطار شيكاغو الدولي في الولايات
المتحدة
• مطار لندن الدولي
• مطار زيورخ الدولي في سويسرا

تضاعف مجموع عدد ركاب الطائرات
في العالم ، وكذا لا يخفى فقد بلغ مليون
راكب في سنة ١٩٣٧ ، ولكنه تضاعف
أضاحاً في الأربعين سنة الماضية حتى بلغ
في سنة ١٩٧٧ :

• ٧٥٠ مليون راكب
• ٥٠٠ مليون راكب
• ٢٥٠ مليون راكب

حل مسابقة

العدد: ٣٦٦

مايو: ١٩٨٩

٤ «عزيزة أمير» واسمها الأصلي مفيدة محمد، وهي التي أسست بالها أول شركة مصرية للأفلام السينمائية. وقد ستمتها «لغزيس فيلم» كان ذلك سنة ١٩٧٦م وعقب فيلم «عزيزة أمير» بالعمل على المسرح بصفة شهور. وتجهز الإشارة إلى أن ببيجة حافظ وفاطمة رشدي، قد حملتا مع «عزيزة أمير» وأسيا داغر لواء النهضة السينمائية الأولى في مصر، في معزل عن الرجال.

٥ أطول فيلم سينمائي ناطق لم يكن «ذهب مع الريح»، وإكسا كان «لورانس العرب»، وذلك بفارق دقيقين فقط. فقد استغرق الأول ٣ ساعات و ٤٠ دقيقة بينما استغرق الثاني ٣ ساعات و ٤٧ دقيقة.

٦ أنشئت دار السينما في أطلانتا سنة ١٨٩٥م. وهي أقدم دار للسينما في العالم حسب تأكيد المرجع المعروف «جيتس».

٤ بلغ مجموع إيرادات «سلفستر ستالون» من فيلم «روكي» (٤)، حوالي ٣٠ مليون دولار. ١٢ مليوناً خصصت ثابته بالإضافة إلى ٢٠ مليوناً حصيلة حصته من مرمود العرض ويح التذاكر.

٥ فيلم «الحرب والسلام» هو الذي يفوق سائر الأفلام السينمائية من حيث التكاليف والجهد التي أنفقت في سبيل إخراجها وإنتاجه. فقد استغرق إخراجها ٤ سنوات (١٩٦٣ - ١٩٦٧م)، وبلغت تكاليفه (٦٥) مليون جنيه استرليني، وجرى تصوير الفيلم في (٦٨) موقعا مختلفا، ومن اشتركوا في التمثيل فيه (١٢٠.٠٠٠) جندي من الجيش الأحمر.

٦ شكسبير كاتب أو شاعر مفضل في نظر أرباب الصناعة السينمائية، فقد أنتج هؤلاء ٣٠٠ فيلم على أساس روايات شكسبير. وتجهز الإشارة إلى أن رواية «هاملت» وحدها كانت الأساس الذي اعتمد عليه لإنتاج ٤١ فيلما.

٧ الهند = ٧١٤ فيلما (زمن الواحد منها ساعة فما فوق)، وفلسك حسب احصاءات عام ١٩٧٩م.

اليابان = ٣٣٥ فيلما
فرنسا = ٢٣٤ فيلما
تركيا = ١٩٥ فيلما
القلبيين = ١٧٠ فيلما
انكلترا = ٣٨ فيلما

٨ جزيرة استثن هي التي يوجد فيها أكبر عدد من مقاعد السينما نسبيا، إذ يبلغ عددها (٧٣٣) مقعدا، ويبلغ عدد سكانها ٩٧١ نسمة.

الفائزون في مسابقة

العهد : ٢٦٦

مايو : ١٩٨٩

- الجائزة الأولى : محمود محمد الطموني / دولة الكويت
- الجائزة الثانية : الدكتور محمد مصطفى السمرى / الاسكندرية - جمهورية مصر العربية
- الجائزة الثالثة : نزار سليم محمد / المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

- ١ - عمر سالم المصري / جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية .
- ٢ - محمد أحمد علي الغريسي / صفائس - الجمهورية التونسية
- ٣ - حميدة محمد سيد أحمد / بورسودان - جمهورية السودان الديمقراطية .
- ٤ - عبد الزهرة عبد الجبار علي / البصرة - الجمهورية العراقية .
- ٥ - لیس صادق باقر / شركة زادكو - أبو ظبي - دولة الإمارات .
- ٦ - عبد العزيز عبد علي عبد النبي / النخلة - دولة البحرين .
- ٧ - هشام يوسف محمد / هيم الوحدات - عمان - المملكة الأردنية الهاشمية .
- ٨ - إيهسان هشار الرمالي / طرابلس - ليبيا .

ظهر الفيلم السينمائي الناطق الأول في التاريخ في ألمانيا ، سنة ١٩٢٢ م . حل أن الأفلام الناطقة لم تنجح الميدان إلا سنة ١٩٢٧ م ، حين ظهر الفيلم الأمريكي « مسفي الجنازة » وكان يسلط « آل جونسون » .

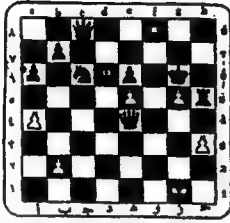
نيويورك هي التي توجد فيها أخصم دار للسينما في العالم ، واسمها « فاختة مدينة الراهب للموسيقى » ، ويحود انشؤها الى سنة ١٩٣٢ .

بلغ مجموع إيرادات فيلم « ذهب مع الريح » (٣١٢) مليون دولار . وذلك لقاء عرض الفيلم طوال ٤٣ سنة . من سنة ١٩٣٩ - ١٩٨٢ م .

وتجدر الإشارة الى فيلم (أي . بي . ت .) الذي بلغت إيراداته (٣٢٢) مليون دولار ، في فترة تزيد على سنة ونصف سنة قليلا (حزيران سنة ١٩٨٢ - يناير سنة ١٩٨٣) ، ولكن قيمة هذه الإيرادات الفعلية تقل عن قيمة إيرادات « ذهب مع الريح » ، وإن أردت مزجها من تفاصيل فذلك أن تقارن بين قيمة الدولار في الأربعينيات والخمسينيات وقيمتها في الثمانينيات .

« التكترا » هي التي شهدت عرض أول فيلم سينمائي ملون سنة ١٩٠٩ م ، وكان الفيلم بلونين فقط ، أما الأفلام المتعددة الألوان فلم تظهر إلا سنة ١٩٣٠ م ، وقد عرضت أول مرة في أمريكا .

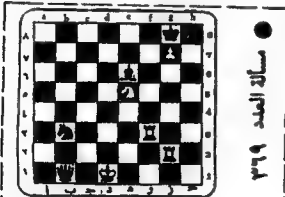




محللة بلاسرع

ويقتضي الاستئصال الأمثل للطاقت
المهجومية المدمرة الكامنة في الفيل اختيار اللحظة
الحاسمة ، لتقدمهم البيدق الذي يسد طريق
الفيل ، لفتح اللعبة ، وتمكين الفيل من السيطرة
التامة على الأوتار التي تخترق قلب دفاعات
الخصم .

والدور التالي من المباراة الدولية الكبرى
المنعقدة في تيلبرغ في هولندا في العام الفائت ،
بين الأستاذ اليوغوسلافي نيكولك ، ونظيره
الألماني الغربي هوير ، وهو من الدفاع السلافي
الذي كان في أوج مجده في ١٩٣٠م ، في مباراة
بطولة العالم بين أليخين ويو ، ولكن شعبيته
بدأت تتناقص منذ ذلك الحين ، لأنه يتيح
للأبيض مقايضة فيل الوزير النشط بحصانه .



مات ٣ من وضع الصديق
يوسف المعجوز (الكريت)

يحبب كثيرون من القراء عندما نشير في
محللتنا للأدوار من أن لاعباً ما ، يملك ميزة
زوج الفيلة ، أو عندما نقول بأن قيمة الفيل
النظرية تزيد عن قيمة الحصان بفيل ، فالحصان
في نظره يملك طاقات جبارة بحركته الأفقونية
الغريبة ، وقدرته الفائقة على القفز واختراق
مواقع الخصم ، والمهبط في وسط تحصيناته
المنيمة ، والقيام بالكش المضاعف للملك
والوزير ، أو الوزير والرخ ، والفوز بأحدهما .
غير أن اللاعب المتمرس يستطيع بسهولة أن يتنبأ
بنقلات الحصان ويخذ من أخطارها ، وامتلاك
الفيل مقابل الحصان ، والأفضل من ذلك
الفيلان ، إذ تمنح اللاعب إمكانات كبيرة
للسيطرة على الرقعة ، في حين يمكن قصر دور
الخصاتين على مجرد الدفاع السلبي .

وبعد الفيل من القطع البعيدة المدى التي
تستطيع السيطرة على الأوتار في جميع
الاتجاهات ، فلو افترضنا أن أحد الفيلة يحتل
مربعاً في وسط الرقعة لكان بإمكانه الانتقال إلى
٣٧ مربعاً في الرقعة ، أي نصف الرقعة
بالضبط ، وهكذا فإن مجال السيطرة الممكن أمام
الفيلين هو كل الرقعة الخالية ، كما لا ينبغي أن
امتلاك فيل وحصان أو فيلين ضد ملك أعزل
يؤدي إلى الفوز بالدور ، في حين أن امتلاك
حصاتين في الشروط نفسها يؤدي إلى التعادل .

٤ د × ج	١٩ (٢) - ج ١	■ ر . هوبز	□ ب . نيكولك
٥ أ - ف	٢٠ د × ٤	(للثانيا)	(يوغسلافيا)
٦ أ	٢١ و - د ٣	٤ د	٤ (١) د
٨ د - ر	٢٢ ر (٥) - د ١	٤ د × ج	٤ ج (٢)
٨ ب - ح	٢٣ و - ب ٣	٦ و - ج	٣ ح - ٣
٨ د × ف	٢٤ ر × ٨ +	٦ ج	٤ ح - ج ٣
٥ د × و	٢٥ هـ	٤ ف - ز	٤ أ (٥)
(الأبيض يفتح الخطوط للقبيلين الخطرين)		(ف - و هـ هي النقلة النظامية)	
٧ و - م	٢٦ و × هـ	٥ ف - ح	٦ ح - هـ
٧ د - و	٢٧ ف - ج هـ	٦ هـ	٣ ح (٧)
٨ و - ج	٢٨ ر - د ١	٦ ز - ف	٤ ز (٨)
٦ ح - ج	٢٩ ف - د ٦	٤ ب - ف	٩ ف - ز ٢
٦ ر - ح	٣٠ ف - هـ ٤	٥ ح - د	١٠ ت
٥ ر - ح	٣١ ز هـ	٧ هـ - ف	١١ ح - أ ٢
٨ ز - م	٣٢ ر - و ١ +	٤ ح - ب	١٢ هـ
٧ ح - م	٣٣ ر - و ٨ +	٤ ف × ب	١٣ ح × ب ٤
٦ ز × م	٣٤ ف × ز ٦ +	٦ و	١٤ و (١٤)
(بديعة)		٦ ح × ز	١٥ ح × ز ٦
٣٥ و - د ٣ +		(الأبيض يحصل على ميزة القبيلين)	
(الشكل)		٧ ح - د	١٦ ف - هـ ٣
لو أخذ البيدق مات ٢		٧ و - هـ	١٧ و - ج ٢
		ج هـ	١٨ و × ج ٤

□ ■ □

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد رقم (٣٦٦) مايو ١٩٨٩

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

- ١ . محمد الهادي الصبيح - بوحجر / تونس
- ٢ . لي طالب الضهاد - دمشق / سوريا
- ٣ . عصام أحمد الفزاوي - دباط / ج .
- ٤ . عبد الرزاق الشرميني - كيرالا / الهند
- ٥ . مثنى علي الجميلي - الأنبار / العراق

الفائزون باشتراك ستة كاملة :

- ١ . جوير حازر خليل - الكرك / الأردن
- ٢ . رنا محسن - بغداد / العراق
- ٣ . مجدى محمد جمعة - أسوان / ج . م .
- ٤ . ليثا محمد ما مللي - رأس الخيمة / الإمارات
- ٥ . سارة بن لامين - طرابلس / ليبيا

حل مسألة العدد (٣٦٧) - يونيو ١٩٨٩

١) و × ح هـ ف × ح هـ (٢) و ٧ + (بالكشف) هـ (٣) ف × ح هـ (مات)

جريدة القبلة

العربي - ص. ب. ٧٤٨ - الصحافة - الرمز البريدي: 13008 الكويت

الوحدة

الاقتصادية

سلاح

المسترب

● الأستاذ/ الدكتور رئيس التحرير

يسرني أن أبعث إليكم مهتتا على ما تبذلونه من جهد في سبيل إظهار المجلة بالمظهر اللائق ، لقد أصبحت بفضل جهودكم الجبارة من أرقى المجلات لاحتوائها على جميع ما يبحث عنه القاري .

لقد شد انتباهي موضوع بعنوان « الزراعة بأحرب الزراعة » الذي نشر في المجلد ٣٦٠ نوفمبر ١٩٨٨ ، بقلم الدكتور سمير رضوان ، وأقول : إننا في أمس الحاجة الى مثل هذه المواضيع ونكتشفها ، فالوطن العربي في مقدوره أن يكون مكتفيا ذاتيا من الحبوب الغذائية لو تضافرت الجهود العربية ، فعلى سبيل المثال : هناك أرض زراعية شاسعة ، ومياه صالحة للري ، في السودان والعراق ومصر ، وهناك أقطار عربية باستطاعتها التمويل ، وأخرى لديها الأيدي العاملة المدربة .

أما في المجال الصناعي فالوطن العربي يملك من الخامات والمعادن ما يجعله في مصاف الدول الصناعية الكبرى القادرة على التصنيع . ومن هذه الدول تستطيع الأقطار العربية أو بعضها على الأقل أن تدرك بالطرق المناسبة التقنية الصناعية الغربية التي يتهيا مجال للتنريب عليها ، والأمر يتطلب توحيد الجهود ، وذلك بإزادة وتصميم وحدة اقتصادية ، تلوب فيها الخلافات السياسية ، ثم تخفي الحدود السياسية مستقبلا .

القاري / / سعيد عمران السليمان
أبها - المملكة العربية السعودية

□□□

● الأستاذ/ الدكتور رئيس التحرير

نطالع كل شهر مجلتكم العزيزة « العربي » ، ونحترم كل ما يكتب فيها من فكر وقضايا مهمة للمسلمين والعرب ، لكن لنا عتاب عليك وأنت قائد هذه المسيرة العربية ، وهو عدم تسليط الضوء على شخصيات من تاريخ الجزائر ، فهناك الكثير من العلماء المسلمين العرب عاشوا في الجزائر ، مثل الإمام عبد الحميد بن باديس ، والإمام البشير الإبراهيمي . وهؤلاء

شخصيات

تاريخية

من الجزائر

١ على هذه الصفحات ... تتخبط "العسكري" بنشر ملاحظات
وتعليقات تتناقضها الأعزاء على ما ينشئ فيها من آراء وتحقيقات

مفكرون جزائريون ، ومجاهدون أحرار ، صنعوا تاريخ الأمة العربية
والإسلامية في الشمال الأفريقي .

القراء / الصمم القلبي المتور
أحمد حافور القادري / هواري أحمد المصري
الجامعة الإسلامية - المملكة العربية السعودية

ليس هناك مجاهد لأي شخصية عربية تاريخية ، ولكن هناك مساحة
من الصفحات ، نخصصها في كل عدد لتتطرق الى شخصية تاريخية .
والمجلة سبق أن نشرت لعملاء حرب من الشمال الأفريقي ، وتنمى عليكم
متابعة الأعداد القادمة ، فستجدون التنوع الذي نحاول أن نسبر عليه في
عجلة النشر .

□ ■ □

العربي

يحيى حقي

والخروج إلى

العالمية

● الأستاذ/ الدكتور رئيس التحرير
لقد جاء زادكم دسما ، في أيام مباركة ، تحتاج من الجميع الأناة
والتمعن ألف مرة ومرة ، لإعادة النظر فيها حولنا ، وكالمادة جاءت مجلتكم ،
وهي ذلك الصرح الثقافي الشامخ ، حافلة بالفن والشعر والاستطلاع ،
والقصة والمناقشة الفريدة الشيقة ، وإني قد سعدت كثيرا بالاستطلاع
الحاصل بالنشط الكويتي في بيوت الأوربيين الذي نشر في عدد ٣٦٥ إبريل
١٩٨٩ ، وكذلك سعدت وأعجبت بموضوع الكاتب الكبير يحيى حقي
للأستاذ سليمان مظهر في باب « وجهها لوجه » ، وألفت منه ، خاصة في
حديثه عن قصة « قنديل أم هاشم » ووصفه لها بأنها طلقة أصابت الهدف ،
وكذلك حديثه عن الفكاهة ومفارقات الحياة ، هذه الدقة والصرامة ، وهذا
ما نتوسمه جميعا في أدبنا الكبير ، وكذلك باب « قراءة نقدية في كتاب -
بيت الياسمين - للدكتور حماد أبو أحمد .

في ملاحظة حول رأي الكاتب الكبير يحيى حقي عن الخروج الى
العالمية ، وأقول : إن الأدب العربي في رواياته وقصصه ونقله وتاريخه وجميع
فروعه قد دخل دائرة العالمية ، ولنا نحن - فعلا - تأثير قديم على فن الرواية في



جمال البستاني

أوريا . والله أدهو أن يدفع أدبنا العربي وكتابه الى الأمام ، فلقد خطونا الخطوة الأولى ، وعليها أن نستمر .

القاري/ جمال سعد محمد

الزرقاء - محافظة عمّاط - جمهورية مصر العربية

□ □ □

نشرت المجلة في عدد ٣٦٥ إبريل ١٩٨٩ مقالا للدكتور علي الوردني - شخصيتك - . أود أن أعقب عليه : فالقول بأن العوامل الوراثية وحدها هي التي تبني الشخصية مردود عليه ، فنحن نعلم أن حالة الإنسان وتصرفاته وطباعه لا تثبت حل غلط واحد طوال حياته ، بل تتغير من مرحلة لأخرى ، وأتصد هنا المرحلة العمرية ، نتيجة لتبدل في أفكاره ، وتراكم خبراته في الحياة على مر الأيام . أم أن د . الوردني يقصد أن يقول : إن على كل شخص أن يفتح بما هو عليه ، ولا يحاول بذل جهد مضاعف لتحسين أحواله ، لأنه مهما جد فلن يحقق أكثر مما تحققه له العوامل الوراثية ومهما سهر الليالي فلن يصل الى الكلا ، فشخصيته تقف عائقا أمام كل تطوير !! هذا ما يستنتجه قاري المقال ويخاصة الفقرة الأخيرة منه .

إنني مقتنعة تمام الاقتناع بأن باستطاعة الإنسان أن يغير في شخصيته تغيرا كبيرا ، ويستطيع أن يخلصها مما ترسب فيها من سلبات التربية ومساويء البيئة التي نشأ فيها ، ليصل الى مستوى معين ينشده ، والإرادة والتصميم والنشاط في العمل عوامل تجعل ذلك ممكنا ، وهذا لا يمنع من القول بأن للتربية والبيئة دورا كبيرا في تكوين الشخصية ، ولكن يستطيع المرء أن يسمى للأفضل ، فالبيئة ليست مسيطرة على الإنسان بحيث تقيد وتمنعه من أن يطور مستوى معيشته .

و أما كلمة الحظ ، التي تكررت في مقال د . الوردني فهي كلمة عامة نلجأ إليها دائما عندما لا نجد تفسيراً لنجاح شخص ما في الحياة أو فشله ، فالقضية في النهاية مرتبطة بالثقة بالنفس ، وبالإرادة والإصرار ، وبالشعور بالحافز الداخلي الذي ينبع من الإنسان نفسه ويحث على التقدم .

القارة/ ليلى عطية حرار

الزرقاء - الأردن

كذلك تلقت المجلة عدة تعليقات على مقال د . علي الوردني من القراء : فواز الونس (كلية الحقوق - جامعة حلب - سوريا) ، وغاليد بصبروس (دمشق - سوريا) ، وحسن سالم الكسادي (الكلا - حضرموت -

ردًا على

د. السوردي

العربي

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) ، وتبدي جميع هذه الرسائل آراء متعارضة مع الفكرة التي أوردتها الدكتور الوردى حول تكوين الشخصية .



اقتراحات

وردود

● القاري : حمدي محمد ابراهيم - من الجزيرة ، بجمهورية مصر العربية - بحث بدراسة طويلة عن محتويات المجلد ٣٦٢ يناير ١٩٨٩ ، يستعرضه بالتفاصيل ، مما يدل على الجهد ، والتركيز الذي بذله في القراءة والكتابة . فنشكره على هذا المجهود الطيب .

● القاري : خالد محمود البنا ، من جامعة طنطا ، بجمهورية مصر العربية ، يقترح أن تقوم المجلة بجموعة من الاستطلاعات العلمية المصورة عن منطقة الربع الخالي ، في الجنوب الشرقي للمملكة العربية السعودية ، وعن الالكترونيات والتقنيات في الوطن العربي ، وأخيرا عن منطقة الصحراء الكبرى في أفريقيا .

● القاري : هاني محمد حسن ، الجزيرة ، جمهورية مصر العربية ، يسأل في باب الشطرنج : عن إمكانية نشر طريقة اللعب ، حتى يكون ما ينشر من أدوار مفهوما لمن لا يعرف كيفية اللعب .

● القاري : أحمد المكتيس ، الرباط ، المغرب ، يطلب من الدكتور محمد عيسى صالحية أن يقدم معلومات إضافية عن العالم « السفالي » ، مؤلف كتاب سفير الكتب ، وعن الذهب الذي جاء ذكره في عدد (٣٦٢) يناير ١٩٨٩ أثناء عرض كتاب الشهر « التقنية عند المسلمين » .

● القاري : أمين جمعة - حمص - سوريا ، يقترح أن تخصص باب لعرض المواضيع القانونية ، يشرح مواد القانون الأساسية بشكل مبسط موجز . فنقول له : إن هناك مجلات متخصصة في القضايا القانونية ، لكننا نحاول أن ننشر ما يردنا في القضايا العامة المتعلقة بالقانون وفروعه ، ولا مانع من تخصيص باب بهذا المعنى إذا دعت الحاجة .

● القاري : صلاح سالم الجابري ، حضرموت ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، يشكو من قلة الأعداد التي تصل ، ويطلب زيادة كميتها المرسلة ، كما يقترح إشراك القراء في كتابة « واحة العربي » .

● القاري : عبدالإله علو ، من حلب في سوريا ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن أهم الآثار الموجودة في الكويت ، وأخر التطورات الثقافية والعلمية فيها .

● القاري : أحمد إدريس أبوبكر ، من قنا بجمهورية مصر العربية ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن « مدينة الأقصر » وآثارها التاريخية . ونقل له : إن المجلة قامت باستطلاع عن تلك المدينة في المجلد رقم (٣٤١) شهر (أبريل ١٩٨٧) بعنوان الأقصر - الحياة موت والموت حياة .

مجلة جلال البسلة

● الفارسي غلام حيدان السويدي ، من محافظة الرقة - سوريا ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن مدينة « دير الزور » في سوريا .

● الفارسي عبدالله بن منور الحري من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية ، يقترح أن تخصص المجلة مساحة أوسع لصفحات الثقافة والأدب .

● الفارسي ماجد سعيد عامر من المنطقة الوسطى - سلطنة عمان ، يطلب الأعداد الأولى من المجلة وإمكانية إرسالها بالبريد ، ويقول له : يمكنك أن تكتب مباشرة للوكيل المساعد للإعلام الخارجي بوزارة الإعلام ، دولة الكويت ، للحصول على أي عدد من الأعداد السابقة من المجلة .

● الفارسي أيمن حسن عباس من محافظة طرطوس - سوريا ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن الأماكن السياحية في سوريا .

● الفارسي عبدالواحد أحمد عبدالحميد من أشمون - جمهورية مصر العربية ، يقترح أن تزيد المجلة عدد القصائد المنشورة .

● الفارسي محمد بن مسمود بن عبدالله الفري - صمم - سلطنة عمان ، يقترح زيادة عدد النسخ من كتاب « العربي » المخصصة للموزع حيث أن الكمية الموزعة في المكتبات لا تكفي السوق .

● الفارسي جابر عبدالجواد أحمد من بني سويف ، جمهورية مصر العربية ، بحث بعض الاقتراحات للمجلة منها إعادة نشر استطلاعات المجلة في كتاب ، وإيجاد باب يتم تبسيط العلوم التطبيقية وعلوم الطبيعة .

● الفارسي عامر محسن من المملكة العربية السعودية ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاعات عن سوريا والجزائر والأرجنتين ومنغوليا ونيجيريا ، وأن تتوسع في باب أرقام ، بحيث تعطي الأرقام والاحصاءات مساحة أكبر ويطلب من الدكتور رئيس التحرير أن يخصص أحد مقالات افتتاحية الشهر عن موضوع (الجامعة المفتوحة) .

● الفارسي سلطان محمد الخالدي من البحر المنطقة الشرقية - المملكة العربية السعودية ، يقول : إن المجلة نشرت في العدد (٣٠٨) يوليو ١٩٨٤ استطلاعاً عن « عالم المسلمين في الاتحاد السوفيتي » ، جاء فيه أن أستاذاً اسمه أفتجان بن جاتسبك الماشاني قال فيه : إنه ألف ثمانية كتب عن العالم العربي « الفارابي » واكتشف أن الفارابي أثبت أن هناك علاقة بين الموسيقى وحركة الأجرام في الكون - فهذا لوقامت المجلة بعرض لأبحاث هذا الأستاذ خاصة أن المجلة تهتم دائماً بتأجيل العلماء ، وبخاصة المسلمين منهم ودراساتهم .

● القاريء علاء السيد رجب من الدقهلية - جمهورية مصر العربية ،
يقترح إضافة باب للمجلة بعنوان « هل تعلم » ، وأن تقوم المجلة باستطلاع
عن مدينة التصورة ، وزيارة معهد الكل والمسالك البولية المجهز بأحدث ما
توصل إليه العلم الحديث .

● القاريء محمد عبدالفتاح أحد من محافظة المنيا - جمهورية مصر
العربية ، يقترح أن يخصص باب ثابت تناقش فيه مشاكل الشباب وكيفية
التغلب عليها ، وأن تنشر المجلة موضوعاً عن المساحة التصويرية .

● القاريء حسنين عبدالحليم زهرع من القاهرة - جمهورية مصر
العربية ، يمثي باستطلاع المجلة الخاص بمدن الصحراء اللبية المنشور
في العدد ٣٦٤ مارس ١٩٨٩ م .

● القاريء محمد خبازة من عين الدفلة - الجمهورية الجزائرية ، يمثي
يطلب زيادة عدد النسخ المرسله من مجلة « العربي » ومطبوعاتها للجزائر لعدم
توافر الكمية الكافية .

● تؤكد « العربي » للقاريء خالد أحمد من الكويت أن المجلة قامت
مؤخراً بزيارة لمحافظة حضرموت بجمهورية اليمن الديمقراطية ومدينا
الجميلة والتي منها مدينة المكلا . وستقوم المجلة بنشر الاستطلاع في عدد
قادم ، علماً بأن « العربي » سبق أن نشرت استطلاعاً عن « المكلا » في العدد
رقم (٧٦) يونيو (١٩٦٥) .

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب • جامعة الكويت

رئيس هيئة التحرير: د. عبدالحسن علي المدعي

دورية علمية محكمة ، تتضمن مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة
موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية شريطة ألا يقل
حجم البحث عن (٥٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ
- أن يمثل البحث إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه الخاص
وأن لا يكون قد سبق نشره .

معلومات أخرى: رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب
نفسه د. فريد - ١٩٦٩ - جريدة الزمان - الكويت ١٤٢٥٢

عكا المصروفات

سلسلة كتب شوقهم والجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أغسطس ١٩٨٩ م

الإنسان بين الجوهر والظاهر
(تملك أو نكون)

تأليف : أرييك فروم
ترجمة : سعد زهران
مراجعة : د. لطفي فطيم

٥٠٠
فلس

الكتاب رقم ١٤٠

مؤسسة الكويت
د. بهير جاسم الهقوب



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

• هذه المجلات التي تهتم المنطقة أو لثقافتها
وأصالتها في كتب

• يطبع في الكويت ما يزيد على ٣٠ دولة في جميع أنحاء
العالم

الاشتراك السنوي المجانية

(أ) داخل الكويت ٢٠٠ د. خارج الكويت ١٠٠ د.
المجلات
(ب) الدول العربية ٢٠٠ د. خارج ١٢٠ د.
المجلات
(ج) الدول الخمس ١٠٠ د. خارج ١٠٠ د.
المجلات

• مجلة طبية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة
• تضم دراسات الخليج والجزيرة العربية
السياسية الاقتصادية الاجتماعية الثقافية
والعلمية

• صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٥

• تقوم المجلة بإصدار ما يلي
(أ) مجموعة من المصطلحات المتخصصة في منطقة
الخليج والجزيرة العربية
(ب) مجموعة من الإصدارات الخاصة والمنطقة
منطقة الخليج والجزيرة العربية
(ج) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية

جميع المراسلات ترجمها من غير التحرير على العنوان الآتي

ص.ب. ٧٧٠٧٣ - الجاهليين - الكويت - البريد الإلكتروني: 78051

على مكتب الكويت - الجاهليين

البريد الإلكتروني:
78051
78051
78051
78051

الثقافة العالمية

مجلة تترجم الجديد في الثقافة والعلوم المعاصرة

• تعتمد فيما تنشره على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية.

• هدفها إقامة الصلة بين الفكر العربي وبين الأجناس

المتطورة للثقافة العالمية المعاصرة.

• ميزانها الأساسي في اختيار المترجمات هو الجديد والهام.

• تقبل دورية كل شهرين من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

أ.ب. هادي التميمي
المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب

المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب

UNIVERSITY OF KUWAIT
LIBRARY
DEHRAJAD
1974

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات
في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. فهد ثاقب الشاذلي

مدير النشر
منير بانه الكويتي
1973

تخرجت جميع المراسلات إلى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت عرب: 5496 صفاء
الكويت. هاتف: 2549421 / 2549387 - تليكس: 22616 الكويت

مجلة العلوم الإنسانية

تصدرها جامعة الكويت
رئيسة التحرير
د. حياة ماصراكي

مفصلة علمية
تصدر من جامعة الكويت
ورئيسة التحرير
د. حياة ماصراكي

لغة: كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية
الطبع: 817849 - 810503

لغة: كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية
الطبع: 817849 - 810503

لغة: كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية
الطبع: 817849 - 810503

لغة: كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية
الطبع: 817849 - 810503

المشرق العالمي

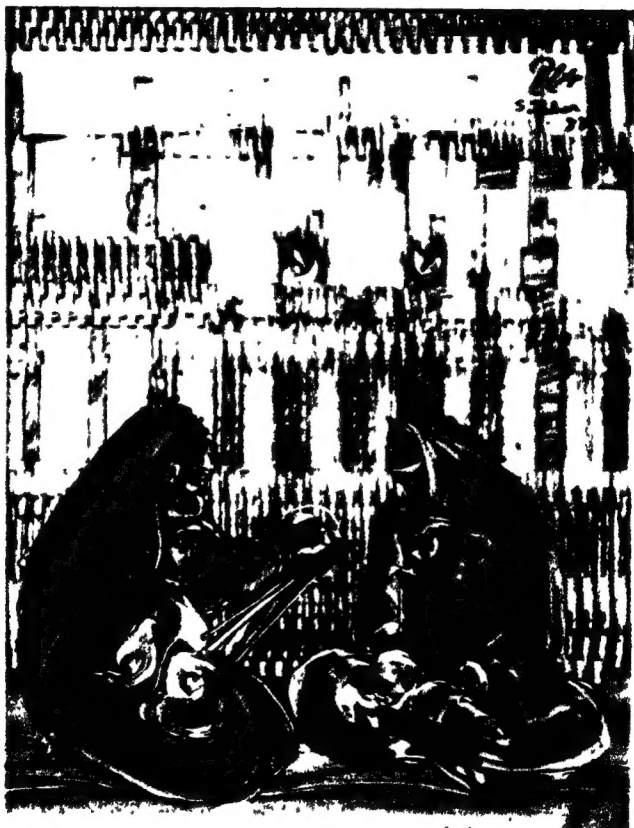
العدد ٢٣٩ أول آب أغسطس ١٩٨٩
وزارة الإعلام - الكويت
تصدرها في مطلع كل شهر
أسسها في ١٩٥٥

هَذَا نَزَائِلُ
لَوْزِ الْفَرْقِ

تأليف: جيوم ابولينير

ترجمة وتقدم: نادية حكيم

مراجعة: يحيى حشمتي



تكوين - للفنان المصري صلاح طاهر

